



معركة سيناء وقناة السويس

تأليف
اللواء أركان الحرب
محمد كمال عبد الحميد





كتب
قومية

معركة سيناء وقناة السويس

تأليف اللواء أركان الحرب
محمد كمال عبد الحميد
عضو مجلس الأمة

مقدمة

مرت ثماني سنوات كاملة منذ بدأ العدوان الثلاثي على مصر ، تكشفت فيها حقائق كثيرة من أسرار هذه الحملة التي ضمت بين دفتيها دروسا كثيرة لم تشر أليها مجموعة الكتب التي صدرت عنها والتي ظهرت جميعها اثر انتهاء الحملة مباشرة ، فلم يتسع وقت كتابها لدراسة الحملة دراسة عادلة تحليلية ، اذ كانت مصادر هؤلاء الكتاب التي اعتمدوا عليها هي بعض ما نشرته الصحف الاجنبية من تقارير مراسليها من لندن او باريس او تل أبيب أو حتى من بعض العواصم الأوربية التي جهلت بدورها تفاصيل المعركة وحقائقها .. فكانت مصادرهم من وجه واحد ، وكانت رغبتهم في سرعة تقديم انتاجهم سببا في عدم استقصائهم حقائق المعركة من المصادر المحايدة أو من المصدر الاصيل .. من مصر التي دارت المعركة على أرضها وبخاصة أن المعركة في حقيقتها لم تكن موقوتة بالايام العشرة التي وصفت بايام العدوان ((من ٢٩ من أكتوبر الى ٧ من نوفمبر)) ولكن كانت المعركة في حقيقتها سابقة في تاريخها بشهور كثيرة قبل ٢٩ من أكتوبر ١٩٥٦ واستمرت فعليا الى ما بعد ٧ من نوفمبر بشهور أخرى ولكن بأساليب مختلفة عن الاسلوب المألوف لمظهر العدوان ..

ولقد كان من بين تلك الكتب التي تناولت معركة سيناء وقناة السويس ما صدر بعد انتهاء المعركة مباشرة بايام معدودة ، وبدا واضحا انها كانت تكتب في اثناء المعركة ، بل ان بعض فصول هذه الكتب كانت معدة للنشر قبل المعركة ، وكان ذلك اجتهادا مكشوفا من جانب دول العدوان في محاولتها اصدار هذه الكتب تحت اشرافها وبتوجيهها لكي تقدمها للراى العام العالمي الذي تتبع باعجاب وتقدير عظيمين موقف مصر بقواتها المسلحة وشعبها في تحطيم هذا العدوان .

وخرجت منه مرفوعة الراس اقوى مما كانت عليه من قبل ..
فكان هدف الدول الثلاث ان تضلل الراى العام العالمى وتوهمه
بان الدول المعتدية أحـــرزت النصر فى الوقت الذى تم فيه
انسحابها .. فكان هذا التعارض بين الادعاء .. والحقيقــة
منبتا لعقد نفسية كثيرة اصابت قادة وساسة الدول المعتدية ..
فأمعنت فى ((اغراق)) الراى العام بكثير من المقالات والنشرات
التى وصفت ((بطولاتهم)) فى العدوان ، ولم تهمل أجهــزة
دعاياتهم حقائق البطولة التى وقفتها مصر .. الدولة الصغيرة
بمواردها .. القوية بايمانها وبرجالها وبشعبها وجيشها .

وكانت تلك الكتب التى أشرفــت الدول المعتدية على
اصدارها بمثابة الدمى التى قدموها للعالم ليلهو بها وينسي
حقائق المعركة ، القصيرة فى مدتها والعميقة فى نتائجهـــا
ومضاعفاتها ، وينسى بذلك ما حاق بدولتين كبيرتين من دول
((العالم الحر)) من اصحاب المقاعد الدائمة بمجلس الامن
من خزى وعار وفشل سيظل دائما وصـــمة فى تاريخهما .
وصدرت أيضا بعض كتب محايدة فى هذا الموضوع ، ولكن لم
تتناول شرح وتحليل المعركة ، بل ركزت اتجاهها على مناقشة
الاعتبارات السياسية التى لازمت المعركة ..

من اجل ذلك كان ضروريا أن تظهر حقائق هذه المعركة
((الخالدة)) . فهى لم تكن معركة مصر وحدها .. بل معركة
كل جيل وكل شعب يبنى مستقبله ويدعم كيانه من أجل نفسه
ومن أجل المشاركة الايجابية فى تامين الســلام والرفاهية
للجميع .

وجدير بنا أن ندرس ويدرس أبناؤنا من بعدنا معاركنا.
وعلى الأخص تلك التى نخوضها من وحى مصلحتنا ولحسابنا
الخاص من أجل الدفاع عن اراضينا وكرامتنا ومبادئنا .. ومن
هذه المعارك ما نقدمه فى هذا الكتاب باسلوب بعيد كل البعد
عن التكلف أو المغالاة أو التفصيل الذى قد لا يهضمه القارىء
العادى .. بل تضمن شرح وتقديم المعارك .. بكل حقـــائقها
وأحداثها . وكان مصدرنا فى هذا .. الوثائق الرسمية التى
سجلتها كل الدول التى اشتركت فى المعركة . وانه لمن سنن
الحياة .. أن يتعاقب فيها الخير والشر والنجاح والفشل ..

مع تعاقب الليل والنهار .. ولهذا فاننا لم نغفل ذكر الدروس المستفادة من الاخطاء التى حدثت ، وقدمنا أسبابها وظروفها بالعناية نفسها والدقة التى قدمنا فيها انتصاراتنا ونجاحنا .

ولقد كانت ظروف المفاجاة التى تعرضت لها مصر أمام خداع وغدر بريطانيا بالذات ، ومعها فرنسا واسرائيل .. كان من أثر هذه المفاجاة ان اضطرت مصر الى تغيير خططهـــا وتعديلها فى اللحظات الحاسمة للمعركة التى أوشكت فيهـــا مصر ان تقضي نهائيا على اسرائيل لولا اضطرارها الى مواجهة المواقف الجديدة الخطيرة التى فرضـــت عليها نتيجة للانذار البريطانى الفرنسي .. ومن اجل هذا كان لابد من ظهور فقاعات او ثغرات استطاع العدو بها أن يطفىء فيها غليله بنجاحه فى ضرب أهدافه والاغارة عليها بحقد وقســـوة كشفت شعوره تجاه مصر الناهضة .

ولكن كانت المفاجاة الكبرى التى صدم بها العدو ، كما فوجىء بها العالم كله .. هى ثبات مصر واصرارها على المضي فى المعركة الى نهايتها ، وتلبية ما قاله الرئيس جمال عبد الناصر : باننا سنقاتل ولن نستسلم أبدا .

كانت هذه هى أكبر مفاجاة معنوية واستراتيجية وتكتيكية وسياسية قلبت خطط العدو كلها راسا على عقب .. بل وحددت خطط وموقف هيئة الامم المتحدة تجاه هذه المعـــركة الخالدة التى كانت نقطة التحول فى انهيار العدو وخسارته ثم انسحابه ، وكسبت مصر من العدو أضعاف ماكان يدور فى خيال المتفائلين من المصريين .. وهذا هو سر اعجاز هـــذه الحملة ، وأن معركة سينا وقناة السويس ليســـــت معركة عسكرية فحسب بل هى: معركة شاملة تصارعت فيها المبادىء والاسلحة والدعاية والموارد والاحلاف . كانت حربا فريدة فى اسبابها وظروفها وأسلوبها ونتائجها .

وكانت هى المحنة التى أثمرت النعم . كانت كالشجرة التى تنبت فى التربة السوداء لكى تثمر حلاوة وغـــذاء .. فحققت مصر بموقفها فى هذه المعركة انتصارات باهرة فى كل الميادين ... فى الاقتصاد .. والسياسة .. والاخلاق .. والحرب .. والمبادىء .. امام اعدائها الذين سعوا الى الهزيمة

باقدامهم،فأسرعت اليهم الهزيمة النكراء جزاء لهم على مطامعهم وغدرهم وخيانتهم ، وتعلم الشعب من دفن شـــهدائه كيف يستنبت الدم فتنبت به الحرية .. وتعلم كيف يزرع العرق فيخرج منه العزم ، وكيف يستثمر المحنة فتثمر له العـــزة والمجد ..

هذه معركتنا .. ومعركة كل حر .. وكل مؤمن بحقه فى الحياة الكريمة ايمانه بربه .. فالايمان هو أكبر علوم الحياة وأمضى سلاح فى المعركة .

ومضت أيام المعركة .. ولكن التاريخ حفظها ووعاها ، وسجلها فى أروع صفحاته ، لترجع اليها الاجيال المتعاقبة ، تستلهمها العبرة ، وتستمد منها القوة والعزم على مقـــابلة الشدائد بقلب لا يخضع ولايستسلم حتى يحقق النصر لرسالته القومية والانسانية .

محمد كمال عبد الحميد

الفصل الأول

الشرارة الأولى .. من أمريكا ..

مالت شمس يوم ١٧ يوليه من عــــام ١٩٥٦ الى المغيب ، عندما اقلعت الباخرة الأمريكية « اكســتر EXETER » من ميناء اللاذقية فى طريقها الى بيروت ، وقد اصطف الركاب فى جماعات متناثرة على سطحها يرقبون ذوبان قرص الشمس الذهبى فى الافق الازرق .

وكنت ضمن جماعة التفت حول مذياع يملكه أحد الركاب من رجال الاعمال الامريكيين بولاية « الالينوى » وكنا نستمع الى نشرة الانباء التى كانت تذاع من محطة بلغراد ، والتى تضمنت تعليقات بعض الصـحف العالمية على الاجتماع التاريخى الذى ضــم الرئيس جمال عبد الناصر والبانديت نهرو والرئيس تيتو فى جزيرة بريونى ، والذى تم قبل ذلك التاريخ بأيام قليلة .. كما تضمنت نشرة الانباء تصريحا للسفير المصرى فى واشنطن ، اعلنه عقب عودته للعاصمة الامريكية من القاهرة ، أبدى فيه تفاؤله بالنسبة لاتجاه الولايات المتحدة لمساعدة مصر فى بناء السد العالى « باعتباره مشروعا حيويا يزيد من رقعة الارض الزراعية ومن ثم يؤثر مباشرة على رفع مستوى المعيشة للشعب المصرى » ..

وكان صديقنا الامريكى شديد الاهتمام بنشرات الاخبار منذ تركنا نيويورك فى ٢٩ من يونيه .. وربما كان اهتمامه بتتبع الانباء العالمية عن طريق جهاز الراديو الذى أحضره معه راجعا الى طبيعة عمله كرجــل اقتصادى ترتبط اعماله وخططه بالاحداث العالمية .. أو ربما كان ذلك اشباعا لهوايته الكامنة فى استقصاء كل جديد من المعلومات ، باعتباره

أحد رجال المخابرات الامريكية القدامى الذين عملوا فى الحرب العالمية الثانية فى شمالى افريقية وأوربا بعد ذلك . وقد علمنا هذا الجانب الخاص من تاريخ حياة الرجل بمحض المصادفة فى سياق أحاديثنا التى كانت تشترك فيها معنا شقيقته ، وكانت تصحبه فى هذه الرحلة عندما كررت فخرها بأخيها كصديق للرئيس ايزنهاور الذى قاد حملة انزال القوات الامريكية فى شمال افريقية وفى غزو أوربا .

وكان طبيعيا أن يتسع لنا الوقت ، ونحن بين السماء والماء ، لتبادل وجهات النظر والتطرق بالاحاديث والمناقشات على ضوء ما كنا نسمعه من أخبار الدنيا عن طريق الراديو .. وشاءت المصادفة أن يكون موضوع مناقشتنا تلك الليلة حول فكرة الحياد الايجابى التى نادى بها ودعا اليها مؤتمر بريونى .. وحول تصريح السفير المصرى فى أمريكا بشأن السد العالى .. واذكر ما قاله صديقنا الامريكى رجل الاعمال .. بل ورجل المخابرات السابق .

« انه لا يعتقد أن الولايات المتحدة ستنظر جديا الى معونة مصر فى بناء السد العالى ، وذلك لاطراد نمو العلاقات بين مصر والكتلة الشرقية منذ توقيع صفقة الاسلحة عام ١٩٥٥ .. ولذلك فهو يكاد يتصور ويعتقد أن مصر قد ارتبطت عمليا بصورة ما بالمعسكر الشرقى الامر الذى لايشجع اطلاقا دافع الضرائب الامريكى بل ولا الحكومة الامريكية على تقديم أى عون قريب أو معقول لمصر لبناء السد العالى ولا غيره . وعلى الاخص بعد أن اعترفت مصر بحكومة الصين الشعبية ، الامر الذى تعتبره الولايات المتحدة بمثابة صفعة قوية وجهت بصفة خاصة للمستر دالاس الذى لن يسكت عنها أبدا . وان ما أعلنه السفير المصرى انما يعتبر محاولة منه فى « توريط » الحكومة الامريكية أمام الرأى العام فى مصر وفى كل بلاد الشرق الاوسط. أو ربما كان ذلك مناورة اجتهادية أراد السفير أن يوحى بها للمستر دالاس بما تعقده مصر من آمال كبيرة عليه مما قد يثير « نخوته » .. أو ربما أراد أن يفصح بهذا التصريح عما كان يتفاعل فى نفسه هو من أمنيات واسعة كان يود أن تتحقق على يديه ليكسب تقديرا شخصيا » .

هذا ماذكره الامريكى الكبير تلك الليلة ، دونته فى حينه فى مذكراتى التى كنت قد بدأتها منذ قيامى بزيارتى للولايات المتحدة .. وفى الحقيقة شعرت تلك الليلة أن الرجل أفصح عن جوانب كثيرة من كوامن السياسة الامريكية التى كشفتها الايام فيما بعد .

وكنا فى سهراتنا بالباخرة نفضل كثيرا الجلوس معه لنستمع الى جهاز الراديو الوحيد الذى استطعنا به الطواف حول عواصم العالم نلتقط منها الاخبار والمعلومات التى لم تتسع لها صحيفة الاخبار اليومية التى كانت تصدرها الباخرة والتى لم تتضمن الا مختارات متنافرة من شتات الانباء التى لم تشبع فضولنا فى معرفة مجريات الاحداث التى انقطعنا عنها عشرين يوما أو اكثر قليلا .

وصلت الباخرة فى صباح اليوم التالى « ١٨ يوليه » الى بيروت وكان بدء عطلة عيد الاضحى . فلم يتيسر للباخرة تفريغ شحناتها . فاتسعت لنا فرصة التجوال فى عاصمة لبنان يومين كاملين جمعنا فيهما ما استطعنا جمعه من صحف ومجلات ، وعدنا الى الباخرة وكلنا أمل فى أن نتفرغ لقراءة كلّ تلك الصحف فى رحلتنا الى الاسكندرية .

وفى صباح يوم ٢٠ يوليه برز خبر واحد فى كل الصحف هو« اعلان الحكومة الامريكية سحب عرضها بالمساهمة بمبلغ ٥٦ مليون جنيه للمساعدة فى تمويل مشروع بناء السد العالى بأسوان » .

وقد حملت وكالات الانباء تفسيرا وتعليلا لهذا النبأ بمزيد من التكهنات والمسببات والملابسات .. بل واشارت الى أن هذا القرار سبق أن تسرب الى الصحف والى جهات مختلفة اخرى قبل اذاعته رسميا ، مما يبين اصرار مستر دالاس ، الذى اذاع النبأ فى تجاهله للعرف الدبلوماسي ، وقال فى تبرير تصرفه « ان حكومة الولايات المتحدة تشك فى قدرة مصر على توفير المبلغ اللازم لكى تساهم به فى بناء السد . ويقدر هذا المبلغ بحوالى ٧٠٠ مليون دولار ، وذلك علاوة على أن مصر لم توافق على التعديلات والشروط التى اقترحت الولايات المتحدة ادخالها على المشروع » !

ولم يذكر المستر دالاس كل الحقائق ، فلم يذكر أن مصر وافقت على تلك التعديلات والشروط .. ويبدو أن تجاهله لهذه الحقائق كان بسبب حقده الشخصي على مصر وعلى رئيسها لاسباب معينة . فقد اغضبه أن مصر اشترت الاسلحة من دول الكتلة الشرقية مع أنها لم تفعل ذلك الا بعد أن رفضت أمريكا ودول الغرب بيع الاسلحة لها ، فى حين توسعت فى امداد اسرائيل بالاسلحة ، كما اغضبه أن مصر اعترفت بالصين الشعبية مع أن هذا الاعتراف لايزيد فى دلالته عن أن مصر تتوخى فى علاقاتها الدولية اقرار الواقع واقرار السلام العالمى عن طريق التعاون مع جميع دول العالم واشراكها فى هيئة الامم المتحدة لدعم هذه المنظمة

وتمكينها من اداء مهمتها فى اقرار السلام العالمى ، ولم يكن مستر دالاس منطقيا مع نفسه حين ثار على مصر لهذين السببين لان بريطانيا — وهى اقرب الحلفاء الى أمريكا — قد اعترفت بالصين الشعبية وتاجرت مع دول الكتلة الشرقية على نطاق واسع دون أن يجد مستر دالاس فى هذا التصرف ما يدعو الى الدهشة والعجب . ولكنه ثار على مصر ووجد أنه يجب اتخاذ قرار مضاد سريع يحمل معنى تأديبيا ، وفى الوقت نفسه يحقق له فرصة إسترداد كرامته السياسية أمام جبهة السياسيين ورجال الاعمال الامريكيين وبخاصة كبار الزراع الذين كانوا يعارضون فكرة بناء السد العالى فى مصر حتى لاتزيد قدرتها على التوسع فى زراعة القطن طويل التيلة مما يؤثر على انتاجهم وتجارتهم .

وفى الليلة نفسها (٢٠ يوليه) اجتمعنا فى جلستنا الأخيرة فى ركننا المألوف بالباخرة ، وامتد حديثنا مع صديقنا الامريكى الذى حاول تفسير وتبرير موقف حكومته الذى لم يفاجئه والذى توقعه قبل ذلك بأيام، وتطور حديثنا بعد أن سمعنا اذاعة اعلان بريطانيا قرار سحبها القرض الذى كانت ستساهم به كمعونة تدفعها لمصر ومقداره ١٥ مليون جنيه كدفعة أولى .. فعقب رجل الاعمال الامريكى على ذلك النبأ بقوله بالحرف الواحد :

« ليس هذا هو آخر المطاف ، بل اننا لنتوقع مضاعفات كثيرة ونرجو أن تمر بسلام » .

وكان ذلك آخر حديث له معنا قبل أن نصل الاسكندرية بصبيحة اليوم التالى .. فى ٧/٢١ — آخر يوم فى رحلتى على الباخرة .

مر على ذلك خمسة [illegible] ، كانت فى الواقع نقطة التحول
فيها الاسراع بتأميم قناة السويس
[illegible] سليمة .. ووضعت خطة ادارة
[illegible] بسلامته ضد أى تدخل مفاجىء قد تقوم به جهة من

فكانت هذه الايام الخمسة من ادق الفترات التى اجتازتها حكومة الثورة ، اذ كان عليها تدبير كثير من الامور فى حدود هذا الوقت القصير مع ضمان السرية المتناهية .

وقد أرادت مصر أن تضمن سلامة مسلكها واتجاهها قبل اعلان خطتها وعزمها فى هذا الموضوع ، فاستفسرت من حكومة الاتحاد

السوفياتى عن مدى استعدادها فى المســـاهمة فى بناء السد العالى ..
وكان ذلك عقب اعلان قرار الولايات المتحدة وبريطانيا ، وبعد اعـــلان البنك الدولى ـــ بعد ذلك ـــ بانه لم يعد يستطيع اقراض مصر ٢٠٠ مليون دولار وهو المبلغ الذى سبق أن وعدها به ، وذلك بسبب القرار الانجلو أمريكى .

فلم يعد أمام مصر بعد ذلك الا أن تستشف سياســـــة الاتحاد السوفياتى فى هذا السبيل .. ولكن جاء الرد فى تصريح وزير الخارجية السوفياتى فى ٧/٢١ بأن .. « روسيا لاتدرس حاليا موضوع اشتراكها فى تمويل السد العالى .. »

وهكذا تحدد الطريق أمام مصر بأنها لابد ان تعتمد على نفســـها ، بل ولابد أن تعلن قرارها وتفصح عن خطتها فى الحال قبل أن تبرد حرارة التصريحات التى أعلنتها كل من أمريكا وبريطانيا والبنك الدولى وروسيا ولم يكن ممكنا أن تتم دراسة تنفيذ خطة تأميم قناة السويس خلال يومين من ذلك التاريخ حتى يعلنها الرئيس جمال عبد الناصر فى خطابه السياسي السنوى الخطير فى ٢٣ يوليه بمناسبة الاحتفال بالذكرى الرابعة لقيام الثورة .. ولهذا أرجىء اعلان قرار التأميم الى يوم ٢٦ يوليه .. وهو ايضا من اهم الايام التاريخية فى سجل الثورة ، اذ هو اليوم الذى طردت فيه الثورة الملك السابق « فاروق » الى خارج البلاد . وقد أصبح لهذا التاريخ معنى خاص يفسره كل عام خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى الاسكندرية .

وسارت الأمور من ٢١ يوليه الى ٢٦ يوليه فى هدوء وتكتم شديدين بين جدران مجلس قيادة الثورة فى أرض الجزيرة على النيل .. وتمت كل الاجراءات الخاصة بتنفيذ خطة التأميم عمليا بمجرد حلول **ســـاعة الصفر التى حددها الرئيس جمال عبد الناصر بانها تبدأ بمجرد اعلانه كلمة السر فى خطابه بالاسكندرية وهى كلمة « دى ليسبس » اذ بمجرد أن ينطق بها الرئيس فى خطبته بميدان التحرير بالاسكندرية .. يتحرك جهاز تنفيذ عملية تأميم شركة القناة للاستيلاء على جميع مرافقها فى القـــاهرة والاسماعيلية وبور سعيد والسويس .. ويبدأ الجهاز المصرى الجديد من تلك الساعة مباشرة ادارة مرفق القناة وقطع صلتها بالشركة المنحلة.**

وقد سبق ذلك بمدة أن مهد الرئيس جمال عبد الناصر لتأميم شركة القناة بأن طلب جميع البيانات والمعلومات الخاصة عن القناة ، فاشتركت ادارة التعبئة وبعض الأجهزة الاخرى فى تجميع كل المعلومات والبيانات

عن شركة القناة المنحلة ، وأمكن معرفة كثير من أسرار ادارتها ومعرفة نظام السيطرة عليها .. وبذلك تمت عملية تنفيذ السيطرة على القناة عقب تأميمها مباشرة دون عناء .

وجاءت ساعة الصفر فى السادسة والنصف من مساء يوم ٢٦ يوليه ١٩٥٦ وأعلنت فيها كلمة السر عندما لفظ الرئيس جمال عبد الناصر باسم « دى ليسبس » الذى ضلل حكام مصر ، وخان الامانة ، وجعل من القناة سيفا مصلتا على شعب مصر الذى ضحى بمائة وعشرين ألفا من أبنائه دفنوا تحت رمال القناة التى لم تجلب لنا سوى المشاكل والمتاعب والاحتلال .

وأفاض الرئيس فى ذكر أخطار شركة القناة المنحلة على سلامة البلاد واقتصادها ، واوضح للعالم فى خطابه التاريخى معلومات مذهلة عن مدى استغلال هذه الشركة لايراد القناة ، وكيف لم يصل منه الى مصر الا النزر اليسير فى حين أنها حفرت بأيدى المصريين ودفعت مصر فيها ملايين الجنيهات . ثم ما لبثت ان خدعتها بريطانيا فاشترت كل الاسهم التى كنا نملكها .. وأشار الرئيس الى عزم مصر على أن تشق طريقها بنفسها وأن تعتمد على مواردها لبناء السد العالى ، بل وبناء كل مستقبلها، وأن ايراد القناة سيكون كله لنا ، وسيكفى للبدء فى مشروع السد دون حاجة أو انتظار لأية مساعدة من الخارج .

وكان هذا الخطاب هو القنبلة الاولى التى وجهتها حكومة الثورة بعد الجلاء (فى ١٨ يونيه) الى كل الطامعين فى مصر ، سواء فى الشرق أو فى الغرب .. وكان ذلك أول ممارسة ايجابية تقوم بها مصر بعد مؤتمر بريونى لتثبت عزمها وقدرتها على الاخذ بسياسة الحياد الايجابى ، والاعتماد على نفسها . فضربت بذلك مثلا واقعيا على امكان أى شعب يؤمن بحقه وقدرته أن يخطط لنفسه مصيره ويرسم مستقبله بيده .

ولم ينته اثر الخطاب بنزول الرئيس جمال عبد الناصر من منصة الخطابة فى ميدان التحرير فى منتصف الساعة العاشرة من مساء ٢٦ يوليه ، بل بدأت أصداء هذا الخطاب تدوى بين أرجاء الدنيا ، وتحركت الشعوب المهضومة تردد معانى الخطاب وتفتش فيه عن أمانيها ، وتبنى من حروفه طريق الخلاص من احتكار الاستعمار أيا كانت صورته ...
وأصبحت قصة تأميم قناة السويس بمثابة انقلاب تاريخى عالمى اجتاح أطراف الارض ، ونقطة تحول كبرى فى تاريخ التحرر العملى للشعوب..

وقبل القاء هذا الخطاب .. كانت هناك أحداث ترتب وتخطط فى

منطقة التل الكبير ، التى كانت مركزا كبيرا لمخازن القوات البريطانية التي جلت عنها ، وتركتها لجماعة المتعهدين البريطانيين الذين تولوا الاشراف الفنى على صيانة ما بالمخازن من معدات وأدوات توطئة لبيعها أو نقلها على حسب ما يتفق عليه . فقد كان السفير البريطانى يزور الخبراء البريطانيين الذين كانوا بمنشأة التل الكبير ، وجرى اجتماع بين السفير وكل من المستر فودن المشرف على شركات المتعهدين البريطانية التى تولت حصر وصيانة المعدات المعدنية بمنطقة قاعدة القنال ، وكان معه مساعده المستر كيل والمستر ستوكس مدير الشركة الموجودة بالمنشأة ، وعدد آخر من كبار الموظفين البريطانيين .. واوضح السفير لهم عن مخاوفه من قيام الحكومة المصرية باجراء مضاد لقرار سحب تمويل أمريكا وبريطانيا والبنك الدولى للسد العالى .. واشار الى أنه من بين الاحتمالات التى يتوقعها — ان لم يكن اخطرها — هو استيلاء الحكومة المصرية على منشأة المتعهدين البريطانيين الذى حلوا محل القوات البريطانية فى القناة للمحافظة على صيانة المعدات والأجهزة والاسلحة التى تركتها القوات البريطانية بمخازن قاعدة القنال عقب الجلاء عنها .. توطئة للتصرف فيها فيما بعد ، خلال مدة السنوات السبع اللاحقة لتنفيذ الجلاء كما نصت عليها الاتفاقية المبرمة بين مصر وبريطانيا فى أكتوبر سنة ١٩٥٤ .

وكان سبب توقع السفير لهذا الاحتمال ، هو أن الرئيس جمال عبد الناصر لا يمكن أن يسكت على ما فعلته بريطانيا وأمريكا ، وأنه لا بد ان يتخذ اجراء حاسما وسريعا ، ولا بد أن يعلن عنه فى خطاب الليلة (١٩٥٦/٧/٢٦) اذا لم يكن ممكنا أن يدبر أمرا خطيرا ويكفل له سلامة التنفيذ ويعلنه فى ٧/٢٣ لضيق الوقت . ونظرا لان الولايات المتحدة لم يكن لها مرافق فى مصر يمكن أن تتعرض لاجراء انتقامى ، فان ضربة مصر ستكون موجهة مباشرة الى بريطانيا التى لم يعد لها فى مصر سوى مرافق منشأة القاعدة التى خشي السفير استيلاء مصر عليها .

وبدت هذه الاحتمالات معقولة جدا ، مما ترتب عليه بقاء السفير فى منطقة التل الكبير واستمراره فى عقد عدة اجتماعات محلية لدراسة الموقف على ضوء ما أوضحه السفير ، وتخلل هذه الاجتماعات حفلة كوكتيل شهدها عدد كبير من أعضاء المنشأة وقرروا فيما بينهم بعد ذلك ترحيل عائلاتهم من منطقة التل الكبير الى الاسماعيلية حتى لا يتعرضوا للحصار أو العزل أو أية مضايقة فى حالة قيام الحكومة المصرية بالاستيلاء على مخازن المنشأة ومرافقها كاجراء مضاد لقرار بريطانيا تجاه السد العالى .

ولم يقتصر نشاط الانجليز فى منطقة القناة عند هذا الحد أو عند تلك الصورة ، فلقد كانوا يتوقعون حدثا خطيرا من جانب مصر يعلن عنه الرئيس جمال عبد الناصر فى خطابه المنتظر فى تلك الليلة .. فطلبوا السماح بنزول قوة جوية فى مطار أبى صوير بعد أربعة أيام مؤلفة من :

١ قاذفة قنابل متوسطة نفاثة من طراز كانبرا .

٢ « طائرة قتال » نفاثة من طراز فينوم .

٣ طائرات ركاب من طراز فاليتا .

١ طائرة ركاب من طراز فايكنج .

وعلاوة على ذلك طلبوا تصريحا بمرور قوة جوية اخرى فوق منطقة القنال بصفة خاصة مكونة من :

١ قاذفة قنابل نفاثة من طراز كانبرا .

٤ مقاتلات نفاثة .

٤ مقاتلات نفاثة طراز فينوم .

١ طائرة قتال نفاثة طراز فينوم .

٣ طائرات قتال هاستنج .

١ طائرة نقل طراز واشنطن (تحمل ٢٠٠ راكب وعدد من العربات) .

ويبدو من ذلك أن الغرض المقصود من وراء هذه المطالب هو اظهار الضغط العسكرى على مصر بتلك القوة الجوية ، وبخاصة انه لم يكن ممكنا استدعاء اية قوات بحرية أو برية للتظاهر بالضغط بعد أن تم الجلاء فعلا .

ولكن كانت هذه المطالب من جانب الحكومة البريطانية امرا شاذا مريبا غير عادى وبخاصة بعد اعلان الحكومة البريطانية سحب تمويلها لمشروع السد العالى وبعد توقعها اتجاه مصر للقيام بعمل حاسم لن يكون بأية حال متفقا مع مصالحها .. ولذلك أرسلت مصر رفضها لجميع هذه المطالب ، وأرسلت القيادة الشرقية المصرية بالاسماعيلية الى رياسة القوات الجوية البريطانية فى قبرص الرد التالى على المطالب السابقة ، « أنه لن يسمح باجابة الطيران البريطانى الا بالشروط الآتية :

(ا) ممنوع منعا باتا الطيران فوق القناة بل تســتخدم الممرات الهوائية المتفق عليها سابقا بين القيادة الشرقية والطيران البريطانى فى محاضر رسمية ومعلمة على الخرائط .

(ب) نظرا للالتزامات المحلية وازدحام مطار أبى صــوير ، فان الطائرات التى تصل المطار قبل « سعت ٨٠٠ » وعددها خمسة (وهى ٢ مقاتلات نفاثة فينوم ، عدد ٣ ركاب فالينا) يجب أن تغادر المطار قبل المجموعة التى تليها .

(جـ) معرفة حمولة طائرات النقل التى ستهبط بالمطار .

(د) يكون الرد بالموافقة على هذه الشروط قبل اعطاء الاذن » .

ووصلت الموافقة على جميع هذه الشروط وقد اتخــذت القيادة الشرقية وقيادة الطيران المصرية الاجراءات الكفيلة لمواجهة أى احتمال بوضع دفاعات كافية بالمطار وغيره من المناطق الحيوية بالقناة ودوريات قتال مستمرة من سلاح الطيران فوق منطقة القناة .

وبذلك بدأت بريطانيا معركتها مع مصر بهذه الصورة التقليدية التى مارستها دائما باظهار قوتها المسلحة على المسرح الذى تريد أن تلعب عليه دورا معينا .. ولكنها فوجئت باجراءات وأساليب جديدة لم تعهدها من قبل .

وقامت القيادة الشرقية للقوات المصرية فى منطقة القنال باتخاذ كل التدابير اللازمة لتأمين المنطقة وبخاصة الدفاع عن مطار أبى صوير ضد اى احتمال لانزال قوات بريطانية فيه .

كما صدرت تعليمات الأمن والحراسة للكتائب المخصصة لحراسة وتأمين المنشآت البريطانية بقاعدة القنال والتشــديد بعــدم الســماح بدخول أو خروج أى أصناف أو معدات من والى هذه المنشآت الا بتصريح كتابى من رياسة القيادة المصرية الشرقية (عدا المياه ، والمأكولات) .

وكانت هذه الاجراءات العاجلة ضرورية للسيطرة على الموقف فى قاعدة القناة خشية أن تقوم بريطانيا بأى عمل عدائى أو تخريبى ثم تنسبه الى مصر لتبرر به أى تدخل عســكرى من جانبها بدعوى الدفاع عن مصالحها ؟

وقد نشطت المراسلات الشفوية بين قاعدة قبرص والتل الكبير ليلة تأميم القناة ، كما وصل رسول خاص فى صباح يوم ٧/٢٧ يحمل

رسالة من السفارة البريطانية الى مدير المنشأة بالتل الكبير ، ولم يكن هذا الرسول يحمل معه تصريحا من القيادة المصرية ، لذلك لم يستطع الدخول فاضطر الى طلب التصريح .

وتتابعت مظاهر النشاط البريطانى فى منطقة القنال عقب اعلان التأميم ، اذ هبطت فى مطار ابى صوير فى صباح اليوم التالى للتأميم طائرة تحمل رسالة سرية للغاية من رياسة القوات البريطانية فى قبرص . وقد أمكن تقدير خطورة وأهمية هذه الرسالة ، اذ كان فى انتظارها المستر دتيس براون القنصل البريطانى بالاسماعيلية . والذى توجه فى اليوم التالى لاستلامه هذه الرسالة (٧/٢٨) الى مقر شركة قناة السويس ودخل اليها من الباب الخلفى بعد أن ترك سيارته بعيدة عن مقر رياسة الشركة وذلك امعانا فى التستر .

وكانت كل هذه الظواهر تشير الى أن الامور ستتطور الى احتمالات ومضاعفات كثيرة ، اقتضت كلها اعلان حالة الطوارىء فى القوات المسلحة المصرية ودراسة الموقف ومناقشة احتمالاته المختلفة .. مع اتخاذ اجراءات عاجلة اقتضتها ضرورة تأمين البلاد ضد أى خطر مفاجىء ..

فقامت القوات المسلحة فى البر والبحر والجو باتخاذ عدتها ، وبخاصة فيما يتعلق بحراسة الشواطىء والمطارات واعداد وسائل الانذار المختلفة وبخاصة ضد الهابطين بالمظلات فى منطقة القناة والقاهرة والاسكندرية ومنطقة سينا ، وتنسيق أعمال شبكات الرادار بما يكفل تغطية كل الاهداف الحيوية بنطاق دقيق من وسائل الانذار واستدعاء القوات الاحتياطية على فترات متقاربة لتدريبها .

وبدأت أجهزة الدولة تنتقل تدريجيا من الاطار التقليدى الذى كان يحيط بها الى ميدان جديد هو الاستعداد الجدى لطوارىء قد يطول مداها ، أو يتطور أمرها الى حرب .. وباشرت ادارة التعبئة رسالتها واختصاصها فى حصر موارد الدولة من جميع القوى والموارد البشرية والاقتصادية وكذا مرافق الخدمات العامة وقياس قدراتها وامكانياتها وتحديد احتياجات جميع القطاعات وتقدير المطلوب من جميع المواد لمواجهة مطالب الطوارىء ، وانشاء مكاتب خاصة لتعبئة قوى كل الوزارات المختلفة ، وكذا الشركات والمؤسسات الاهلية الخاصة والعامة .. وبدا ذلك عقب اعلان التأميم ، واستمرت العملية فى طريقها دون أن يعلن أمر أو قرار التعبئة العامة ، وانما تم ذلك كاجراء وقائى أثمر ثمرته عندما بدأ العدوان . وسنتناول هذا بالتفصيل فيما بعد .

وبدأت مضاعفات التأميم تطفو على انباء العالم .. وقد ظهر بعضها علانية ودار بعضها فى تكتم شديد .

وكان معنى التأميم متفاوتا عند الدول التى تأثرت مباشرة به ، وان كان مذاقه مريرا عندها جميعا .

فمعناه عند بريطانيا هو :

١ ــ ضياع أرباح ضخمة من عائدات الاسهم التى تملكها الحكومة البريطانية والشعب البريطانى .

٢ ــ انحسار باقى الهيبة البريطانية بالمنطقة عقب الجلاء عن مصر .

٣ ــ امكان خنق اقتصادياتها بتحكم مصر فى مرور البترول اليها .

٤ ــ انهيار مراكزها فى الشرق الاوسط وبخاصة فى دائرة حلف بغداد .

٥ ــ احتمال زيادة اسعار الوقود فى بريطانيا بنسبة ٣٠٪ اذا اضطرت السفن الناقلة للبترول الى المرور حول راس الرجاء الصالح مستقبلا .. علاوة على ضياع كثير من الوقت فى هذا الطريق .

٦ ــ زيادة فى أسعار جميع البضائع التى تنتجها الصناعات التى تعتمد على البترول ، سواء كقوة محركة أو كمادة خام .

٧ ــ احتمال انتقال عدوى فكرة التأميم لباقى مرافق بريطانيا فى الشرق الاوسط وبخاصة مرافق البترول .

٨ ــ الرد على قرار سحب تمويل السد العالى ..

وبالنسبة لفرنسا :

١ ــ ضياع كل أمل لها فى استثمار اموالها عن طريق الشركة المنحلة .

٢ ــ انتهاء باقى علاقتها الفعلية بالشرق الاوسط .

٣ ــ انهيار مركزها السياسي والاقتصادى سواء أمام الرأى العام المحلى أو أمام الرأى العالمى .

٤ ــ ضربة قوية فى معنوية قوانها المقاتلة فى الجزائر .

٥ — زيادة فى تكاليف الانتاج الصناعى والزراعى والخدمات العامة بما يزيد ارهاق الشعب الفرنسي ، الذى أرهقته فعلا تكاليف حرب الجزائر ، وكذلك حرب الهند الصينية من قبل .

٦ — احتمال تأثر موقف فرنسا فى مستعمراتها الافريقية نتيجة لنجاح مصر فى حركة التأميم .

وبالنسبة لاسرائيل :

١ — زيادة فى قوة مصر السياسية والعسكرية والاقتصادية .

٢ — رفع الروح المعنوية للغرب فى كل مكان ، والامل فى أن يؤدى نجاح التأميم الى توحيد جبهة الأمة العربية .

٣ — ضياع فرص الحصول على معلومات عن امكانيات مصر وقواتها فى سيناء أو فيما وراء القنال غربا بعد التأميم ، اذ كانت اسرائيل تعتمد كثيرا على شركة القناة المنحلة كمصدر دقيق خطير فى تجميع المعلومات عن مصر من كل الوجوه ، مما كان له أثره الخطير على عمليات الجيش المصرى فى سيناء عام ١٩٤٨ وما بعد ذلك ..

٤ — تأكيد وتثبيت عزم مصر على منع اية محالاوت تقوم بها اسرائيل لاجتياز قناة السويس ..

وبالنسبة لأمريكا :

١ — ضربة مضادة لقرار سحب التمويل للسد العالى .

٢ — ابعاد نفوذ الغرب عن مباشرة الاشراف — بأية صورة كانت — على الملاحة فى القناة بالرغم من كثرة مصالح الغرب فى الشرق الاوسط .

٣ — حرمان الدول الغربية من المعلومات التى كانت تمدها بها الشركة المنحلة عن النشاط التجارى للدول الاخرى مع الشرق الاقصي والاوسط واوربا .

٤ — حرج موقفها ازاء اية محاولة لها ، لتأييد أو مساعدة اسرائيل .

٥ — تحرج موقف حليفتها فرنسا وبريطانيا سواء بالنسبة لعلاقات الولايات المتحدة بحلف شمال الاطلنطى أو بحلف بغداد ، واعتماد دول الاطلنطى على البترول الذى سينقل من الشرق الاوسط عن طريق قناة السويس .

وكان هناك عامل مشترك التقت عليه مخاوف هذه الدول .. وهو ان تأميم شركة قناة السويس كان انتصارا رائعا لسياسة الرئيس جمال عبد الناصر وتثبيتا عمليا لمكانته فى نفوس العرب ، بل وفى نفوس كل المجاهدين من أجل حرياتهم ضد الاستعمار ..

فاعتبرت هذه الدول أن قرار التأميم كان ضربة شخصية وجهها الرئيس جمال عبد الناصر الى كل من وقف ضده فى مطالبه سواء لتسليح الجيش أو لتمويل السد العالى .. ومن هنا زاد العداء الشخصي الذى يحمله كبار رجال الغرب للرئيس المصرى ، لأنه استطاع أن يهزمهم ويفاجئهم بالرغم من تكتلهم وسابق تدبيرهم .

ولذلك بدأت خطط الغرب تأخذ اتجاهها وهدفها للقضاء على « ناصر » .

وأما بالنسبة للأمة العربية ..

فكان تأميم شركة القناة مرحلة جديدة فى تطور الوعى القومى بها بصفة عامة ، وفى مصر بصفة خاصة ، اذ فتح آفاقا جديدة لمفهوم التحرر الاقتصادى واستكمال التحرر السياسي ، فكان التأميم أسلوبا عمليا للقضاء نهائيا على مخلفات الاحتلال والاحتكار والاستغلال من جانب القوى الاستعمارية .. كما كان تطبيقا عمليا وممارسة واقعية للسيادة الذاتية والثقة بالنفس .

وبالنسبة للعالم ..

لم يقتصر تفسير معنى التأميم على منطقة القنال وحدها .. ولا منطقة الشرق العربى فحسب .. بل كان له أثر عميق فى جميع أرجاء العالم ، تردد صداه بسرعة فى كثير من المناطق .. فقامت حركة جديدة فى اندونيسيا لتأميم المرافق الكبرى التى كانت تحتكرها هولندة .. ونشطت حركات المطالبة بتأميم المؤسسات والمرافق العامة فى دول امريكا اللاتينية ودول آسيا .. وكان المعنى العام وراء كل هذه الانعكاسات القومية هو .. اتجاه الشعوب المهضومة الى التحرر الفعلى من سيطرة رأس المال الاجنبى والحكم الاستعمارى . **فكان تأميم القناة فى مصر ايذانا بفتح عالم جديد فى دنيا التعامل السياسي .. وكان أيضا نقطة تحول بارزة فى تحديد العلاقات بين الدول الكبرى والدول الصغرى .**

وكان متوقعا أن تفهم حــــركة التأميم لدى كل دولة بالمعنى الذى يخصها من حيث مدى تأثيره على أهدافها أو من حيث مخاوفها من مضاعفات التأميم بالنسبة لمصالحها ، لا فى مصر فحسب ، بل فى كل بقاع العالم . أو قد تفهم تلك الحركة على انها تحريض للدول التى ترى فى التأميم متنفسا لها على الاقتداء بما فعلت مصر .. وكان لا بد أن تصطدم هذه المشــاعر المتعارضة فى فهم واستقبال حركة تأميم شركة قناة السويس .. اى أنه كان متوقعا أن يحدث صراع عنيف بين جبهة القوى الاستغلالية التى تمثلها الدول الاستعمارية فى شخص بريطانيا وفرنسا بالذات ، وبين جبهة القوى التحررية التى تمثلها الدول الواعية الى استكمال سيادتها واستقلالها وبناء كيانها فى شخص مصر ..

ولذلك أوضحت الحكومة المصرية للعالم كله تأكيدها على احترام وتأمين حرية الملاحة فى القناة المؤممة ، بل واعلنت عزمها على تحســين المرفق بما يكفل مضاعفة طاقته وصلاحيته لخدمة النقل البحرى ، ومن ثم لخدمة الاقتصاد العالمى ذلك الامر الذى أهملته الشركة المنحلة والتى عبثت به من أجل مطامعها الذاتية .. وقد تضمنت سلسلة البيانات والتفسيرات التى أعلنتها مصر (سواء عن طريق الحكومة أو عن طريق الهيئة الوطنية الجديدة التى تم تشكيلها يوم ٢٦ يوليه لمباشرة ادارة مرفق القناة ..) تضمنت هذه البيانات أمثلة واقعية عن تقصير الشركة المنحلة وعدم وفائها بالالتزامات القانونية التى ارتبطت بها لتحسين وصيانة المرفق .

فقد كان المفروض — مثلا — أن تقوم الشركة القديمة — وفقا لما ورد فى العقد المبرم معها عام ١٩٥٦ — فى تحويل بحيرة التمساح الى ميناء داخلية صالحة لرسو اكبر السفن حمولة .. وفى اعداد ميناء بور سعيد لمسايرة احتياجات التجارة العالمية ..

فقد أشير الى هذه (العبارة بالذات) فى العقد الذى أعيد ابرامه بين الشركة وبين حكومة عام ١٩٠٢ .

ومعلوم أن اعداد ميناء التمساح لرسو أكبر السفن حمولة كان يقتضي استمرار تحسينها وتعميقها واطراد هذا التطور مع تطور صناعة الســفن وكذلك الشأن بالنسبة لميناء بور سعيد ، ولكن الشركة المنحلة تجاهلت هذا الالتزام ، ولم تفكر فى الوفاء به بالرغم من مضي ١٠٠ سنة تقريبا على توقيعه لأول مرة عام ١٨٥٦ مما أضاع الكثير من الفائدة على مصر فقــد اكتفت الشركة باستنزافه بأقل تكاليف وأقل جهد من جانبها ، بالرغم من مطالبة مصر لها بالوفاء بشروط التعاقد ، مما كان سببا رئيسيا فى التفكير

فى التأميم كوسيلة مباشرة لاسترداد الحقوق التى اضاعتها الشركة حماية للاستعمار الذى استغل الشركة كجهاز للتجسس المحلى لحسابه على سلامة الدولة ، ولم تستطع مصر قبل الثورة أن تكسب شيئا من حقـــوقها لخضوعها للاستعمار وعملائه من الحكام الذين حكموها طوال السنين التى سبقت ٢٣ يوليه ١٩٥٢ .

ومرت الايام مشحونة بالقلق والتوتر وهاجت الصحافة الغـــربية واشعلت ثورة عنيفة منظمة بين الرأى العام فى بلادها لتمهد بذلك الى الاقتناع بضرورة اتخاذ اجراء تأديبى لمصر جزاء ما اقدمت عليه مما هدد مصالح الغرب واقتصاده ورفاهيته .. بل بما مهد لقيام حالة من التوتر فى الشرق الاوسط قد تؤدى الى حرب عالمية ثالثة .. واســــتمرت الصحافة العالمية المأجورة للدعايات الصهيونية والاستعمارية تضرب على هذا التوتر ، وبخاصة فى تلك الظروف التى كانت الحرب الباردة فيها قد بلغت ذروتها بين الكتلتين الشرقية والغربية .. وكان طبيعيا أن تنعكس صورة هذه الثورة المدبرة على ميدان المعـــركة القادمة .. على قنـــاة السويس .. أى على مصر .. فبدأت الاستعدادات الشاملة فيها لمواجهة احتمالات المؤامرات الاســــتعمارية تتم فى هدوء وثقة ، وكانت الروح المعنوية ، روح الثقة بالنفس والعزة والكرامة ، قد غمرت كل المواطنين. فكنت ترى رجل الشارع مرفوع الرأس ، يتطلع فى ثقة الى غده الباسم بعد تأميم شركة القناة .. وكنت ترى الجندى البسيط ، والعـــامل فى مصنعه والموظف الصغير فى مكتبه يحدثك عن تاريخ القناة وعن حقه فيها وعن عزمه على افتدائها بحياته ، بعد أن عادت اليه بتلك الصورة الكريمة التى خططها ونفذها جمال عبد الناصر ..

وتطورت الأحداث السياسية بين لندن وباريس وواشنطن لمحاولة انقاذ ما يمكن انقاذه بعد أن أكدت مصر عزمهـــا على الدفاع عن قرارها وحقها .. فقامت محاولات لتكوين جمعية المنتفعين بقناة الســـويس ، واعلن ايدن فى مجلس العموم .. أن الجمعية ستستخدم مرشـــديها ، وستتعهد ــ باعتبارها جمعية اختيارية ــ بأن تقوم بممارسة حقوق الدول المنتفعة بالقناة ، وسيطلب من السلطات المصرية التعاون مع هذه الجمعية لزيادة عدد السفن المارة بالقناة الى الحد الاقصى ، وقال رئيس الوزارة البريطانية يهدد مصر فى تلك الجلسة : ــ

« ان مصر لو تدخلت فى العمليات التى تقوم بها جمعية المنتفعين أو رفضت أن تظهر لها الحد الأدنى من التعاون الضرورى الذى لابد منه ..

فان هذه الحكومة تكون قد انتهكت اتفاقية عام ١٨٨٨ وفى هذه الحالة فان حكومة صاحبة الجـــلالة البريطانية وغيرها من الحكومات المعنية سيكون لها حرية اتخاذ الخطوات الاخرى التى تبدو ضرورية » .

وهكذا اتضح اتجاه السيـــاسة البريطانية وما تضـــمره من نية العدوان ، ولكن متى سيكون هذا العدوان ؟ وكيف سيكون أسلوب تنفيذه ، ومن الذى سيشترك فيه ؟

كانت هذه الاسئلة حديث كل فرد ، وكان متوقعا أن يكون لاسرائيل دور خاص فيه ، وانهـــا ستكون أداة للعدوان وستنتهز فرصـــة الحيرة الكبرى التى ترددت فيها بريطانيا وفرنسا لتحقق أطماعها .. اذ لابد أن يكون لها نصيب من الكسب اذا نجحت الدولتان فى خطتهما ضد مصر .

وفى الوقت الذى نشـــطت فيه المناورات السياسية بين بريطانيا وفرنسا .. كانت طلائع العدوان فى طريقها الى مالطة وقبرص كما نشطت سفارات بريطانيا وفرنسا نشاطا غير عادى فى دول الشرق الاوسط وعلى الأخص فى الدول العربية .. ولم يخف هذا النشاط على الكثيرين ، اذ أمكن رصده وملاحقته واستشفاف خطواته وآثاره أولا بأول .

فقد حدث أن سافر من تل أبيب الى قبرص ثلاثة من كبار ضـــباط اسرائيل واجتمعوا بالجنرال هاردنج والجنرال سير رتشارد جيل . وكان ذلك عقب عقد المؤتمر السياسي الخاص بين ايدن وجى موليه وسلوين لويد وكرستيان بينو ، وفى الوقت نفسه حدث أن استفسر السفير البريطانى فى عمـــان من وزير خارجية الاردن « عمـــا ستتخذه إلمملكة الأردنية الهاشمية من اجراءات لحماية الاجانب اذا نشـــب قتال فى منطقة قناة السويس » وكان جواب الوزير الاردنى « انه اذا كانت اسرائيل ستشترك فى هذا القتال فان الجيش الاردنى سيخوض المعركة وعندئذ لن يستطيع الوزير أن يتكهن بنتيجة ثورة الشـــعور الشعبى ازاء الاجانب والمطارات الانجليزية والمنشآت العسكرية » .

وكان هذا الرد بمثابة انذار صريح لبريطانيا ترتب عليـــه أن أجاب السفير « بأن المطارات الاردنية التى تحتلهـــا القوات الجوية البريطانية لن تستخدم ضد مصر » ولكن لم يستطع السفير أن يخفف شعوره وحنقه فأعلن فى حفلة خاصة بمنزل أحد الضباط البريطانيين فى الجيش الأردنى بمدينة الزرقا « بأنه بات متوقعـــا قيام بريطـــانيا باحتـــلال مصر .. وان اسرائيل مستعدة هى الاخرى ، اذا لم توفق لجنة منزيس فى مهمتها

بمصر من أجل اقناع حكومة « ناصر » بالتساهل المعقول فى موقفها من قضية التأميم » .

ولقد تأيدت هذه النوايا بصفة مبدئية عندما نشطت حركة الحشد فى جزيرة قبرص وحركة الدوريات البحرية البريطانية أمام الشاطىء ، وبدأ حشد بعض الوحدات والمعدات الميكانيكية فى ليبيا .

أما من جانب فرنسا فقد ارتبطت فعلا باسرائيل ارتباطا كاملا وأكد كريستان بينو وزير الخارجية الفرنسية بأن حكومته ستكون دائما على استعداد لمساعدة اسرائيل ، وتأكد ذلك بارسال مجموعات ضخمة من طائرات القتال الفرنسية النفاثة من طراز «ميستير» الى اسرائيل . وبذلك انتهكت فرنسا الميثاق الثلاثى الذى التزمت به مع بريطانيا وأمريكا بشأن حظر ارسال أسلحة الى الشرق الاوسط . بل وتمادت فرنسا الى أبعد من ذلك ، اذ أرسلت بعثة عسكرية فرنسية من الطيارين والخبراء للاستعانة بهم فى تدريب قوات اسرائيل بل وفى استخدام الطائرات اذا حل موعد العدوان قبل استكمال تدريب الضباط الاسرائيليين .

واختتمت هذه الإجراءات من جانب فرنسا لمساعدة اسرائيل بتوقيع اتفاقية سرية عسكرية فى ١٠ من أكتوبر فى باريس وقعها مسيو آبل توماس عن فرنسا . والمستر بيريه عن اسرائيل .

فرصة ضاعت على بريطانيا :

وكان ممكنا لبريطانيا — لو صلح تفكيرها — أن تثير فرنسا واسرائيل على مصر وأن تتركهما للقيام بالعدوان المسلح عليها وكان يمكن لكل من الدولتين أن تجد لعدوانها مبررا .

فاسرائيل كانت تريد لنفسها حرية الملاحة فى القناة وقد عجزت عن تحقيق هدفها وقت أن كانت الشركة المشرفة عليها تحت سيطرة الفرنسيين والانجليز .. فماذا سيكون أملها ومستقبلها فى الملاحة بالقناة بعد أن تأممت الشركة وأصبحت مصر وحدها هى المسيطرة الفعلية على حركة الملاحة فى القناة ؟

وفرنسا قد خسرت الملايين بسبب ضربة التأميم وبسبب تأييد مصر للأحرار الجزائريين .

وكان قيام فرنسا بالهجوم على مصر من شأنه أن يتيح لبريطانيا فرصة للمطالبة بعودة قواتها الى قاعدة قناة السويس ، وفقا لما تضمنته

اتفاقية الجلاء التى جاء فيها أن لبريطانيا أن تعود بقـــواتها الى قناة السويس خلال ٧ اعوام من تاريخ توقيع الاتفاقية فى حالة تعرض مصر للهجوم على أراضيها من أية دولة معادية ، عدا اسرائيل .

ومعنى ذلك انه اذا طالبت بريطانيا بعودة قواتها ، فســيكون أمام مصر احتمالان : أولهما أن تقبل هذا الطلب ، وبذلك تعود بريطانيا الى القناة دون قتال .. وثانيهما — وهو المنتظر — فهو أن ترفض مصر هذا الطلب ، وبذلك سيكون أمام بريطانيا حجة قوية لتطالب مصر بتنفيذ شروط اتفاقية الجلاء ، وأن بريطانيا « مضطرة » لاستخدام قوتها حتى تنفذ هذه الشروط .

ولكن كان سوء تصرف ايدن وحكومته ، من أثر حنقه الشخصي على الرئيس جمال عبد الناصر سببا فى غياب هذا الاسلوب عنه ، مما أوقع بريطانيا فى مأزق حرج أضاع كل ما كانت تتمسك به من أوهام أو آمال فى العودة الى القناة بصورة او بأخرى أو حتى الارتباط بعلاقة طيبة مع مصر .. اذ كان مسلكها العدوانى الغادر سببا فى تخلى مصر عن كل التزامات اتفاقية الجــلاء واســـتيلائها على كل المهمات والمعــــدات البريطانية التى كانت فى مخازن قاعدة القنال باعتبارها غنيمة حرب ..

وبدأت اسرائيل من الاسبوع الاول من أغســطس تمارس مقدمات دورها المنتظر فى الخطة العدوانية فنشطت دورياتها فى الجبهة الشرقية أمام قطاع غزة وأمام حدود الأردن وأمام منطقـــة العوجة ، وزادت حدة هذا النشـــاط بعد ان تيقنت اسرائيل عزم فرنســا — بصفة خاصة — على الاشتراك معها فى العدوان المنتظر على مصر ، والذى قدر مبدئيا أن يكون فى أوائل نوفمبر ، فى الوقت الذى تكون أمريكا فيه مشــــغولة بانتخاباتها التقليدية لرياسة الجمهورية .. وفى الوقت الذى يرجح أن تكون فيه روسيا متورطة فى مشـــاكل أوربا الوســـطى فى بولندة والمجر .. قبل أن تحكم الاردن الوزارة الجديدة التى قد تســفر عنها انتخابات ٢١ من أكتوبر والتى يخشى أن تكون موالية لمصر ، ولذا وجب أن يكون العدوان مبكرا قبل أن يستقر الامر لهذه الحكومة باتفاق ما مع مصر . وقبل أن تسيطر فعلا على الجيش الاردنى سيطرة فعلية لتجعل منه جناحا وقائيا مساعدا للقوات المصرية .

مؤامرات الغرب :

وكان هناك خلاف بين بريطانيا وفرنسا فى مســألة موقف الاردن وقتئذ ، فقد رأت بريطانيا أن تتظاهر اسرائيل بنشاط خداعى ضد الاردن مما يثير فكرة ارسال قوات عراقية اليه بحجة المحافظة على حدود الاردن ضد الخطر الصهيونى .. وعندئذ تتمكن القوات العراقية فى الاردن من السيطرة على الانتخابات الاردنية بما يكفل تشكيل حكومة موالية لبريطانيا والعراق ، أى لحلف بغداد ، الامر الذى يعزل الاردن عن مصر وسورية ، وبذلك تتفرغ القوى الغربية كلها لمصر « المعزولة » ولكن كان لابد لهذه السياسة أو لهذه الخطة البريطانية من أن تحظى بموافقة فرنسا ، ولكن فرنسا رفضتهــا نظرا لخوف اسرائيل أن يكون دخول القوات العراقية للأردن نقطة تحول كبيرة لاثارة الشعور المحلى العربى ضد اسرائيل اذا ما اشتركت فى عدوانها مع فرنسا على مصر .. أى أن دخول القوات العراقية قد يؤدى الى كارثة على سلامة اسرائيل بدلا من أن يكون سببا فى عزل الاردن عن مصر .

ففشلت هذه الخطة للخلاف بين المتآمرين فى وجهات النظر .

وبدأت فرنسا تقدم مقترحاتها من أجل القضاء على نظام الحكم فى مصر ولكن هذه المقترحات لم تلق أى قبول من ساسة بريطانيا بالرغم من اتفاق الدولتين فى هدفهما المشترك الذى أبقى على مظهر التعاون العام بينهما فيما بعد .

وكان على اسرائيل أن تواصل اســـتعدادها فى تدريب قواتها وحشدها واعداد مواردها للدور الذى تنتظر أن تقوم به بصرف النظر عن تفاصيل معالم هذا الدور الذى سيكون فى مضمونه العام .. اعتداء على مصر ، وكانت تشــعر بوطأة الخلاف بين وجهتى النظــر البريطــانية والفرنسية ، ولم تكن تعلم تمامــا كيف سيتم الاتفاق بينهمــا على الخطة المشتركة المنتظرة ، فأرادت أن تقوم من جانبهــا باجراء بارز يلفت نظر الدولتين الى أهمية الدور الذى يمكنهما اسناده الى جيش اسرائيل .. ومن جهة أخرى فقد ارادت اسرائيل أن تباشر مظهرا من النشاط لحسابها الخاص حتى تختبر به مدى ما يمكن للأردن ومصر من التعاون معا تجاه أى عدوان اسرائيلى على الدولتين .. فبدأت بنشاطهـــا العدوانى على الاردن لاغراض كثيرة أرادت أن تحققها بضربة واحدة :

اذ أرادت سبر غور جدية التعاون بين القوات المصرية والاردنية .

واثارة بلبلة محلية فى الاردن تشغل اهله عما تنويه اسرائيل مستقبلا ضد مصر مما يؤمن ظهرها فى هجومها على سينا ، واثبات وجودها وقوتها لكل من فرنسا وبريطانيا حتى تطمئن الدولتان الى اشراكها معهما فى خطتهما ضد مصر .

وفى تلك الفترة بالذات كان ايدن يفكر فى أن يشن حملته العدوانية وحده على مصر بعد أن ضاق ذرعا بالمقترحات والشروط الفرنسية ، وبعد أن عجز عن الوصول الى اى اتفاق مع الولايات المتحدة بشأن مشكلة القناة ، مما أثار أعصابه ودفعه الى محاولة العمل لحسابه الخاص بالهجوم المباشر على مصر .. ومهد لذلك بارسال دوريات جوية وبحرية بصورة ملحوظة لاكتشاف الساحل المصرى ومنطقة القناة أمام بور سعيد علاوة على مضاعفة تكديس المهمات والمؤن فى ليبيا ومحاولاته المتعددة للحصول على موافقةحكومة ليبيا على السماح لقواته بالتحرك منقواعدها بها فى زحفها على مصر .. وارسل من أجل ذلك حوالى ٢٠٠ ناقلة للدبابات للمساعدة فى تحريك فرقته المدرعة منطبرق الى الحدود المصرية مستقبلا .

كما بدات مشاة الاسطول البريطانى فى مالطة بالتدريب على اعمال الغزو والاقتحام من اجل احتلال ميناء الاسكندرية بالذات . ودارت مناقشات كثيرة حول الاستعداد فى ليبيا .. باعتبارها متاخمة لمصر ومشتركة فى حدودها معها ، مما يسهل على القوات البريطانية التحرك الى القاهرة عبر الصحراء الليبية بمساعدة الطيران والهابطين بالمظلات ، وبخاصة ان بريطانيا كانت تقدر وتتوقع أن يكون الدفاع المصرى مركزا على وجه الخصوص فى منطقة القناة وفى شبه جزيرة سيناء مما يسهل معه الهجوم من جبهة ليبيا .

وكانت القيادة البريطانية تدرس كيفية التغلب على مشكلة النقل فى ليبيا الى الحدود المصرية وما بعد هذه الحدود الى الاسكندرية مثلا أو القاهرة . وكانت المشكلة هى فى قلة كفاية سكة حديد ليبيا ، اذ لم يكن متوافرا لها سوى ١٥ عربة سكة حديدية للنقل ولم يكن هناك أية ورشة لضمان اصلاح القاطرات والعربات ، ورفض الملك ادريس السنوسي أن تكون بلاده قاعدة لتهديد مصر أو الهجوم عليها. .وكان هذا الرفض بجانب المشاكل الادارية التى واجهتها القيادة البريطانية سببا فى أن يعود ايدن مرة اخرى الى الاخذ بفكرة الاشتراك مع فرنسا واسرائيل فى عملية مشتركة واسعة ، تبدأ من حدود سينا الشرقية الى القناة الى الاسكندرية فالقاهرة ، وكان يرى فى هذا الاتجاه الجديد أملا فى تصفية متاعبه ومخاوفه

من الموقف الذى تورط فيه ، وبخاصة بعد أن فشل فى ضـم الاردن الى حلف بغداد ، كما فشل فى سياسته التى مهد بها ارسال قوات عراقية الى الاردن ، الامر الذى عارضته فرنسا واسرائيل على السواء .

وقد دارت هذه الأمور بين لندن وباريس وتل أبيب فى جو مشحون بالتوتر والقلق ، وبخاصة بعد أن فشلت مؤتمرات لندن ولجنة منزيس ومحاولات مجلس الأمن للوصول الى حل خاص يضمن رضا كل الاطراف المعنية بقضية قناة السويس .. واكفهر الجو على نحو ينذر بالخطر فى اية لحظة .. ولكن كان احتمال قيام حرب جدية بعيد التصور ، نظرا لأن وقوع أى صدام مسلح واسع المدى فى منطقة قناة السويس سيؤدى حتما الى أزمة عالمية قد تمهد لحرب عالمية ثالثة ، الامر الذى لا يرضاه العالم ، والذى سيترتب عليه مضاعفات وأخطار جسـام على الدول الكبرى لاتقاس اليها أخطار تأميم القناة كما تراءت لاوهام هذه الدول .. اذ كان معروفا أن قيام الحرب فى منطقة القناة سيؤدى الى تعطيلها وتوقف الملاحة بها ، الامر الذى سيمتد خطره المباشر الى أوربا الغربية بصفة عامة والى بريطانيا وفرنسا على وجه الخصوص . ولكن كانت بوادر الحرب تقترب رويدا رويدا ، وكان الامل أن تكون هـذه البوادر مظهرا للضغط أو الارهاب المعنوى . واستمرت هذه الظواهر والاستعدادات تتزايد يوما بعد يوم ، وأصبح موقف القوات المحتشدة للعدوان موزعا كما هو مبين فى الفصل التالى .

الفصل الثانى

توزيع القوات قبل العدوان

كانت القوات البريطانية والفرنسية موزعة قبل العدوان بين قبرص ومالطة وليبيا والجزائر والبحر الاحمر واستمرت عملية الامداد والحشد مستمرة بين هذه القواعد الهجومية وبين القواعد الرئيسية فى فرنسا والجزيرة البريطانية ، وكان موقف هذه القوات فى يوم ٢٥ من سبتمبر كالآتى :

القوات البرية

أولا — فى قبرص :

حشدت بها من القوات البريطانية الوحدات الآتية :

مجموعتان للوائين من المشاة (رقم ٥٠ ، ٥١) فى نيقوسيا وفيماجوستا .

عشر كتائب مشاة حول نيقوسيا ، وعلى الساحل الشمالى والساحل الجنوبى وفى المنطقة الوسطى .

آلاى سيارات مدرعة موزعا بين نيقوسيا وفيماجوستا وليماسول .

٢ آلاى مدفعية ميدان فى فيماجوستا وليمنى .

١ آلاى مدفعية متوسطة فى باقوس .

١ آلاى مدفعية مضاد للطائرات خفيف	موزعين حول المطارات ومستودعات البترول فى لارنكا .
١ آلاى مدفعية مضاد للطائرات ثقيل	

مجموعة اللواء السادس عشر للهابطين بالمظلات فى منطقة نيقوسيا ومع هذه الوحدات كل العناصر الادارية اللازمة للخدمة فى شئون النقل والصيانة والتموين .

كما تم حشد بعض **القـوات الفرنسيــة** فى قبرص ، وتضمنت الوحدات الآتية :

اللواء العاشر لجنود المظلات فى منطقة جنوب غرب مطار تمبو . وكتيبة من الفرقة الأجنبية .

ثانيا — أما القوات التى حشدت فى مالطة فقد تضمنت :

مجموعة اللواء الثالثة المشاة بكتائبه الثلاث .

كتيبة مشاة اضافية .

لواء من الفدائيين البحريين (الكوماندوز) كاملا بكتائبه الثلاث

آلاى سيارات مدرعة .

آلاى خفيف مدفعية مضادة للطائرات .

آلاى ثقيل من المدفعية المضادة للطائرات .

وحدات مختلفة من مدفعية الميدان .

وحدات ادارية متنوعة لخدمة هذه القوات .

ثالثا — فى ليبيا : تجمعت القوات الآتية :

رئاسة الفرقة العاشرة المدرعة .

آلاى دبابات سنتوريان فى سبراته بطرابلس

آلاى دبابات سنتوريان فى المرج ببرقه .

آلاى مدفعية ميدان ٢٥ رطلا فى طرابلس .

ورش ومستشفيات ومهمات المهندسين ووحدات خـدمة الجيش

موزعة فى منطقتى طرابلس وبرقة ، وبخاصة بعد اضافة العربات الناقلة للدبابات واستكمال حاجة كل هذه القوات من الذخائر للحرب .

رابعا — فى الأردن : كانت قوات بريطانيا موزعة فيه كالآتى :

آلاى دبابات ثقيلة من طراز سنتوريان فى العقبة (عدا أورطة) . الأورطة الباقية من آلاى الدبابات السنتوريان فى معان ومعها ســرية مشاة وفصيلة رشاشات متوسطة فى العقبة ، بطارية مدفعية ميدان ٢٥ رطلا وثروب مدفعية مضادة للدبابات ١٧ رطلا فى العقبة ومستودعات مهمات وذخيرة وعربات لاعمال النقل والتموين فى الزرقا ، ٥٠ عربة ناقلة للدبابات الثقيلة فى العقبة .

خامسا — وأما فى عدن : فقد حشدت بها كتيبتان من المشاة .

وبالنسبة **للقوات البحرية** التى حشدت فى المدة نفســها وفى هذه القواعد نفسها فكانت كالآتى :

أولا — أسطول البحر الأبيض المتوسط موزعا بين قبرص ومالطة بصفة اساسية علاوة على القطع التى كانت راســية فعلا فى موانى طولون ووهران بالجزائر ، جاهزة تحت الطلب . وكانت القطع الانجليزية مكونة من :

٤ حاملات طائرات (ايجل ، ثيسوس ، بلوراك ، ألبيون) .

٥ طرادات .

١٢ مدمرة .

٧ غواصات .

٩ كاسحات الغام .

٢ « باثة الغام » .

١١ ناقلة للجنود .

١١ سفينة شحن للدبابات .

٢ « سفينة ورشة صيانة » .

٢ « سفينة تموين وامدادات »

٣ ناقلات للبترول .
١٤ زورقا حربيا صغيرا . في طبرق .
٨ زوارق حربية كبيرة .

أما **القوات الفرنسية** فكانت مؤلفة من :

١ البارجة جان بارت (التوأم للبارجة ريشيليو) .
٢ « حاملة طائرات » (لا فاييت ، أرموتاش) .
٢ « طرادات » (جورج ليجوس ، دى جراس) .
٤ مدمرات .
٨ فرقاطات .
٣ غواصات .

ثانيا — وكان أسطول البحر الاحمر مكونا من :

١ طراد نيوفولاند .
٢ « مدمرة » (ديانا أخرى من طراز دارنج) .
٢ « سفن تموين » .
وبعض سفن ناقلة للزيت .

وكانت مجموعة هذه القطع تعتمد على قاعدة عدن كمركز رئيسي لها .

أما بالنسبة **للقوات الجوية** فقد كان توزيعها كالآتى :

في قبرص :

٣ « سرب فينوم » .
٢ « سرب مقاتلات متيور »
٥ طائرات متيور للتصوير في مطار أكروتيرى
٥ طائرات كانبرا للتصوير
٣ طائرات أنسون للنقل الداخلى

٢ « سرب هنتر »
٢ « سرب فامبير »
١ « سرب هليوكوبتر »
٣ « سرب نقل جنود »
في مطار نيقوسيا

سرب نقل طائرات فرنسية في مطار تمبو .

وفي مالطة كان بها :

٤ « سرب قاذفات قنابل نفاثة كانبرا » (٦٠ طائرة) .

١ سرب فينوم .

ملاحظة : (وكل هذا بخلاف الطائرات الموجودة على حاملات الطائرات الأربع السابق ذكرها) .

وفي ليبيا كانت هناك :

.. بعض الطائرات من طراز متيور وكانبر وطائرات النقل في مطار العظم .

وفي الأردن : سرب من طائرات فينوم
واعداد من طائرات متيور وفامبير
في مطار عمان

وهذا علاوة على الاهتمام الخاص الذي أبدته بريطانيا بتحسين مطار المفرق استعدادا لاستقبال كل أنواع الطائرات وامداده بالمخازن اللازمة لذخيرة الطائرات النفاثة وقطع الغيار اللازمة .

وفي عدن : حشد بها :

٢٥ طائرة فينوم

١٥ طائرة فامبير

٦ طائرات هنتر

٣ طائرات كانبرا

واما بالنسبة **للقوة الجوية الفرنسية** فكانت موزعة بين حاملات

الطائرات (لافاييت ، أرموتاش) وبين ميناء طولون وبين قواعد اسرائيل . اذ أن فرنسا لم تكتف بارسال الطائرات الى اسرائيل ، بل أرسلت طياريها الى مطارات اسرائيل للخدمة فيها بجانب قيامهم بتدريب الطيارين الاسرائيليين .

وقد رئى أن الحشود البريطانية كانت بطبيعتها اكثر عددا ، وقد اقتضي أمر تجميعها بتلك الصورة الى سحب بعضها من قواعدها فى المانيا الغربية ، بل والى استدعاء قوات كثيرة من الاحتياطى العام فى بريطانيا .

وبدأت عملية التدريب تدخل طور التنفيذ الجدى ، واشتركت القوات الفرنسية والبريطانية فى قبرص فى هذا التدريب على العمليات المشتركة ليلا ونهارا وخاصة فيما يتعلق بتكتيكات الهابطين بالمظلات ورجال الغزو من الفدائيين .

وبجانب ذلك ضاعفت بريطانيا نشاطها فى قبرص ومالطة لتوفير التموين والترفيه . وبدىء فى البحث والتنقيب عن موارد جديدة لمياه الشرب فى قبرص بعد أن زادت الطاقة الاستهلاكية عن امكانيات الموارد الموجودة بها .. **وكان من جراء البحث عن موارد المياه أن تسربت أنباء وتفاصيل جديدة عن تطور الزيادات فى عدد وأحجام القوات المحتشدة فى قبرص .. مما كان ينذر باقتراب العاصفة ..**

أما بالنسبة **لاسرائيل** فقد ظلت قواتها موزعة بالقرب من الحدود ، ولم يكن هناك ما يدعو لارسال قواتها الى الحدود فى وقت مبكر ، اذ من المعلوم أن اسرائيل بحكم ضيق عمق أراضيها يمكنها تحريك قواتها من أى جزء منها الى باقى أجزائها بسرعة فى أقل من يوم ، وكانت هذه الخاصية الاستراتيجية سببا فى امكان توجيه اسرائيل تهديداتها للجبهة السورية حينا وللأردن حينا آخر وللحدود المصرية أحيانا وبسرعة ، اذ توجد بها شبكة جيدة من طرق المواصلات التى شقها الانجليز فى عهد انتدابهم على فلسطين لخدمة تحركاتهم الاستراتيجية فى أثناء الحرب العالمية الثانية بين العراق والأردن وسورية ومصر .

ولهذا ظلت قوات اسرائيل فى قواعدها ومراكزها ، وان كانت قد اتخذت مظاهر مختلفة للاستعداد ، سواء من ناحية استدعاء بعض قواتها الاحتياطية .. أو من حيث التدريب المتواصل على الاسلحة والطائرات الفرنسية .

وكان التوزيع العام للقوات الاسرائيلية على الجبهة السورية

والاردنية ، فى منطقة ممر القدس ، وخلدة ، وصرفند ، والرملة وعاقر ، علاوة على القوات الموزعة على حدود لبنان الجنوبية الى بحيرة طبرية وكذا بين صفد ، ورشـــبينا . وكذلك القوات التى كانت موجودة فى المثلث من عفولة وبيسان وجنين ومنطقة القدس .

أما بالنسبة لتوزيع قواتها أمام الجبهة المصرية فقد حاولت اسرائيل عدم البدء فيه الا قبل العدوان بأيام قليلة كمظهر من مظاهر التكتم والمفاجأة.

التخطيط للعدوان

بينما كانت المحاولات والمناورات السياسية تدور فى ذروتها بين الدول الكبرى سواء بالاتصالات المباشرة فيما بينها .. أو بين أروقة المنظمات الدولية .. فى مجلس الامن وفى البنك الدولى .. وفى محكمة العــدل الدولية فقد كانت الاستعدادات العسكرية مستمرة بدورها بين قــواعد بريطانيا وفرنسا من جانب ، وفى قبرص ومالطة واسرائيل وعدن من جانب آخر .. وكانت بريطانيا أكثر حماسة للأخذ بفكرة الاجراء العسكرى لتصفية الموقف المائع الذى تورط فيه ايدن وحكومته أمام الرأى العام البريطانى ، وكان ايدن شخصيا يميل الى هذا الاجراء اعتقاداً منه بأنه لن يطول أمده ، بل وسيحقق الامل الكبير الذى كان يراوده فى العودة الى قناة السويس التى جلا عنها بقواته منذ أربعين يوما فقط قبل اعلان تأميمها .. ذلك أن عمداء المحافظين من أهل العقلية الرجعية الاستعمارية قد أوسعوه لوما وتندرا وتهكما ، وأفاضوا فى النواح على مستقبل الامبراطورية الذى انهار نتيجة « لحماقة » وتساهل ايدن برضوخه لمطالب « عبد الناصر » وسحب القوات البريطانية من القناة فى ١٨ يونيه سنة ١٩٥٦ ..

فكان رئيس الوزراء البريطانى يفصح عما كان يتفاعل فى صـــدره من مشاعره المختلفة تجاه الرئيس المصرى الشاب الذى كسب منه جولة الجلاء وجولة عدم انضمام الاردن الى حلف بغداد .. وكذا جولة التأميم التى كانت هى القاضية .. فكان ايدن يتعجل بنفسه اجراءات استدعاء القوات الاحتياطية ، وترحيل الوحدات العسكرية الى مالطة وقبرص ، وكان كثير القلق حول مستقبل الرصيد البترولى فى الجزيرة البريطانية ، اذ كان يتصور أن الرئيس عبد الناصر بعد أن تهدأ ثورة التأميم سيتخذ خطـــوة اخرى كمنع مرور ناقلات البترول عبر قناة السويس أو ربما يتخذ اجراء أخف من ذلك يحمل فى مظهره وحقيقته طابع التحكم والعنف كرفع اتاوة

المرور فى القناة ، وسيترتب على ذلك فى الحالتين تصدع كبير فى نظام الحياة العامة ببريطانيا بصفة خاصة لانها تعتمد أساسا على بترول الشرق الاوسط من اجل حياتها ، سواء فى الحقل الانتاجى أو فى محيط الخدمات العامة .

وكان هذا التفكير المضطرب الذى سيطر على ايدن هو الذى صبغ كل تصرفاته بالاضطراب والاهتزاز وعدم التركيز .. بل تمخضت عن ذلك عدة محاولات لغزو الاسكندرية وتطويقها والانطلاق المباشر الى القاهرة لاحتلالها وتصفية نظام الحكم فيها .. ولكن ايدن كان دائم التردد حتى فى الطريق الذى كان يتمنى لنفسه ان يتخذه وسيلة لبلوغ أهدافه واطفاء حقده .. اذ كان يخشى أيضا الفشل فيه ، فتكون الطامة الكبرى .. ومن أجل خوفه من هذا الاحتمال .. كان يتقبل الرأى والنصح بالانتظار لعل الظروف السياسية الدولية تتغير .. أو لعل مسلك الحكومة المصرية تجاه موضوع التأميم يتعدل .. أو لعل شكاوى الدول المنتفعة بالملاحة فى قناة السويس تزداد قوة نتيجة عجز الهيئة المصرية لادارة القناة الخ .. فكان يمنى نفسه بذلك ، وكان يرتاح الى نصائح من امهلوه عن العدوان حتى تسنح الفرصة المناسبة التى تبرر استخدامه للقوة أمام بريطانيا وأمام الرأى العام العالمى ..

ولكن مرت الايام ثقيلة .. بطيئة دون أن تبدو فى الافق بوادر احدى الاحتمالات التى كان ينتظر ايدن تحقيقها .. فبدأ سياسة جديدة من أجل اختلاق أو اصطناع هذه الاحتمالات وذلك بالتدبير لتعطيل القناة لتوريط مصر وكشف عجزها تمهيدا لاحتلال القناة عسكريا بدعوى تأمين الملاحة فيها ، وكان أول اجراء تم الاتفاق عليه بين فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة هو أن تطلب الشركة المنحلة من مرشديها القدامى الانسحاب من خدمة الهيئة المصرية وعدم التعاون معها .

وكان المفروض فى تقدير وتخطيط هذه السياسة ان تتوقف الملاحة فورا ، لعدم امكان عبور القوافل للقناة بدون مرشدين لها ، وخاصة أن هذه الخطة كانت قد تضمنت أيضا حشد أكبر عدد ممكن من السفن التجارية من مختلف الاحجام لكى تتجمع فى وقت واحد عند نهايتى القناة أمام بور سعيد — والسويس انتظارا لعبور القناة من جهتيها مما يزيد فى دقة الموقف وحرج الهيئة المصرية لادارة القناة التى لم يكن معقولا — من وجهة نظر الدول الغربية — انها تستطيع مواجهة هذا الموقف الشاذ الجديد .

ولكن كانت النتيجة لذلك عكسية تماما .. اذ استطاعت مصر الاستعانة بضباطها من القوات البحرية لمواجهة الموقف الحساس الذى نجم عن انسحاب المرشدين فجأة وبدون أى انذار سابق .. فسارت الملاحة بصورتها الطبيعية بالرغم من ضخامة عدد السفن التى حشدت فى تلك الفترة .. وكان هذا الموقف الدقيق فرصة ذهبية أثبتت فيها مصر قدرتها الفعلية على ادارة مرفق القناة فى أشد وأحرج الظروف ، بالرغم من انسحاب المرشدين بتلك الصورة المفاجئة الخسيسة التى حملت معنى التخريب وسوء النية .

ولا شك أن نجاح مصر فى اجتياز تلك الازمة .. وبتلك الصورة الهادئة دون أن تتعثر ادارتها لمرفق القناة .. كان سببا جديدا ضاعف من ثورة ايدن وجنونه .. اذ أفلتت منه الفرصة التى كان يتوق اليها .. ليستند عليها من أجل التمهيد لتبرير خطته العدوانية المنتظرة .

ولقد كانت عملية تجنيد الضباط المصريين من القوات البحرية للقيام بأعمال المرشدين عملية قاسية للغاية اذ أعطيت الاولوية لهيئة القناة على حساب نشاط وتدريب القوات البحرية .. وكان لابد من ذلك انقاذا للموقف ، ولكن الى حين .. الى أن تزول الازمة المصطنعة التى دبرتها الشركة المنحلة مع الدول الغربية صاحبة المصلحة فى تدبير كل هذه الازمات .. ولذلك اعلنت مصر استعدادها لقبول تعيين مرشدين من جميع أنحاء العالم بالشروط السخية التى سبق للشركة المنحلة أن وضعتها ولكن لم يعلن عن هذا الطلب الا بعد أن انتظمت الملاحة فعلا مما أثبت للعالم كله صدق نوايا مصر للمحافظة على المرفق وسلامة الملاحة فيه ، فكان ذلك خير دعاية لمسلك حكومة مصر والهيئة العليا لقناة السويس .. فتفتحت آفاق جديدة لكثير من المرشدين الدوليين الذين لمسوا عمليا حقائق الأمور بعد هذه التجربة ، فتقدم للامتحان بعض الالمان والايطاليين والامريكيين والبولنديين والروس للعمل كمرشدين ، وبذلك فشلت المحاولة الانجلو فرنسية عن هذا الطريق .. وضاعت على المرشدين القدامى فرصة البقاء فى وظائفهم بالرقم من وعود الشركة المنحلة لهم بصرف مرتباتهم فى باريس بصفة دائمة الى أن تنتهى عقودهم .. ولقد فات على الشركة المنحلة ، كما فات على الحكومتين الانجليزية والفرنسية أن تنفذ خطة سحب المرشدين فور اعلان التأميم .. فربما كان ذلك أكثر ملاءمة للخطة العدوانية التى استهدفت توريط مصر وكشفها بالعجز عن ادارة الملاحة فى القناة .. ولكن يبدو أن شدة الصدمة التى فوجئوا بها من اعلان التأميم وسرعة السيطرة المصرية على القناة كانت مذهلة لدرجة أنها

أعمت أبصار قادة العدوان وجمدت تفكيرهم فلم يفيقوا منها الا مؤخـرا بعد أن اعدت مصر عدتها لمواجهة كل احتمال .

وبعد أن فشلت هذه المؤامرة .. لم يكن هناك مخرج أمام لندن وباريس الا الاتجاه الصريح باستخدام القوة العسكرية لاحتلال القناة ..

ولكن كيف يتم الاحتلال ؟

ومتى يكون ذلك ؟

وفى أى اتجاه يكون البدء ؟

ومن أى مكان توجه الضربة الكبرى ؟

ومن الذى تكون له القيادة العليا ؟

وما السبب الذى يتخذ حجة لتبرير العدوان ؟

ومن المقصود به مباشرة ؟ شـعب مصر أو جمـال عبد الناصر أو القومية العربية أو الحركات الاستقلالية بصفة عامة ؟

وما المدة التى يجب أن تتم فيها هذه العملية ؟

وهناك أسئلة أخرى كثيرة ظلت بغير جواب الى ان استقر الرأى على ان يكون :

التوقيت فى نوفمبر .

والمكان فى منطقة القناة بعد ان تعذر على بريطانيا الاعتماد على قاعدتها فى ليبيا لتبدأ هجومها بسبب بعض المصاعب الادارية الخاصة بالنقل والتموين من جهة .. وبسـبب معارضة الملك ادريس السنوسي شخصيا فى أن تكون بلاده قاعدة لتهديد مصر أو الهجوم عليها ..

وبذلك تحددت المنطقة والتاريخ .. وبقى أن يحـدد من الذى يبدأ الضربة الأولى ومن الذى يسدد الضربة القاضية ..

وكانت الظروف فى الاردن ـ كما سبق أن أوضحنا ـ تسـير فى طريق التطور القومى ، وبدت بوادر تشير الى أن الانتخابات التى حدد لها يوم ٢١ أكتوبر سـتكون فى صالح العناصر القومية ، أى فى صـالح السياسة التى تنهجها مصر . ومعنى ذلك أنه اذا طال الصبر على الاردن ليسير فى هذا الطريق الجديد فسيكون بمثابة جنـاح قوى لمصر .. فى

الوقت الذى تدبر فيه بريطانيا وفرنسا الخطط لاضعاف مصر .. بل وللقضاء عليها ..

ولهذا كان ضروريا أن تكون مقدمة العدوان منبعثة من اسرائيل .. وأن تمارس دورها على مرحلتين ..

الأولى : اجراء هجوم مخادع على الأردن لكى تجمد الجيش الأردنى وترهقه بالاستعداد والانتظار ، فاذا ما حان وقت العمليات فى الجبهة المصرية يكون هذا الجيش قد استنفد كثيرا من صبره وقدرته .

والثانية : أن يكون الهجوم الاسرائيلى على مصر بعد أن تتحقق اسرائيل من تجميد القوات الاردنية ..

وكان ممكنا لاسرائيل تحريك قواتها بسرعة من جهة الى أخرى نظرا لوجود الطرق المعبدة التى سبق لبريطانيا أن أنشأتها مدة الحرب الثانية ، ونظرا لقصر المسافات بين حدود اسرائيل الشرقية مع الاردن وحدودها الغربية مع مصر .

وكان المفروض أن يكون دور اسرائيل فى هذه المعركة رئيسيا نظرا للأمانى الكبيرة التى كانت تعلقها على نتائج هذه المعركة سواء من حيث ابتلاع قطاع غزة وضمه اليها .. أو من حيث احتلال شبه جزيرة سينا تحقيقا للحلم التقليدى الذى ينادى به زعماء الحركة الصهيونية وهو مد حدود اسرائيل الغربية الى ضفاف النيل كما هو مدون على اللوحة المثبتة عند مدخل الكنيست .. أو حيث التحرير المطلق من الحصار العربى والفوز بحرية الملاحة فى قناة السويس ..

وأخيرا كان أهم الاهداف التى تتحمس لها اسرائيل هو القضاء على القوات المصرية المسلحة بعد أن وصلت الى مستوى ممتاز فى التسليح والتدريب والتنظيم حتى أصبحت فعلا أخطر وأكبر قوة عسكرية فى الشرق الأوسط .. وكان هذا الأمل الاخير هو حجر الزاوية فى استقرار اسرائيل وسلامتها بل وفى بقائها كدولة .. ولذلك بدأت تستعد لدورها الكبير فى المعركة المنتظرة . وكان يراودها أمل النجاح فى عملياتها ، اذ كانت تعلم أن وراءها شريكتين هما فرنسا وبريطانيا ، وأن لهما دورا خاصا .. متمما للدور الذى ستقوم به .. وكانت مزهوة بهذا الانتساب للدولتين الغربيتين بعد أن لمست منهما جدية الاتجاه العدوانى ، وخاصة بعد أن أرسلت فرنسا لها طائرات المستير والطيارين والخبراء ، وبعد أن حشدت بريطانيا قواتها فى قبرص استعدادا للبدء فى القتال . وبعد أن

وقعت الاتفاقية العسكرية السرية بين اسرائيل وبين فرنسا وبريطانيا فى ١٦ أكتوبر..وبذلك لم يعد هناك مجال لتراجع اسرائيل اذ لن يجود لهـــا الزمان بفرصة مثل هذه الفرصة .. لانها كانت تقدر أن النصر معقود سلفا لقوى العدوان الثلاثى لا محالة ، نظرا للتفوق العسكرى الهائل الذى كان لبريطانيا وفرنسا ونظرا لتوقعها انهيار المقاومة المصرية أمام قوى الدول الثلاث التى تشد من أزرها الاســـاطيل الانجليزية والفرنســـية فى البحر والجو .. ونظرا لان هذه الدول كانت تتوقع قيام ثورة داخلية فى مصر ضد الرئيس جمال عبد الناصر ، كما كانت تفيد بذلك كل التقارير السرية الاسرائيلية والفرنسية والبريطانية . لهذا كان حلم اسرائيل هو أن تلصق نفسها بعملية عسكرية ناجحة فاصلة ضد مصر .. فتســـتريح الى الابد وتبدأ فى تنفيذ خطتها التوسعية شرقا الى الفرات .. وبذلك يكون دور اسرائيل فى المعركة القادمة هو أملها الوحيد وفرصتها الذهبية للانطلاق من بؤرتها المحاصرة الى أفقها الرحيب .

وفى ١٧ أكتوبر .. أى اليوم التالى لتوقيع الاتفاقية العسكرية بين دول العدوان .. خطب بن جوريون فى الكنسيت خطابا مطولا دعا فيه الى أن يدرك كل مواطن فى اسرائيل أن العدو الحقيقى القوى له هو مصر بقواتها المسلحةالضخمة التى جعلت منسيناء قاعدة عسكريةللانقاضاض منها على شعب اسرائيل . وأفاض بن جوريون فى أن سبب هذا الاتجاه العدوانى فى مصر هو رغبة حكامها فى القضاء على اسرائيل وأنهم عقدوا العزم على ازالتها ، الامر الذى يحتم على كل اسرائيلى أن يستعد للجولة القادمة مع مصر .. وأن الصبر على أعمـــــال الفدائيين المصريين الذين يتسللون الى قلب اسرائيل انما ينـــــذر بأخطار كبرى تقتضي اليقظـــة والاستعداد للبذل من أجل سلامة البلاد .

ومرت على ذلك أيام قليلة ، استكملت فيها اسرائيل وضـــع خطتها النهائية فى ٢٩ من أكتوبر بعد أن يمهد للعمليات باذاعة مبررات شـــكلية حول استمرار نشاط الفدائيين فى قطاع غزة ، بقصد التمويه والتضليل عن حقيقة النوايا المرسومة مع بريطانيا وفرنسا .. وكانت الخطة العليا
نيا فى العملية اشتراكا فعليا حتى تقع
الذى أعد لها لكى تتجمع فىشبه جزيرة
ه العدوان الاسرائيلى .. وكان هناك احتمالان :

أولهما : اما أن تنجح اسرائيل فى القضـــــاء على القوات المسلحة المصرية ، وبذلك يخف العبء كثيرا عن فرنسا وبريطانيا ، اذ قد لا يحتاج

الامر عندئذ الى الاشتراك بقواتهما العسكرية المسلحة فى بلوغ هدفهما من حيث السيطرة على القناة وفرض شروطهما ، الى غير ذلك .

وآخرهما : واما أن تعجز اسرائيل فى الوصول الى نجاح ما أمام القوات المسلحة المصرية ، وعندئذ ستقوم مصر باستغلال انتصارها على اسرائيل بأن تباشر العمليات العسكرية الى داخل اسرائيل نفسهـا . وهذه ، كما تعلم كل من فرنسا وبريطانيا واسرائيل ، أمنية كل مصرى بل وكل عربى للقضاء النهائى على اسرائيل . ومعنى ذلك أن مصر ستقذف بقواتها الضـارية وبأسرع ما يمكن الى قلب اسرائيل ، وبذلك يبقى ميدان القناة مفتوحا أمام قوات الغزو بلا مقاومة تذكر .. فيسهل بذلك تحقيق هدفين فى وقت واحد وهما :

١ ــ سرعة النزول فى القناة واحتلالها والسيطرة عليها .

٢ ــ عزل القوات المصرية الضاربة فى معركة سيناء مع اسرائيل عن قاعدتها الخلفية ، مما يعجزها عن مواصـلة الحرب مع القوات الاسرائيلية . بل وسـيؤدى هذا العزل للقوات الى انهيـار شامل فى القوات المسلحة بصفة عامة ، سـواء فى الميدان أو فى القاعدة الخلفية. .بل والى انهيار آخر فى الشعب نفسه بعد أن يرى تبخر أمانيه بذوبان قواته بين رمال سيناء وتلال يهوذا .

وكان معنى ذلك أن عوامل النصر امام القوات الثلاثية كانت أكثر ترجيحا .. ممـا ضاعف من همتهم وثبت عزمهـم على المضي فى الخطة الى نهايتها .

وفى يوم ٢٥ أكتوبر ــ بعد اسـبوع من خطاب بن جوريون فى الكنيست ــ أعلن متحدث رسمى اسرائيلى أن :

« الفدائيين المصريين الذين يعملون فى قطاع غزة وفى سيناء قد استأنفوا نشاطهم وهجومهم على الاراضي الاسرائيلية » .

فكان هذا التصريح بمثابة اشارة البدء فى تنفيذ خطة العدوان .. كما كان المبرر لتصرفات اسرائيل التى اتخذتها منذ تلك الليلة .. وبدأت تعبئة مواردها وقواتها بصورة عملية ، وان كان اعلان التعبئة قد صدر فى يوم ٢٨ أكتوبر قبل بدء العدوان بأربع وعشرين ساعة .

ولقد كان المفروض ــ كما أوضـحنا ــ أن يكون موعد الهجوم قبل نهاية الاسـبوع الاول من نوفمبر وقت انشـغال الولايات المتحـدة فى

انتخاباتها الرياسية ، ولكن حدث أن الرئيس ايزنهاور كان قد أرسل الى بن جوريون نصيحة عدم الاتجاه الى سياسة العدوان .. اذ كان يأمل الرئيس الامريكى — كما كان يقال — أن تتم تسوية أزمة القناة عن طريق المفاوضات فى جنيف بين مصر وبريطانيا وفرنسا كما كان مقررا .. واذا كانت هذه النصيحة المنسوبة الى الرئيس الامريكى دليلا على رغبته الشخصية فى الابتعاد عن العدوان ، فان الظواهر والاجراءات الاخرى التى اتخذتها الولايات المتحدة بالنسبة لرعاياها دلت على علمها باتجاه حلفائها الى سياسة العدوان ، فعملت على ترحيل رعاياها بالسفن الامريكية فى حراسة الاسطول السادس ، مما يعتبر دليلا ماديا على علم الحكومة الامريكية بالمؤامرة .. بصرف النظر عن مدى المامها بتفاصيلها .

ولذلك بدأت قوات اسرائيل عملياتها بسرعة قبل أن يعرف شيء عن نصائح ايزنهاور التى وجهها الى بن جوريون ، مما قد يحرج رئيس وزراء اسرائيل أمام الرأى العام الامريكى .. فعمد الى الاسراع فى بدء عدوانه لكى يخلق أمرا واقعا لا يجوز بعده التراجع ، وخاصة انه قد سبق أن ارتبط مع فرنسا وبريطانيا فى هذا العمل المشترك .

وحدث عامل آخر كان له أثر بعيد المدى فى تعجيل اسرائيل بهجومها على مصر وهو أن (اللواء) عبد الحكيم عامر قائد عام القوات المسلحة كان فى زيارة رسمية للأردن وسورية قبل العدوان ببضعة أيام وكان قد أهدى باسم القوات المصرية المسلحة بعض الطائرات النفاثة للقوات الاردنية المسلحة ، وكان الاتفاق بين كل من مصر وسورية والاردن على أن تعمل قواتها المسلحة تحت قيادته المباشرة ، وأن ينشأ فرع للقيادة العربية المشتركة فى كل من دمشق وعمان ، وصدر تصريح رسمى بذلك يوم ٢٨ أكتوبر ، وهو يوم اعلان اسرائيل تعبئتها الجزئية ..

وقد تحدد يوم ٢٩ أكتوبر موعدا لعودة القائد العام للقوات المسلحة الى القاهرة . وكان معلوما أن عودته من دمشق ستكون بالطائرة . ومعه طائرتان توأمان ، احداهما له ولهيئة أركان حربه على حين خصصت أخرى لضباط الحرس والصحفيين المرافقين له ..

وشاءت الظروف أن تتأخر عودة القائد من دمشق لبضع دقائق عن موعد قيامه المنتظر فسمح للطائرة الاخرى أن تقلع أولا .. وما لبثت طائرة القائد العام أن لحقت بها ، ويبدو أن المخابرات الثلاثية لبريطانيا وفرنسا واسرائيل كانت تتبع حركات القائد العام ..

ولكن كانت تنقصها الدقة فيإستكمال أخبارها .. فحدث أن وصلت طائرة القائد العام للقاهرة بعد اعلان الهجوم الاسرائيلى على الحدود المصرية ، فى حين اختفت الطائرة الاخرى فى ظروف غامضة لم تعلم حتى الآن .. ويبدو أن المؤامرة الثلاثية استهدفت اسقاط تلك الطائرة على امل ان يكون فيها القائد العام للقوات العربية المشتركة ومعه هيئة أركان حربه وبعض أعضاء مكتبه ، وان تعلن قوات العدوان نبأ اسقاط طائرته فى الوقت الذى يبدأ فيه العدوان فيكون ذلك النبأ ضربة كبرى على معنوية القوات المسلحة فى مصر والاردن وسورية والمملكة العربية السعودية على السواء .

ولهذا كانت رحلة القائد العام للقوات العربية المسلحة وعودته للقاهرة يوم ٢٩ أكتوبر من ضمن الاسباب التى عجلت ببدء العدوان ليكون فى ذات اليوم وليس فى ٧ نوفمبر كما كان مقدرا له من قبل .

وكانت رحلة القائد للأردن ضرورية جدا وخصوصا بعد أن روجت دعاية بريطانيا فى الاردن القول بأن مصر ستهتم دائما بأمورها وحدها ، وانها لن تنوى مساعدة الاردن ، بل تريد مصر أيضا توريط الاردن فى قتال مع اسرائيل بسبب أزمة القناة ، هذا الى نجاح نورى السعيد فى تقريب وجهات النظر بين السعودية والعراق بناء على توصية وتوجيه انجلترا ، وذلك لعزل مصر مقدما عن جيرانها حتى تواجه مضاعفات الازمة وحدها بدون اى حليف . ولهذا سافر عبد الحكيم عامر واهدى باسم مصر للأردن هدية رمزية تحمل معنى القوة والكفاح المشترك .. وكانت الهدية هى الطائرات النفاثة .. ففشلت دعاية بريطانيا كما فشلت محاولة اسرائيل للهجوم على الاردن من قبل .. ولهذا تربصوا به لاصطياد طائرته . وقد ظن فى بادىء الامر بعد تأخر وصول الطائرة المصرية الثانية أنها سقطت فى البحر فأرسلت عدة دوريات لاستكشاف المنطقة .. كما ثبت وجود عدة طائرات بريطانية وفرنسية تقوم فى المنطقة نفسها بأعمال الاكتشاف .. فكان هذا الاهتمام الغريب من جانبهم مثار شكوك كثيرة ، فسرتها الاحداث التى اعقبت ذلك فيما بعد .

استعدادات مصر قبل العدوان :

حدثت كل هذه الاستعدادات ، ودبرت تلك المؤامرات على مصر التى ظلت حتى تلك اللحظة حافظة للعهد ، محترمة لقرارات مجلس الأمن وقرارات لجنة الهدنة بأنها لم تبدأ اى عدوان من جانبها على اسرائيل بالرغم من تعدد اعتداءات القوات اليهودية على غزة والصابحة والكونتلا

والعوجة وخان يونس ودير البلح ورفح ، وان كان ذلك لم يمنع القيادة المصرية أن تتخذ الحيطة تجاه نوايا اسرائيل الغادرة التى كشفت عنها كل خططها العدوانية طوال المدة من ١٩٤٨ الى ١٩٥٦ فاستمرت مصر تمارس استعدادها الوقائى وتقدر موقفها العسكرى على ضوء التطورات والعوامل السياسية والعسكرية المختلفة التى كانت تتطور يوما بعد يوم منذ اعلان الرئيس جمال عبد الناصر لقرار التأميم .

وكانت القيادة العامة للقوات المسلحة قد اتخذت احتياطاتها المبكرة منذ اعلان التأميم ، وشملت مظاهر الاستعداد كل القطاعات ، سواء فى محيط القوات المسلحة النظامية ... أو فى محيط القوات الاحتياطية .. أو فى تشكيل جيش التحرير الشعبى الذى ضم الفدائيين والحرس الوطنى ، وكل المتطوعين من ابناء الشعب .. وكذلك تناول الاستعداد اعادة تنظيم علاقات الادارات والمصالح والمؤسسات الحكومية والأهلية ، من أجل تنسيق خطة الانتاج لصلحة المجهود الحربى ، وتنمية طاقة الخدمات العامة ، وحصر جميع موارد الدولة من جميع الوجوه ، علاوة على انشاء خطوط الاستحكامات الدفاعية غرب النيل ، تمتد بين القاهرة ووادى النطرون والاسكندرية لصد أى احتمال من انزال قوات معادية (بريطانية) غرب الاسكندرية واتجاهها صوب القاهرة ، وقد وضع هذا الاحتمال موضع الدراسة باعتبار وجود قوات بريطانية جاهزة فى برقة .. ولقرب الاسكندرية من مالطة وخاصة ان قبرص لم تكن صالحة تماما لاستقبال حشود كبيرة لقلة مواردها وخصوصا فى الماء ، ولنشاط جماعة أيوكا الوطنية ضد بريطانيا .

ومع ذلك قامت مصر بدراسة جميع الاحتمالات التى قد يتمخض عنها الموقف السياسي الملبد بالغيوم ، فاستمرت فى تنسيق خططها الوقائية والدفاعية ضد المطارات ، والمرافق الحيوية وخصوصا قناة السويس والموانى بالاسكندرية وبور سعيد والسويس ، والتوسع فى انشاء شبكة الانذارات عن طريق الرادار مع اجراء تجارب للغارات الجوية لتهيئة الرأى العام مقدما لتوقع أية غارة جوية من جانب العدو ، وكذلك للتيقن من صلاحية أجهزة الانذار ومراقبة مدى تنفيذ قواعد ونظم الدفاع

ـ مساعفة العناية الخاصة بشئون التدريب الفنى على
ـه الحديثة التى كان بعضها قد وصل قبل بدء المعركة
، وسابيع معدودة .. **كما بدىء فى صناعة الطائرات الخشبية**

الهيكلية وتوزيعها على المطارات المختلفة علاوة على التوسع فى زيادة كفاية المطارات الفرعية والمطارات الجديدة التى كان قد سبق انشاؤها فى مناطق متفرقة بين ربوع البلاد فى الوجهين البحرى والقبلى ومناطق الواحات .

ولقد ظل موضوع صناعة هذه الطائرات الهيكلية مجهولا حتى من صناعها ، اذ كانت تصنع أجزاء هذه الطائرات فى أماكن متفرقة وتجمع فى أماكن اخرى وتوزع على المطارات بوساطة أفراد آخرين .

وبجانب هذا الاجراء الخداعى الذى تم بخصوص توزيع الطائرات الخشبية على المطارات الحقيقية والمطارات الهيكلية .. توسعت صناعة المدافع الخشبية وتوزيعها على طول الساحل الشمالى الشرقى لتمثل طوابى وقلاع المدفعية الساحلية اذ كان معلوما تماما لبريطانيا بصفة خاصة كل مواقع المدافع الساحلية .

فان البعثة العسكرية البريطانية التى خدمت فى مصر مع الجيش المصرى من عام ١٩٣٦ منذ توقيع المعاهدة القديمة حتى ما قبل الثورة بأعوام قليلة ، كانت قد رصدت كل أماكن هذه القلاع الثابتة التى لم يكن ممكنا بأى حال من الاحوال نقلها .. انما كان ممكنا تضليل المعتدين بانشاء قلاع جديدة هيكلية علاوة على القلاع القديمة الحقيقية مما يشتت جهود المعتدين ويقلل الخسائر بين المدافعين .. باعتبار أن مثل هذه القلاع الساحلية انما تعتبر فى حقيقة الامر من الاسلحة الدفاعية البحتة .

وبدأت حملة التدريب تسرى فى كل المناطق العسكرية وفى كل الوحدات ، فى الجيش وفى القوات البحرية والجوية .. وبدىء فى تنظيم الجيش الفلسطينى فى قطاع غزة وتم تسليح لواءين منه ، وبدأت أطقم زوارق الطوربيد تمارس تمرينها الليلى على الزوارق الجديدة ووزعت بعض أسراب الطائرات النفاثة المقاتلة من طراز الميج والقاذفة للقنابل من طراز اليوشن على بعض المطارات السرية التى انحصر العلم بها على عدد قليل من المسئولين .

وتم توزيع المدافع المضادة للطائرات على جميع انحاء الجمهورية ووضعت خطط النيران بالدقة التى اشتهرت بها المدفعية المصرية فى هذا الميدان منذ ما قبل الحرب العالمية الثانية .. واضيفت واجبات جديدة الى هذه الوحدات من المدفعية المضادة للطائرات لكى تكون مستعدة للعمل كمدفعية مضادة للدبابات ومدفعية ساحلية وذلك بالنسبة للوحدات الموزعة على الشواطىء لحماية الموانى والمخازن والمرافق الهامة بها ..

ووضعت خطط متبادلة لكى تمارس من بينهـا الخطط الملائمة لكل احتمال قد يقع .. وبذلك عبأت الدولة كل قواها لتواجه كل الاحتمالات ، اذ كان كل فرد فيها يشعر أن المعركة القادمة هى أول معـركة حقيقية تخوضها البلاد والجيش مع الشعب فى صعيد واحد ، ولحساب قضية الوطن وقضية كل فرد فيه .. ولم تكن المعركة كسابقاتها التى خاضتها القوات المسلحة فى الحرب العالمية الثانية لمصـلحة القوى الاجنبية الاخرى ..

وكنت ترى ظاهرة الاستعداد للمعركة على وجه كل مواطن وهو سعيد بأن الفرصة أتيحت له ليثبت قدرته على القيام بواجبه أمام التحدى الاستعمارى الذى كان يتربص بنا من كل جانب .

وبجانب كل هذه الاستعدادات الادارية والتكتيكية والفنية والتعبوية كان هناك **استعداد آخر استراتيجى** خططته القيـادة العليـا للقوات المسلحة فى يوم ٢٠ سبتمبر ودأبت على تنفيذه فى الايام التالية لذلك .

وكان من بين هذه التعليمات والتخطيطات : ـ

ـ أن تظهر القوات الموزعة حول القنال لحراستها بأقل من حقيقتها .

ـ على حين تظهر قوات المناطق الأخرى المعرضة للغزو المباشر فى الاسكندرية مثلا .. بأكثر من حقيقتها لاغراء العدو على تركيز هجومه فى منطقة القنال لاصطياده فيها حيث تقل فيها حرية المناورة وتصعب فيها سرعة الحركة .

وأن تجهز مناطق لتجميع الطائرات « الهيكلية » حول القنال وحول القاهرة ، على أن تجهز هذه المناطق بعربات وأدوات صـيانة مختلفة للتموين فقط بالمياه ، وخيام كاملة للمعسكرات ، وتجرى حولها أعمـال الحفر والتمويه وتنشر بعض المصابيح الخافتة حول تلك المناطق .

وكان طبيعيا أن تصدر الاوامر الصارمة لقوات سـلاح الحدود بمنع اقتراب الاهالى والبدو من هذه المناطق حتى لا تكتشف حقيقتهـا وحتى لاتتسرب أسرار هذه الاستعدادات الخداعية .

بل وقد أعدت بعض الدبابات الحقيقية لكى تتحـرك فى أوقات مختلفة بين هذه المواقع وتثير سحبا من الغبار يضفى عليها مظهرا حقيقيا ، بل ويخصص لها أيضا شبكة لاسلكية ، يكون لها تردد خاص واذاعات منظمة متقنة تتصف بالواقعية ، وذلك حتى يمكن التقاط اشاراتها وهى تحمل كل هذه المعانى الجدية مما يزيد فى خداع العدو .

ومن هذا يرى كيف امتدت العنـــــاية بتأمين كل المرافق وتدبير الاستعداد لكل احتمال .. وعلى الاخص فيما يتعلق بسلامة الموانى التى رئى أيضا أن تزاد كثافة الدفاع المضاد للطائرات عنها باشتراك السفن الحربية فيها بواجبات خاصة فى خطة النيران بأن تســتخدم بطارياتها المدفعية فى تغطية الغلالات المخصصة للدفاع عن مرافق الميناء ، وذلك بجانب مضاعفة النشاط الخاص بهذه السفن فى أعمال الدوريات وعلى الاخص بعد أن تواترت الانباء بزيادة نشاط العدو فى ارسال دوريات الى حافة المياه الاقليمية لنا وعلى طول امتداد الشـــاطىء من غزة الى غرب الاسكندرية .

وكانت كل هذه العمليات والاستعدادات تستكمل نضجها واستقرارها يوما بعد يوم .. كما تم تشكيل مجلس القوات المسلحة برياسة القائد العام ومعه قائد جيش التحرير الوطنى ورؤساء هيئة أركان حرب الجيش والبحرية والطيران ، وقد قرر المجلس أهمية الدفاع عن منطقة القناة ؛ ووضع فى الاعتبار اعطاء أهمية خاصة لميناء السويس بالذات وأن ينسق الدفاع عنها برا وبحرا وجوا على أن يحرم العدو من الاســـتيلاء عليها بأى ثمن وخاصة أن السويس معرضة للغزو البحرى والجـــوى والانزال الارضي ، وأنها مفتاح الطريق البرى القصير الى القاهرة غربا والى الاسماعيلية وبور سعيد شمالا وان من يستولى على الســـويس يملك السيطرة العاجلة على جميع المرافق الحيوية ، وخاصة معـــامل التكرير ، ومحطات دفع وضغط البترول الى القاهرة .. وذلك عـــلاوة على اتصال السويس بالبحر الاحمـــــر المفتوح الى خليج العقبة ، وأن المسافة بين العقبة والسويس حوالى ٣٠٠ ميل وكذلك فالطريق مفتوح امامها الى عدن والي ما وراءها دون أى تعرض ، كما وضع فى الاعتبار منع اى نزول للقوات المعادية فى بور سعيد . واذا فرض ونجح العدو فى اسقاط قواته من الجو وانزالها من البحر فلتكن الخطة بحرمانه من التحرك الى الاسماعيلية .. وتجميده فى مواقعه مهما كان الثمن ..

وبجانب ذلك فقد أعطيت عناية خاصة لتأمين مطارات منطقة القنال فى كبريت وابو صير وفايد وكسفريت .

الفصل الثالث

بدء الهجوم الإسرائيلي

سبق قيام اسرائيل بهجومها على الحدود المصرية اجراء تحـركات سريعة من قواتها ، فنشطت الحشود والتجمعات فى بئر السبع ونتانيا واللد واللطرون وبيسان واستولت على سيارات النقل المدنية للمساعدة فى اجراء عمليات التحركات المطلوبة .. ونشطت حركة الاستطلاع الجوى .. كما نشطت الدوريات البحرية الفرنسـية والبريطانية أمام شاطىء اسرائيل ، وعلى الاخص أمام ميناء حيفا .

وبدأت العمليات الفعلية قبيل غروب شـمس يوم ٢٩ أكتوبر فى خمسة قطاعات وذلك :

١ ــ باسقاط قوات المظلات عند ممر متلا وشرق سدر الحيطان ، وقدرت هذه القوة بمجموعة كتيبة .

وكان الغرض من اسقاط هذه القوة احتلال ممر ممتلا الذى يسيطر على الطريق الجنوبى الذى يعتبر أقصر الطرق المؤدية الى السويس .. اذا أرادت اسرائيل أن تصل بأسرع مايمكن الى الضـفة الشرقية لقناة السويس بأمل التظاهر بقدرتها على تهديد سلامة مصر .. وتمكنها من المشاركه فى السيطرة على الملاحة فى القناة .. وخصوصا بعد أن كانت فكرة تدويلها قد سبق أن وضعت ضمن المقترحات التى عرضتها الدول الغربية .

كما كان محتملا أن يكون ضمن أهداف اسرائيل فى سرعة وصول

طلائع قواتها الى مياه قناة السويس عن هذا الطريق القصير الذى كان نسبيا أقل الطرق كثافة فى الدفاعات المقامة عليه .. وأن وصول هذه الطلائع الاسرائيلية الى مياه القناة كان يعتبر سببا كافيا **لتدخل القوات الفرنسية والاجنبية** المتربصة للعدوان بحجة أن تدخلها انما يحول دون استمرار العمليات الحربية بين القوات المصرية والاسرائيلية مما تتعطل معه سلامة الملاحة فى القناة .

ولكن لم تكن هذه القوات التى أسقطت بالمظلات فى غروب يوم ٢٩ أكتوبر بمنطقة سدر الحيطان وممر ممتلا ، كافية وحدها للوصول الى مياه القناة .. بل كانت بمثابة الطليعة الامامية التى كان عليها أن تحتل معبر وادى ممتلا الذى يعتبر بمثابة عنق الزجاجة التى تعترض طريق الكونتلا .. نخل .. سدر الحيطان .. السويس .

وعلى هذه القوة أيضا (وهى مجموعة الكتيبة ٨٩٠ احدى كتائب اللواء ٢٠٢) أن تتشبث بمواقعها التى أسقطت فيها ، وتدافع عنها ضد أى تدخل من جانب القوات المصرية التى قد ترسل اليها من منطقة قيادة خليج السويس ، ريثما تتحرك القوات الباقية من مجموعة اللواء ٢٠٢ من الحدود الى ممر ممتلا بعد أن تجتاح منطقة مراقبة الحدود المصرية عند الكونتلا .

وكان المفروض لو نجحت خطة هذه القوة أن تصل الى ضفة قناة السويس عند السويس .

٢ — بينما تقوم القوة الاسرائيلية الثانية المسماة بالمجموعة ٣٨ والمكونة من :

- اللواء السابع المدرع .
- اللواء الرابع المشاة .
- اللواء السابع والثلاثين المشاة .

وتمثل هذه المجموعة أقوى المجموعات الضاربة فى كل جيش اسرائيل .. ولهذا اختيرت اختيارا خاصا ، سواء من حيث عناصر الافراد، من ضباط وباقى الرتب .. أو من حيث مستوى التدريب .. أو من حيث استكمال التسليح مع تخصيص معونة جوية للعمل المباشر مع هذه القوة باعتبارها القوة الضاربة الرئيسية التى يتوقف على نجاحها فى العمليات التى تنتظرها مستقبل الحملة الاسرائيلية كلها ..

وكانت خطة هذه المجموعة ان :

تستولى على القسيمة .

ثم تتجه للاستيلاء على أم قطف وابو عجيلة .

ثم التقدم غربا عن طريق (أبو عجيلة — الاسماعيلية) للوصول الى ضفة القناة عند الاسماعيلية .

يبقى اللواء السابع والثلاثون بعد انتهاء الاستيلاء على أبو عجيلة . بمثابة الاحتياط .

٣ — وتتحرك القوة الثالثة المسماة بالمجموعة ٧٧ والمكونة من :

اللواء السابع والعشرين المدرع .

اللواء الأول المشاة .

الكتيبة ٩٦٦ احتياط .

ويكون تحركها على محور (رفح — العريش — القنطرة) .

وتكون الخطة العامة لهذه القوة هى احتلال رفح والعريش .

٤ — تقوم القوة الرابعة المكونة من :

اللواء ١ مشاة

اللواء ١١ مشاة

اللواء ١٢ مشاة

اللواء ٢٧ مدرع

بالاستيلاء على قطاع غزة بعد احتلال رفح والعريش توطئة لعزل القطاع .

٥ — بينما تقوم القوة الخامسة المكونة من :

اللواء التاسع المشاة

وفوج من المدفعية

كتيبة دبابات شيرمان

واللواء ٢٦ المشاة ، وقد تجمع فى بئر السبع بمثابة قوة احتياطية ، ووحدات ادارية معاونة من المهندسين والنقل .

بالتحرك من بئر السبع الى ايلات استعدادا للاستيلاء على : رأس نصرانى وشرم الشيخ .

وفى غروب ٢٩ أكتوبر أسقطت قوات المظلات فعلا فى سدر الحيطان ..

واجتازت قوات العدو منطقة الحدود عند نقطة الكونتلا وهى احدى نقط مراقبة سلاح الحدود المصرى المنتشرة على طول الحدود ، وكانت تحرسها جماعة من رجال الحدود مسلحة بالبنادق والرشاشات الخفيفة ومجهزة بوسائل الانذار ، وقد بررت اسرائيل هجومها على هذه النقطة بأنها كانت وكرا لنشاط الفدائيين المصريين .

ولكن .. استمرت النقطة ثابتة فى موقعها ، وواصلت ارسال المعلومات عن موقف العدو سواء من حيث قواته أو تحركاته .. وكان لهذه المعلومات الانذارية اهمية بالغة فى تصوير الموقف فى هذا القطاع ، استكمالا للصورة العامة عن موقف العدو ونشاطه فى الجبهة ..

وكانت القوات المصرية الموزعة فى منطقة الجبهة .. حتى حدوث العدوان ، لا تزيد عن القوات التى وضعت لتأمين الحدود ضد أية غارات عدوانية .. وان كان هذا الاجراء لم يمنع فعلا استمرار اليقظة والاستعداد وراء سيناء فى منطقة القناة من أجل مواجهة أية مفاجآت قد يقوم بها العدو ، وبخاصة بعد أن أصبح الغدر هو أسلوبه التقليدى المعروف .. وكانت القوات المصرية الموجودة بالمنطقة عبارة عن :

أولا — فى قطاع غزة :

الفرقة الثامنة المشاة والمكونة من لوائين من الحرس الوطنى ولواء فلسطينى تحت الانشاء والتدريب .

ثانيا — فى قاعدة رفح :

اللواء الخامس المكون من كتيبتين مشاة (١٤ ، ١٥) والاسلحة المعاونة ، وكانت الكتيبة ١٣ هى الباقية من اللواء بالقاهرة .

ثالثا — فى قاعدة العريش :

كان بها اللواء الرابع المشاة ومدفعية مساعدة .

رابعا — فى قاعدة (أم قطف) :

كان بها اللواء السادس من كتيبتين (١٧ ، ١٨) عدا الكتيبة ١٦ اذ كانت بمنطقة القنال ، ومدفعية مساعدة .

خامسا — فى قاعدة الجنوب بمنطقة شرم الشيخ :

كتيبة مشاة واحدة (رقم ٢١) وبطاريات مدفعية ساحلية من عيار ٦ بوصات مكونة من مدفعين فقط .

سادسا — قيادة خليج السويس :

اللواء الثانى .. وأرسل منه الى مصر ممثلا الكتيبة السادسة ، وسريتين من الكتيبة الخامسة والسريتين الباقيتين فى وادى سدر ، وأما الكتيبة الرابعة فكانت فى بور سعيد .

ومن توزيع هذه القوات يتضح أن مصر لم تكن فى تلك الفترة فى الوضع الذى يسمح لها باتخاذ سياسة هجومية على اسرائيل .. كما زعمت الدعايات الصهيونية لتضليل الرأى العام العالمى من أجل تبرير مسلكها العدوانى المفاجىء ، اذ كانت مصر فى موقف حتم عليها تركيز كل قواها من أجل بناء جبهتها الداخلية فيما يتعلق بتنمية الانتاج وتحسين مرافق الخدمات العامة لرفع مستوى الشعب والتغلب على سياسة الحصر الجماعى المفروض عليها ، الذى تعاونت عليه كل من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا كمحاولة للضغط الاقتصادى على مصر التى صمدت أمام السياسة الغربية بعناد ظاهر لمناهضتها فكرة الانضمام لحلف بغداد .. ولاستمرار حركة المجاهدين فى الجزائر .. ولدعوتها الصريحة لسياسة الحياد الايجابى والتعايش السلمى ونبذ فكرة الانطواء أو الانتماء للأحلاف العسكرية على أية صورة كانت .. كما كانت مصر دائما تشد من أزر كل الحركات التحررية ، وعلى الاخص فى محيط الكتلة الآسيوية الافريقية ، الامر الذى كان دائما يقلق بريطانيا وفرنسا على وجه الخصوص .

ولأجل هذا نسجت السياسة الغربية ستارا كثيفا من الحصار حول مصر ، وهبط معدل النشاط التجارى من جانب الدول الغربية معها.. وكل هذا لعزل مصر اقتصاديا حتى تشتد فيها الازمة الى أن تدفعها الحاجة الى «التفاهم» مع الدول الغربية بصورة مرنة تحفظ للدول الغربية كرامتها فى منطقة الشرق الأوسط وفى الكتلة الآسيوية الافريقية .

ولذلك كانت مصر مشغولة فعلا بتنظيم كيانها الاقتصادى وحمايته ورفع مستوى معيشة الشعب .. وجاءت أزمة سحب الولايات المتحدة وبريطانيا والبنك الدولى لعروض المساعدة فى بناء السد العالى .. وما ترتب على ذلك من الاصرار على المضي قدما فى السياسة الانشائية التى رسمها الرئيس جمال عبد الناصر .. وجاء تأميم القناة كوسيلة من وسائل تحقيق هذه الاهداف الانشائية .

كل هذا يبين كيف كانت مصر مشغولة فعلا بالخطة الانشائية الشاملة لتنمية مرافقها واقتصادها وامكانياتها .. ولم يكن فى تقديرها البدء بأية سياسة عدوانية هجومية .. اذ كان من المعلوم أن مثل هذه السياسة تتعارض فعلا مع خطتها الانشائية .. وان كان ذلك لم يمنع استمرار استعدادها ومضاعفة قواها والمضي بخطوات ثابتة سريعة فى مضمار الاستعداد العسكرى الشامل لتأمين أراضيها وتأمين خطتها وسياستها بل ولتأمين السلام فى منطقة الشرق الاوسط وللوقوف جديا أمام خطط اسرائيل العدوانية ضد القضية العربية ، سواء على حساب الاردن أو سورية أو مصر أو اى بلد عربى آخر .. اذ ان سلامة الوطن العربى ضد المؤامرات الاستعمارية الصهيونية انما هو فى الحقيقة سلامة مباشرة لمصر وشعبها وقواتها المسلحة ..

فاستمرت الاستعدادات فى طريقها المرسوم .. وضوعفت العناية بها بعد تأميم شركة القناة .. اذ كان منتظرا أن تتطور الامور الى صدام مسلح يشنه الاستعمار الذى طعن بضربة التأميم .. وكان تصرفه الجنونى بعد ذلك سواء فى مؤتمرات لندن أو فى مجلس الامن أو فى مقر الشركة المنحلة بباريس أو فى مقر وزارتى الخارجية فى لندن وباريس .. كانت كل هذه التصرفات التى انعكست من نوايا الاستعمار .. توحى بأن شيئا ما سيحدث ولكن لم يكن معلوما .. ما الذى سيحدث بالضبط ؟

وكيف يقع ؟

ومتى سيكون ذلك ؟

والى أى مدى ستتطور نتائج ما ينتظر حدوثه ؟

ومن الذى سيشترك فى تنفيذه ؟

الى غير ذلك من هذه الاسئلة والتكهنات .. ولكن كان المفهوم أن بريطانيا أولا ومعها فرنسا .. ستكونان هما القوتين المنتظر قيامهما بأى مسلك عدوانى . وكان هذا الاحتمال يضعف أحيانا .. كلما ازداد فهم

الرأى العام العالمى لقضية القناة .. وقانونية مسلك مصر بالنسبة للتأميم وقدرتها على ضمان سلامة الملاحة فيها حتى بعد مؤامرة سحب المرشدين الاجانب بضغط وتحريض الدولتين والشركة المنحلة .. فكان احتمال قيام حرب بسبب هذه القضية يضعف كلما ازداد عدد الاحداث الدولية التى أيدت مصر فى سياستها ..

وبالرغم من كل هذا .. قامت مصر بتغطية كل جبهاتها بوسائل الانذار والدفاع المسلح .. وكان التركيز الاساسي فى منطقة القناة التى كان يخشي عليها من احتمال قيام فرنسا وبريطانيا بمحاولات تخريبية فعلا لتعطيل الملاحة فيها وادعائهما عجز مصر عن تأمين القناة مما يبرر لهما اتخاذ أية سياسة عدوانية بحجة المحافظة فقط على سلامة القناة .. وكان من بين احتمالات تخريب القناة اسقاط قوات مظلات على مداخل القناة ، وعلى طول امتدادها ، من أجل السيطرة السريعة عليها ، وفرض الامر الواقع قبل أن تتحرك الجمعية العامة للأمم المتحدة أو مجلس الأمن .. أو حتى قبل أن تعبىء مصر قواتها ومواردها لاستعادة السيطرة على القناة .

وتم تجهيز المواقع المصرية وتسليح القوات فيها بكل ما كان يلزمها من عتاد ، وتموين ، اذ كانت هذه القوات برغم قلة عددها (للاعتبارات السالفة) كافية للقضاء على أية قوة اسرائيلية مهما كان حجمها قضاء كاملا ، وبخاصة أن الاحتياطى الضارب كان مستعدا للاتجاه الى أية منطقة مهددة ، وكان الجيش بمنطقة القناة يواصل تدريبه مع بقائه تحت السلاح وفى حالة الطوارىء .

أما بالنسبة للقوات الجوية فقد كانت تمارس نشاطها التدريبى مع قيامها بالواجبات الوقائية ودوريات الاستطلاع أمام الشواطىء وفوق منطقة الحدود استعدادا لأى طارىء .

واعتبرت القوات البحرية فى حالة طوارىء من صباح يوم ٢٧ يوليه وهو اليوم التالى لاعلان قرار التأميم ، وأعيد توزيع القطع البحرية بين قواعد الاسكندرية وبور سعيد والسويس .. ونشطت أعمال الحراسة والمراقبة والدوريات على امتداد الساحل من غزة الى السلوم ، وكذلك بالنسبة للوحدات البحرية فى البحر الأحمر .

ومن ذلك نرى أن القوات الفعلية التى كانت فى شبه جزيرة سينا وقت بدء العدوان لم تكن فى حجمها وعددها متعادلة مع حجم وعدد القوات المعتدية . ولكن كانت تفوقها فى التدريب وفى الاعداد الفنى

والمعنوى .. كما كانت الانشاءات والتحصينات التى قامت بها قواتنا فى مواقعها قد بلغت درجة عالية جدا من الكفاية والقوة ، وقد كان ذلك نتيجة لحسن اختيار مواقعها وتنسيق خطط النيران لمختلف الاسلحة مع درجة صلاحية هذه الاستحكامات التى تضمنت حقول الالغام والموانع المضادة للدبابات والعربات المدرعة وللأفراد كذلك .

ولا شك أن أهمية الاستفادة بطبيعة الارض ودراسة خصائصها الطبيعية من حيث اشرافها على خطوط اقتراب ، وطرق التحرى ، انما يساعد كثيرا فى السيطرة على المنطقة كما يؤثر على حسن اختيار الاسلحة المناسبة للدفاع .. ولهذا بذلت القوات المصرية مجهودا باهرا فى دراسة خصائص الارض دراسة مستفيضة ، حتى استطاعت فعلا التحكم تماما فى كل الممرات وطرق التقدم التى يتحتم على أية قوة تريد التحرك غربا أو شمالا داخل سيناء من اجتيازها والمرور فيها ، ولقد مارست القوات المصرية فى تلك المواقع كثيرا من المناورات والتدريب الواقعى الذى يشبه فى طبيعته وظروفه جو المعركة الطبيعية ، واستمرت مشروعات التدريب بالذخيرة الحية طول الفترة السابقة للعدوان ، مما غرس فى الافراد صورة حقيقية لمعنى القتال فى الصحراء .. ولذلك استطاعت تلك القوات القليلة نسبيا فى اعدادها أن تصمد أمام مفاجأة القوات المعتدية التى عاونتها فى الجو والبحر أساطيل فرنسا وبريطانيا ، بل استطاعت تلك القوات أن تكبد المعتدين أفدح الخسائر التى سجلتها يوميات الحرب فى اسرائيل وكذلك اذاعتها وتقارير قادتها التى أذيع عنها الكثير عقب انتهاء العدوان .

وبينما نشطت تحركات القوات الاسرائيلية التى تجمعت بمنطقة الحدود قامت قواتنا الجوية بأول غارة لها فى مساء يوم ١٩٥٦/١٠/٢٩ بضرب هذه التجمعات ضربا مباشرا مؤثرا .. واستمرت غارات السلاح الجوى المصرى حتى منتصف الليل مما ترتب عليه تأخير تحرك القوات الاسرائيلية .. وبعد ان هدأت الغارات الجوية استأنف العدو نشاطه على أمل ان يحقق أى كسب سريع قبل انبلاج صباح اليوم التالى ، من أجل تقوية معنوية قواته التى اسقطها بالمظلات فى قلب سينا بمنطقة سدر الحيطان كما أشرنا .. ومن جهة أخرى كان العدو يتلهف على الحصول على أى مظهر من النجاح بأن يحرز أى تقدم فى شبه جزيرة سينا ، ولو فى القطاع الجنوبى الخالى من القوات المصرية ليشد أزر قواته الاخرى التى كانت لاتزال تتجمع أمام القطاع الاوسط وعلى حافة قطاع غزة . وفى « سمت ٢٢٣٠ » طلبت سورية رسميا أن تشترك قواتها اشتراكا فعليا مع

القوات الأردنية فى المعركة، بعد أن اتضحت نوايا اسرائيل النهائية، وبعد أن تحدد اتجاه عدوانها ليكون صوب قناة السويس .

كما حدث فى تلك الليلة أيضـــا أن طرد اليهود مراقبى الهدنة من منطقة العوجة واحتلوها بالرغم من كونها منطقة محايدة .. ورفعوا عليها علم اسرائيل ، وكان ذلك سترا لاستمرار تجمعات قواتهم فى بئر السبع ليسهل منها توجيه بعض هذه القوات الى غزة وبعضها الآخر الى العوجة لاستمرار دفع موجة العدوان الى قلب سينا باعتبار أن العوجة كانت مفتاحا لكثير من طرق التقدم التى تربط النقب الجنوبى بشبه جزيرة سينا ..

واستمرت ليلة ٢٩/٣٠ أكتوبر مشحونة بهذه التحركات والمناورات تمهيدا لاستئناف نشاط كبير قبل صباح يوم ٣٠ أكتوبر .. وقبل أن تستكمل مصر تعبئة قواتها وتحريك احتياطها المدرع الضارب الى قلب سينا .. اذ كان كل هدف اسرائيل هو كسب أكبر دعاية فى أقل وقت .. وكانت تعتقد فى هذه الاثناء أن الطائرة التى كانت تنقل القائد العام للقوات العربية المشتركة قد سقطت أو فقدت فى الطريق بين دمشق والقاهرة .. كما نشطت أجهزة بريطانيا السياسية فى الأردن وســورية فى تلك الفترة بالذات فعمدت السفارة البريطانية فى دمشق الى توزيع منشورات كثيرة بخصوص اثارة الرأى العام السورى ضـــد فكرة التورط مع مصر فى مشاكلها التى خلقتها . وانه من مصلحة ســـــورية (كذا) أن تباشر سياستها وفقا لمصلحتها دون أى ارتباط أو تقيد بمصير السياسة المصرية التى قد تجلب فى أثرها أخطارا كثيرة .

وفى الأردن اجتمع سفير بريطانيا بوكيل وزارة الخارجية الاردنية وصرح له بأن حكومته قد تدخلت فى أمر العدوان الاسرائيلى على مصر وأن بريطانيا طلبت من اسرائيل تأكيدات رسمية لعدم التعرض للأردن وعدم توجيه القوات اليهودية التى حشدت فى النقب والتى أعلن عن تعبئتها رسميا الى حدود الأردن .

وكان بديهيا ان يفهم القصد من هذا الاجتماع .. فقد أريد به تخدير الاردن وتهدئة سياسته وقواته المسلحة كمظهر لاغرائهم بعدم التورط فى قتال مع اسرائيل بسبب الازمة المصرية .. فيكون تعهد اسرائيل وبريطانيا بعدم التعرض للأردن بمثابة الثمن المقدم الذى تشترى به القوات المعتدية عدم تدخل الاردن فى المعركة الدائرة بين مصر واسرائيل ..

وفى دمشق كان توزيع المنشورات البريطانية سببا فى رد فعل سريع حاسم ، اذ كانت نتيجة هذه المنشورات أن استعدت قوات الفدائيين فى

دمشق وفى الجبهة الجنوبية لدخول اسرائيل ومباشرة أعمالهم فى اليوم التالى بعد أن تحدد لهم الاهداف النهائية وفقا لما تراه القيادة العربية المشتركة حتى يكون التنسيق بين أعمال هذه القوة من الفدائيين متممـا للخطة العسكرية العليا التى تولت القوات المسـلحة تنفيذها . ولقد شعرت بريطانيا بوقوع هذه النتيجة العكسية لما أرادته بتوزيعها لتلك المنشورات ، وأدركت بأن التقدير الذى بنت عليه خطة العمل فى سورية قد انهار من أساسه ، وبدأت الامور تتعقد وان لم تصـل الى درجـة الخطورة ، ولكنها أوحت بأن المعركة لن تكون سهلة أو قصيرة كما كان مفروضا .. فصدرت الاوامر من مركز قيادة القوات البريطانية فى قبرص بعد منتصف الليل بساعة لاستدعاء كل قوات المظلات بالجزيرة ، التى كان بعضها مشغولا بمطاردة الثوار اليونانيين من جمـاعة أيوكا .. وتضمنت أوامر القيادة البريطانية فى تلك الليلة .. « الاستعداد للتحرك الى الشرق الاوسط » .. وصـحب هذا الاجراء انطلاق اشـاعة مدبرة مقصودة ، هى احتمال التحرك الى منطقة فلسطين أو ما حولها ، واحتمال الاشتراك فى أية عمليات حربية بقصد ضمان تنفيذ التصريح الثلاثى الذى تعهدت بريطانيا بالارتباط به من أجل اقرار السـلام فى المنطقة اذا ما نشب أى قتال بين اسرائيل والدول العربية .

ولقد وصلت أنباء كل هذه الاستعدادات والتطورات الى مركز القيادة المصرية بالقاهرة من عدة مصادر .. ولذلك اتخذت عدة اجراءات مضادة واحتياطية لمواجهة التطورات المنتظرة .

ففى فجر يوم ٣٠ اكتوبر وعلى التحديد فى الساعة الخامسـة صباحا والدقيقة الخامسة عشرة صدرت الاوامر بتحريك بعض القوات التى كانت موزعة فى غرب الدلتا الى منطقة شرق القناة لمواجهة الموقف الجديد ، وخاصة بعد أن اتضحت النوايا الاولى للعدوان .. ليكون هدفه الوصول الى ضفة القناة لتحقيق فوز معنوى سريع .

فصدرت الاوامر بتحريك ..

١ ــ اللواء ٢٨ من قوة الحرس الوطنى ومعه بطارية من الصواريخ عدا تروب منها .

من الاسكندرية .. الى الشط .. شرق قناة السويس .

٢ ــ مجموعة اللواء الثانى المشاة من منطقة غرب القاهرة الى منطقة القناة ويكون مركز رياستها فايد .

وأن يتحرك اللواء الأول المشاة من القاهرة الى الشلوفة .

٣ ـــ والآلاى الأول مدفعية ميدان ، عدا بطارية من القاهرة الى العريش . والبطارية الثانية الى أبو عجيلة .

وكانت هذه التحركات هى أول اجراء يتناول تعديل توزيع القوات المصرية لتواجه التطور الذى سلكته الاحداث منذ بدء الهجوم على الحدود .

واستطاعت قوة الحدود الصغيرة فى الكونتلا أن تصمد فى مواقعها حتى صباح يوم ٣٠ اكتوبر وكانت اشاراتها المرسلة فى الساعة ٦ صباحا اجراء سبب تعديل خط سير القوات الاسرائيلية المهاجمة لكى تتفادى واقع هذه الجماعة وتستمر فى طريقها فى اتجاه نخل .

وكانت رياسة قوات الحدود المصرية بمنطقة خليج السويس قد أحيطت علما بنبأ سقوط قوات المظلات فى سدر الحيطان ، فأرسلت قوة خفيفة الحركة للاشتباك مع هذه القوة لمنعها من تثبيت أقدامها ولارهاقها فى أماكن سقوطها ريثما يتم ازالتها والقضاء عليها .

وفى صباح ٣٠ أكتوبر نشط طيران العدو فى اكتشافه وفى محاولة ضرب قواتنا فى الحسنة والقسيمة ورفح والعريش .. كما حاول ضرب قواتنا المشتركة برجاله فى منطقة نخل ، غير أن قواتنا الجوية كانت اسبق فى السيطرة على جو المعركة بأكمله ومارست نشاطها الاول فى هذا اليوم بقصف كل التجمعات الموجودة بمنطقة العوجة ونخل ، وتمت ابادة كل قوة العدو بتلك المنطقة نهائيا وصدر البلاغ الرسمى التالى :

« بدأ العدو يستخدم قواته الجوية للضغط على قواتنا البرية ، وقد تدخل سلاحنا الجوى فى الحال فأسقط طائرتين نفاثتين للعدو كما دمر ١٢ عربة مصفحة » .

وقد أصيبت قوات العدو بخسائر جسيمة فى منطقة التمد . وهكذا أوقف تحرك العدو تماما .

واستمرت قواتنا طول اليوم فى معركة تطهير منطقة نخل ، ونشط الطيران المصرى فى هذا اليوم نشاطا غير عادى بالرغم من قلة عدد الطيارين الذين كانوا قد أتموا تدريبهم على طائرات القتال الجديدة من طراز الميج .. وكان يحدث أحيانا أن يقوم الطيارون بعدة طلعات متتالية بعد أن يستبدلوا طائراتهم بطائرات أخرى حتى يتم دائما الكشف الفنى

على الطائرات أولا بأول ضمانا وابقاء على صلاحيتها .. وأمكن تحقيق السيادة المطلقة على جو المعركة طول اليوم وفشلت كل محاولات العدو فى احراز أى تقدم فى أى قطاع من الجبهة .. وصدر البلاغ التالى عقب تطهير منطقة نخل .

« تمكنت قواتنا بعد ظهر اليوم من تطهير قوة العدو غرب «نخل» وقضت عليها تماما . واشتبكت أربع طائرات من قواتنا الجوية بثمانى طائرات اسرائيلية من طراز ميستير . وقد تمكنت طائراتنا من اسقاط طائرة من هذه الطائرات الاسرائيلية الثمان ، ويحتمل أن تكون طائرة قد أصيبت اصابة مباشرة .

كما أسقطت نيران المدفعية المضـــــادة طائرة للعدو من طراز « أورجون » واسقطت طائرة أخرى فى قطاع غزة .

وجارى تطهير باقى قوات العدو فى أرض العمليات » .

وكان من جراء فشل محاولات العدو فى استئناف تقدمه من نخل الى ضفة القناة .. أو حتى فى الثبات بمواقعه الى أن تســعفه القوات الزاحفة على طريق الكونتلا .. نخل .. وتوقف هذا الزحف بســبب تدخل الطائرات التى ظلت طول اليوم ترهق العدو بغاراتها المتواصلة .. كان من جراء ذلك أن عاد العدو يركز هجومه على منطقة الحدود تجاه العوجة فى منطقة القسيمة والحسنة ، حيث كانت قواتنا المدافعة فيها قد بدأت تعيد تنظيم وحداتها وتخرج دورياتها لتواجه الموقف الجـديد ، وبدأت تمارس نشاطها الهجومى الذى ارتكز على الخط الدفاعى الاصيل وهو الذى ربط المواقع بعضها ببعض ، ولذلك اضطر العدو أن يواجه هذا النشاط المفاجىء الذى قامت به القوات المدافعة .. دون أن يكون ذلك فى حساب أو تقدير القيادة الاسرائيلية، واستعمل العدو فى هجومه على القسيمة دباباته ومدفعيته التى عاونتها بعض الطائرات المغيرة . ولكن فشلت كل هذه المحـــــاولات وردت قواته بعد أن تركت فى أرض المعركة بعض الدبابات والعربات والخسائر التى اعترف العدو بفداحتها فى تقاريره الرسمية عن سير المعركة ، وبلغ عدد الطائرات الاسرائيلية التى اسقطت فى هذا اليوم ٧ طائرات .

ولم يتحقق للعدو غرضه من وراء هذه العمليات التى قام بها فى منطقة القسيمة والحسنة لقطع خطوط المواصلات الرئيسية التى كانت تربط خطوط الدفاع بتلك المنطقة مع باقى المناطق الاخرى فى ســينا ،

وذلك بأمل عزل المناطق الدفاعية بعضها عن بعض مما يسهل معه القضاء عليها بالتجزئة .. ومن ثم مما يقطعها كلها عن قاعدتها الرئيسية فى منطقة القناة التى كانت حتى تلك اللحظة محتفظة بسلامتها وبالقوات الرئيسية الضاربة ، والتى لم تكن قد اشتركت فى المعركة بعد .

وكان تركيز نشاط العدو على المنطقة الدفاعية فى القسيمة والحسنة ايذانا باتجاه هجومه الرئيسي على قواتنا فى تلك المنطقة وفى أم قطف لعزل قواتنا فى رفح والعريش ، وبذلك يسهل طى قطاع غزة دون حاجة الى قتال عنيف بسببه ، بالرغم من قلة القوات التى كانت موزعة على امتداد جبهته .

وصدرت الاوامر الآتية لمواجهة تطور الموقف :

١ ـ تتحرك مجموعة لواء مشاة ومعها مجموعة مدرعة الى الجفجافة والغرض هو حماية الجنب لأى تقدم الى منطقة سدر الحيطان والتمد لمواجهة أى احتمال بمحاولة جديدة لاسقاط قوات اضافية لاستئناف الوصول الى ضفة القناة .

٢ ـ ارسال مجموعة لواء مشاة ومعها مجموعة مدرعة الى الحمة لمنع أى تقدم لقوات العدو من نخل والحسنة على الطريق الاوسط .

٣ ـ ارسال قوة الى ممر متلا لتطهيره من بقايا قوة المظلات ومنع اية محاولة للعدو من البقاء فيه .

أما بالنسبة للطيران :

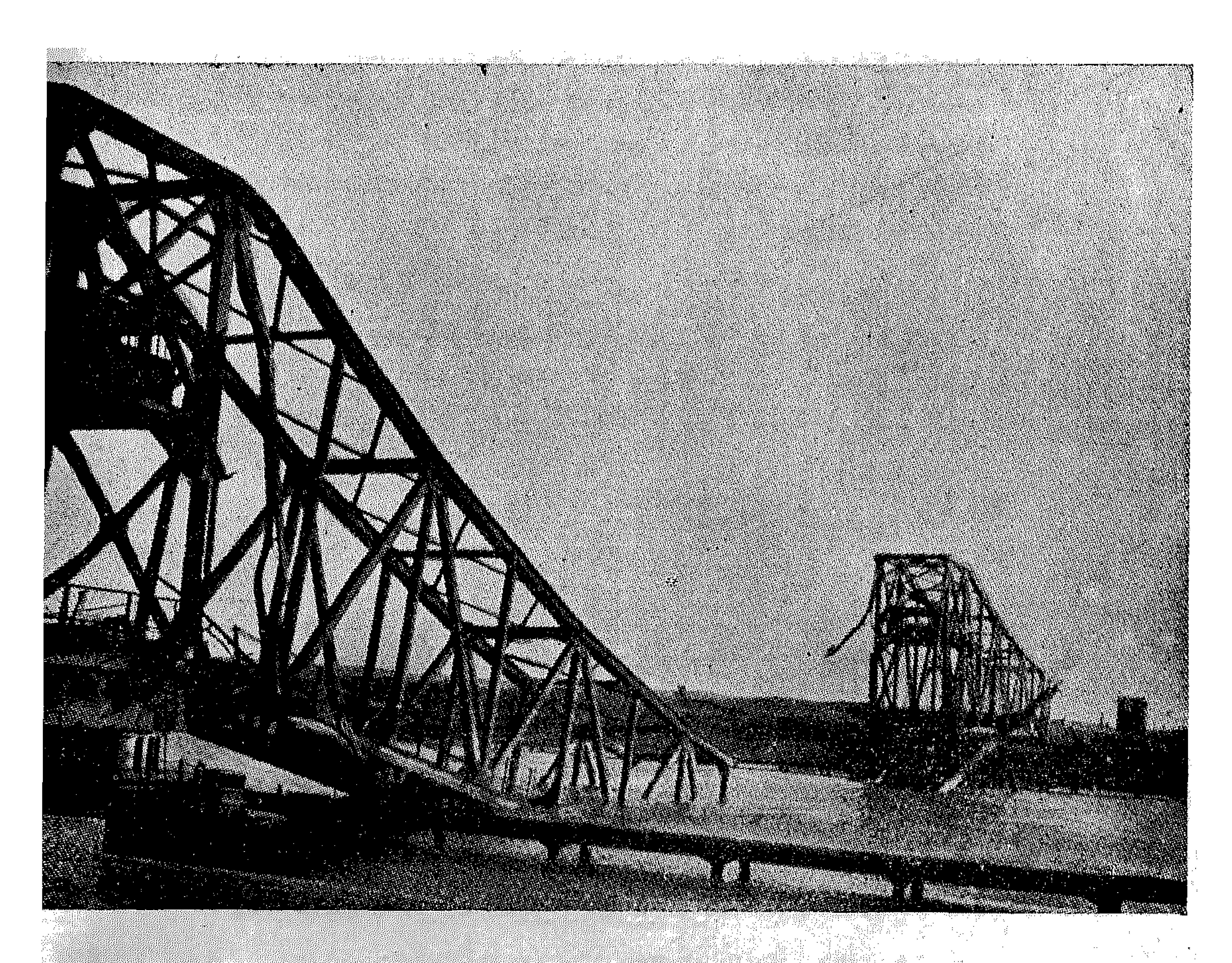
١ ـ فقد خصص لأسراب الطائرات المقاتلة ضرب المطارات المعادية طول النهار .

٢ ـ واعطيت للطائرات المتيور والفامبير ضرب التجمعات .

٣ ـ وخصص لأسراب الطائرات من قاذفات القنابل (الاليوشن) قصف منطقة العوجة وبئر السبع ومناطق التجمع الخلفية المعادية بالقنابل .

والقيام بالغارات الليلية على المطارات ومراكز التجمع والمبيت .

وقد حدث فى الليلة نفسها أن تم اخلاء مطار عمان العسكرى من القوات البريطانية التى انتقلت الى المفرق ، واجتمع مجلس الوزراء الاردنى وقرر الوفاء بالالتزامات العسكرية التى تضمنها الاتفاق الثلاثى « المصرى



كوبرى الفردان على قنال السويس نسفته غارات الطائرات المعادية

الاردنى السورى » وترك توقيت البدء فى ذلك للقائد العام ، وارسلت حكومة الاردن البرقية التالية الى رئيس مجلس الامن والى حكـــومات التصريح الثلاثى ، بريطانيا وفرنسا وأمريكا .

« ان الحكومة الاردنية التى ترقب باهتمام شديد الاعتداء الاسرائيلى على مصر ، تطلب من مجلس الامن التدخل فورا لوقف هذا الاعتداء الذى يهدد السلم فى الشرق الاوسط ويهدد سلم الاردن نفسه ، والحكومة الاردنية تلفت نظر مجلس الامن الى انها ترتبط مع سورية ومصر باتفاق ثلاثى معقود بموجب حق الدفاع الجماعى والاقليمى المشروع ، وهو اتفاق يضع عليها التزامات ستؤديها كاملة » .

وكان ذلك ايذانا ببدء تطور الموقف فى الحقل العربى تجاه العدوان الاسرائيلى . وسنرى أثره فيما بعد .

أما بالنسبة للقوات البحرية فقد صدرت الاوامر للقطع الخفيفة فى العريش بمضاعفة نشاطها فى أعمال الدوريات لمراقبة اية محاولات لانزال قوات من البحر وعلى الاخص بين العـريش والحافة الشرقية لبحـيرة البردويل ، اذ كان ممكنا أن تكون هذه المنطقة موطئا لانزال قوات من البحر لقطع المواصلات الحديدية والبرية فى القطاع الشمالى بين العريش وما حولها وبين القاعدة الرئيسية فى القناة ، وخصوصا أن هذا الخط الحديدى هـو الخط الوحيد الذى يجتاز شـبه جزيرة سينا ويصل بين مصر وفلسطين .

كما أعطيت واجبات وقائية أخرى لبعض الوحدات البحرية لمراقبة القطاع بين غزة والعريش خشية انزال أية قوات فيه لقطع المواصـلات بين غزة ورفح والعريش .

وصدرت الاوامر الى **السفينة الحربية ابراهيم** بضرب ميناء حيفا ، وأن يكون التركيز بصفة خاصة على مخازن الميناء وصهاريج البترول فيها .

وأبحرت السفينة من ميناء بور سعيد « سعت ١٨٣٠ » يوم ٣٠ أكتوبر واتفق مع القوات الجوية على تقديم معونة من الطائرات الميج فى أول ضوء صبـاح اليوم التالى عندما تكون المدمرة ابراهيم قد وصلت الى منطقة الهدف .. وتضمنت الخطة ان تظل الطائرات فوق منطقة المعـركة لمدة ١٥ دقيقة ، وتتكرر هذه العملية كل نصف ساعة ولمدة ساعتين .

وكانت الاشارة المتفق عليها بين السفينة ابراهيم وبين طائراتنا عبارة

عن سحابة كثيفة من الدخان تطلقهـــا السفينة من مدخنتهـــا مع اضاءة المصباح الكشاف الكبير من مقدمة السفينة فى اتجاه للطائرة .

ولقد تم الاتفاق على هذه الاشارة الرمزية كوسيلة احتياطية للتيقن من التعارف المباشر بين الطائرات والمدمرة ، والتى كان عليها أن تحـــدد مكانها لاسلكيا أولا بأول .

وكانت السفينة ابراهيم تضم ١٢ ضابطا و ١٣٨ من الرتب الاخرى وتحركت صوب حيفا .. معقل الاسطول الاسرائيلى ومركز رياسته .

وبعد ذلك بساعتين أقلعت الســـفينة الحربية طارق من قاعدة بور سعيد البحرية ومعها ٣ زوارق طوربيد فى اتجاه قطاع العريش /غزة لحراسته وتأمينه من تدخل القوات المعادية .

وبذلك بدأت قواتنا البحرية تمارس نشاطها الايجابى فى المعركة .. للتعاون مع القوات الجوية والجيش .. فكان ذلك أول تجربة فى تاريخ مصر الحديث تمارس فيها قواتها المسلحة هذه الرسالة الضخمة تأمينا لكيانها ومصلحة البلاد .

واتجهت القطع الاربع شرقا الى البردويل والعريش ، غير أنهـــا اضطرت فى آخر لحظة الى تغيير وجهتها طبقـــا للتعديل الجديد الذى تناول الخطة العامة للقوات المسلحة على ضوء الموقف المفاجىء الجـــديد الذى ترتب على اعلان « الانذار الفرنسي البريطانى » كما سيأتى الحديث عنه فيما بعد .. ولم يقتصر نشاط البحرية على ما قامت به وحداتهـــــا العاملة من قاعدة بور سعيد ، بل نشطت **قاعدة السويس** كذلك منذ اعلان التأميم وأصبحت القاعدة فى حالة طوارىء مستمرة الى أن بدأت العمليات العدوانية من جانب اسرائيل .. فازدادت يقظة المسئولية عن قـــاعدة السويس ، وبخاصة انها كانت هى الهدف الظاهرى الاول لنشاط العدو .. علاوة على أنها كانت تعتبر نسبيا أكثر تعرضا للغارات البحرية والجـــوية بسبب قربها من ايلات من جهة .. وبسبب وقـــوعها على البحر الاحمر المفتوح أمام أى احتمال لتدخل القوات البحرية البريطانية التى ســـبق أن اكدت المعلومات بحشدها فى ميناء عدن من جهة أخرى ..

وفى مساء يوم ٣٠ أكتوبر نشطت دوريات القاعـــــدة من زوارق الطوربيد فى عملياتها الاستطلاعية « بخليج السويس » وبخاصة بعد أن أفادت بعض نقط الفنارات المبعثرة على الجزر المرجانية فى خليج السويس

والبحر الاحمر بأنها شاهدت بعض السفن الحربية متجهة الى الشمال .. وقد أكدت هذه الانباء تقارير الطيران فى ذلك اليوم .

ووضعت خطة احتياطية لبث الالغام الوقائية لمنع اقتراب أية سفن معادية لانزال أية قوات من البحر .. **اذ كانت السويس هدفا مغريا** بسبب **خصائصها الاستراتيجية** التى تنفرد بها بالنسبة الى كونها :

— مدخل قناة السويس من الجنوب .

— أقرب الموانى المصرية الى موانى اسرائيل (المسافة بين ايلات والسويس ٣٠٠ ميل) .

— مركز رئيسي لتكرير البترول وشحنه ودفعه بالمضخات الى القاهرة عن طريق الانابيب .

— قربها من القاهرة (المسافة بينهما ٨٠ ميل) .

— مركز صناعى .

— قاعدة رئيسية لتموين حامية شرم الشيخ وجزر سنافر وتيران وميناء الطور ومراكز التنقيب عن البترول فى شبه جزيرة سينا .. وفى منطقة خليج السويس بصفة عامة .

— اسمها التاريخى القديم الذى اطلق بصفة عامة على القناة وعلى كل المنطقة الممتدة منها الى بور سعيد بل والى جانبيها .

— الميناء المصرى الوحيد الذى يتعامل مع الشرق الاقصي ومع الكتلة الآسيوية الافريقية .. بعد أن تم حصار مصر فى البحر الابيض وشلت حركة النشاط التجارى البحرى فى بور سعيد والاسكندرية .

وأما بالنسبة **لقاعدة الاسكندرية** .. فقد كانت كخلية النحل اذ كانت بها رياسة القوات البحرية . وكان المفروض أن تكون هدفا رئيسيا لنشاط العدو بسبب أهميتها الاستراتيجية وما تحتويه من المخازن والمرافق .. ولذلك كانت خطة تأمينها والدفاع عنها موضع عناية خاصة تناسب أهميتها الكبرى .

فقد خصصت لها قوة جوية تكتيكية للقيام بأعمال الدفاع والاستطلاع .

واعطيت واجبات للسفن الراسية فيها للدفاع المضاد للطائرات

الخفيفة والثقيلة التى سبق توزيعها على الميناء وفقا لخطة مدروسة من قبل العدوان .

كما وضعت خطة الدفاع الأرضي ضد عمليـات الغزو من البحر أو الاسقاط بالمظلات ، واشتركت فى هـذه الخطة كل الوحدات الموجـودة بالمنطقة الشمالية من المشاة والمدرعات والحرس الوطنى ومشاة البحرية .

كما نسقت شبكة وسائل الانذار بالرادار سـواء بالبحـرية أو بالمدفعية .

وبجانب ذلك وضعت خطة التحكم فى مدخل الميناء والبوغاز باغلاقه بالشباك الحديدية والسلاسل فى اثناء العمل لمنع محاولات التسلل الى داخل الميناء سواء بوساطة الضفادع البشرية أو قوارب المطاط الخفيفة التى قد تسقطها الطائرات أو الغواصات أو السفن خارج الميناء .

وتم تنسيق التعاون بين غرف العمليات لقيادة البحرية والطيران والمدفعية الساحلية والمدفعية المضادة للطائرات .

وصدرت الأوامر لبعض القطع الخفيفة بالتحرك للقيام بأعمـال الدوريات الى منطقة أبى قير ورشيد شرقا والى برج العـرب غربا .. باعتبار أن هاتين المنطقتين هما أكثر المناطق تعرضا للغزو البحرى وبانزال القوات الى البر فيهما .. كمـا وزعت مدافع هيكلية كثيرة على امتداد الساحل بقصد التمويه والخداع لكى تظهر انها مدافع ساحلية .. مما قد يضلل العدو فى خطته ..

كذلك وضعت خطة احتياطية لاغراق بعض السـفن القديمة التى حملت بالأسمنت « السايب » وقضبان الحديد بقصد اغراقها عند مدخل البوغاز اذا حاول العدو اقتحام الميناء .. وحددت الاماكن التى خصصت لكل سفينة من هذه السفن ، وكان لابد من التفكير فى هذا الاحتمال .. كاجراء ضرورى لصد أى اعتداء ولو كان ذلك على حساب تعطيل الملاحة فى الميناء لمدة مؤقتة من اجراء الالتجاء الى سد مدخل الميناء ..

كما خصصت جماعات فنيه مدربة للقيام ببعض الاعمـال التدميرية لنسف بعض المرافق التى كان يخشي وقوعها فى يد العـدو اذا حاول الاستيلاء عليها بالقوة .

وكانت اهم المرافق الحيوية بمنطقة الاسـكندرية هى الحوض الجاف .. ومستودعات البترول .. ومستودعات الاخشـاب ومحطات الرادار والفنارات .. ومخازن وارصفة الفحم ..

ومن هذا نرى أهمية العبء الذى القى على عاتق القوات البحرية ومعها باقى القوات التى أعطى لها واجب الدفاع عن الميناء ضد جميع الاحتمالات .. بالرغم من أن الاتجاه لسير العدوان الذى كان قد تحدد صوب منطقة القناة .. انما كان لا بد منه لوضع كل احتمال موضع التقدير والدرس .

أما فى **منطقة خليج العقبة وشرم الشيخ** فقد كانت هناك السفينة رشيد راسية أمام شرم الشيخ وكانت بمثابة نقطة حراسة عائمة لمضيق سنافر وتيران علاوة على كونها سفينة امداد وتموين لحماية الشرم وكان الوقود الذى فيها كافيا لمدة ٤٨ ساعة تنتهى يوم أول نوفمبر اذ كان مفروضا أن يتم تغييرها بسفينة اخرى قبل هذا التاريخ ، ولكن بعد أن وقع العدوان .. رئى التبكير فى تغييرها خشية احتمال تعذر استبدالها بغيرها .. ولهذا صدرت الاوامر ليلة ٣١/٣٠ أكتوبر بأن تستعد سفينة التدريب ((**دمياط**)) التى كانت راسية وقتئذ بميناء السويس لتحل محل ((**رشيد**)) .

وكانت الواجبات العامة التى تعطى عادة للسفن الحربية التى تعمل بمنطقة شرم الشيخ هى :

الحراسة لمدخل خليج العقبة .

مراقبة الشاطىء لمنع اى انزال للقوات المعادية .

القيام بأعمال التفتيش للسفن الاجنبية المشكوك فيها والتى تتجه الى ايلات .

تموين القوة العسكرية فى شرم الشيخ وجزيرة تيران وسنافر وفرعون .

واذا عدنا الى العمليات الاصلية فى شبه جزيرة سينا يوم وليلة ٣٠ اكتوبر لرأينا تجميدا كاملا لمحاولات اسرائيل فى التقدم غربا أو شمالا .. مما دعاها الى مضاعفة نشاطها فى حشد قوات جديدة من القطاعات الشرقية والشمالية التى كانت قد شغلتها ببعض القوات فى مواجهة الحدود الاردنية والسورية .. فاضطرت الى سحب كثير من قواتها فى هذه الجبهات وتوجيهها الى الحدود المصرية .. واستعانت اسرائيل ببعض العناصر المقاتلة الفرنسية والسنغالية للعمل مع قواتها البرية علاوة على استخدامها للطيارين الفرنسيين فى أسراب الطائرات

الفرنسية المقاتلة من طراز مستير التى صبغت بألوان الطيران الاسرائيلى .
وفى البحر .. عملت بعض القطع الفرنسية فى حراسة الشاطىء الاسرائيلى وعلى الاخص أمام حيفا كما نشطت البحرية البريطانية فى القيام بأعمال الدوريات فى شرق البحر الابيض المتوسط وأمام الشاطىء المصرى بصفة خاصة .

وكذلك تحركت ٢٤ دبابة بريطانية من العقبة الى اتجاه الحدود المصرية لتكون جاهزة للعمل مع قوات اسرائيل التى تجمعت فى ايلات لبدء عملياتها فى قطاع نصرانى وشرم الشيخ .

وبدأت الدعاية الاسرائيلية تجدد فى أسلوبها واتجاهها بعد أن فشلت المرحلة الأولى من حملتها العسكرية فى سينا ، واستطردت تحث قواتها للعمل المستمر الشاق الذى ينتظرها .. والذى بنت عليه اسرائيل أمجادها ومستقبلها للبقاء والاحتفاظ بكيانها كدولة . وبدأ قادة الوحدات يحثون جنودهم بأنهم يخوضون معركتهم الجديدة من اجل هدفهم المقدس الذى عاشوا دائما من أجل تحقيقه وهو « العودة الى مصر فى أعقاب النبى موسى عليه السلام وانهم بذلك يسطرون تاريخهم لبناء دولتهم الموعودة التى تمتد حدودها من النيل الى الفرات » .

وكان هذا التحول فى دعاية اسرائيل راجعا الى توقف عملياتها فى القطاع الجنوبى بعد القضاء نهائيا على قواتها فى نخل واستحالة امداد العناصر التى هبطت بالمظلات فى منطقة التمد وممر متلا ، مما أعجز تلك العناصر عن القيام بأى نشاط ، بل اضطرت الى دفن نفسها فى حفر دفاعية بين كثبان الرمال وجدران المر حتى تقى نفسها من غارات القوة الجوية المصرية التى ظلت سيدة الموقف ، وحالت فعلا دون وصول أى امداد من منطقة الحدود الى متلا .. الامر الذى أرغم اسرائيل على الاعتراف بتفوق القوة الجوية ، وكان هذا الاعتراف الرسمى الاسرائيلى بمثابة الاعتذار الذى قدمته القيادة الاسرائيلية وبررت به سبب عجزها عن التقدم فى اتجاه القناة .

وحاولت اسرائيل فى أثناء المعركة .. بل وما بعدها الا تشير الى اشتراك القوات الفرنسية والبريطانية معها اشتراكا فعليا ، وذلك لكى توهم رجالها .. بل وتوهم العرب بأن الجندى الاسرائيلى هو وحده الذى استطاع خوض المعركة أمام الجندى المصرى ، ولكن هذه المحاولة المضللة من جانب قيادة اسرائيل ذابت وتداعت عندما اضطر الجنرال موسى ديان لاعلان تصريحه الذى نقلته وكالة أنباء اليونايتد بريس العالمية من لندن

بعد انتهاء العمليات فى سينا بثلاثة أشهر عند ما أذيع فى ١٥/١/١٩٥٧ اذ قال « ان اسرائيل قد قامت بمجازفة محسوب حسابها بصدد تلقيها معونة بريطانية فرنسية فى هجومها على مصر .. وأنه يفضل أن يحارب مع انجلترا وفرنسا ضد مصر على أن يحارب وحده أمام مصر » .

وكان عجز اسرائيل فى التقدم صوب القسيمة والحسنة وأم قطف وجفجافه دليلا اضافيا على افلات خاصية المبادأة من يد اسرائيل ، وثبوت عجزها عن استمرارها فى المضي فى تنفيذ خطتها ، أو على الاقل فى تنفيذ نصيبها من الخطة الشاملة التى اتفق عليها قادة العدوان الثلاثى.. مما أثار كثيرا من القلق فى لندن وباريس وقبرص وتل أبيب .

وكانت الخطة المصرية بصفة عامة أمام كل هذه التطورات تهدف الى :

استمرار السيطرة على المنطقة الدفاعية المحصورة بين الحسنة.. ونخل .. وسدر الحيطان منعا لبقاء العدو فيها .

وكانت الطريقة التى حددت لتنفيذ هذه الخطة تقضي بأن تقطع مواصلات العدو وتضرب مراكز تجمعه مع استمرار السيطرة الجوية على جو المنطقة والبدء فى تحريك القوة الضاربة المدرعة من منطقة القناة إلى أرض المعركة لقذف قوات العدو المبعثرة بين المعوجة والكونتلا وطريق أم قطف الى وراء الحدود والاستمرار فى المطاردة الى قلب اسرائيل ..

وبدأت القوة الضاربة تعبر القناة فعلا ليلة ٣١/٣٠ أكتوبر شرقا فى اتجاه ميدان المعركة .

كما حددت واجبات صريحةواضحة للقوة الجوية المصرية « بسرعة للقضاء على القوة الاسرائيلية الجوية » وخاصة بعد أن تحقق تكبيد اسرائيل خسارة ربع طيرانها الحربى فىاليومين الأولين من بدء المعركة ، بالرغم من استعانة اسرائيل ببعض الطيارين الفرنسيين بطائراتهم .

وروعيت مبادىء كثيرة فى توزيع القوات المصرية بسيناء بعد أن اتضحت نوايا اسرائيل .. وأهم هذه المبادىء هى :

١ — توريط العدو فى معارك ثانوية على أطراف المنطقة الدفاعية الرئيسية لاستنزاف قوته المادية والمعنوية ولكشف مدى صلابته وعزمه .

٢ — تعطيل العدو بهذه المعارك الثانوية لكسب الوقت اللازم الى

أن تصل القوة الضاربة من منطقة غرب القناة التى كان عليها أن تقوم بالضربة القاضية والمطاردة .

٣ ـــ عدم التورط بقواتنا الاساسية بالمنطقة الدفاعية الرئيسية فى قتال عنيف فى بادىء الامر الا بعد ان تخور قوى العدو وخاصة بعدفشله ثلاث مرات فى الهجوم على مواقع أم قطف التى كانت تمثل مفتاح المنطقة الدفاعية كلها .

٤ ـــ الاستفادة لأقصي درجة ممكنة من الموانع والألغام التى وضعت فى نطاقات متعددة امام المواقع الدفاعية ، وبذلك يمكن توفير وقت وجهد وذخائر وقوات كثيرة بتلك المواقع .. وأن تنســق خطط النيران لجميع الأسلحة بما يكفل تغطية هذه الموانع حتى لا يتيسر للعدو فرصة ازالتها او تجنبها .. وهكذا كان حسن الاختيار لمواقع الموانع والافادة منها عاملاً رئيسيا لتوافر عدد القوات التى تولت تأمين تلك المنطقة أمام قوات العدو المتفوقة عليها كثيرا فى اعدادها وتسليحها .

وهكذا بدت طبيعة واسلوب التنظيم والتكتيك الذى روعى تطبيقه فى هذه المعركة ، التى لو ظلت الىنهايتها المقدرة لها دون تدخل بريطانيا وفرنسا بانذارهمـــا المفاجىء ، لتغير وجه التـــــاريخ فى منطقة الشرق الاوسط بأكمله .. بزوال اسرائيل التى أخفت عجزها بالانتساب الى حلفائها ونسبت الى نفسها احتلال الارض التى تخلت عنها قواتنا .. بعد فشل القوات الاسرائيلية فى التقدم خطوة واحـــدة لأكثر من أربعـــة أيام كاملة .. وكان طبيعيا أن يكون انســـحاب قواتنا من هذه الموانع فداء لانقاذ القوة الرئيسية للجيش .. وانقاذا للقناة من وقوعهـــا من جديد تحت احتلال اجنبى .. وانقاذا لكرامتنا السياسية والادبية .. وتدعيما لما حققناه من تأميم القناة حتى لا ينهار فجأة أمام ضربات وغارات المعتدين الذين كانوا يهدفون الى احتلال القناة والاطاحة بجهاز الحكم الذى حقق لنا كل انتصاراتنا السياسية والعسكرية والاقتصادية والمعنوية .

ومرت الســـاعات الثقيلة من ليلة ٣١/٣٠ أكتوبر بعد أن انكمشت القوات الاسرائيلية وتراجعت أمام مواقعنا الدفاعية .. تراجعت لتستعيد بعض قوتها ، ولتعيد جمع شتاتها ولتعدل خطتها ، وخاصـــــة بعد قتل قائدها فى المعركة .. واستبداله بقائد آخر لقى المصير نفسه مما دعا الى حضور الجنرال موسي ديان بنفسه ليخطط للمعركة من جديد .

اليوم الثالث للمعركة

٣١ أكتوبر

بعد أن استمرت العمليات الحربية شرق قناة السـويس يومين كاملين .. وبعد أن تأكدت لمصر نوايا اسرائيل فى رغبتها فى الوصول بأية قوات ، ولو رمزية ، الى ضفة القناة بأمل تحقيق دعاية سياسية ، كما كشفت عن ذلك اذاعات تل أبيب وصوت بريطانيا فى قبرص .. بعد هذا كله كان ضروريا أن تؤكد مصر قدرتها وعزمها على سلامة الملاحة فى القناة ، بعد أن كسبت الموقف وملكت زمام الامور فى البر والبحر والجو ، وبعد أن انتزعت المبادأة وصارت هى المتحكمة فى اتجاهات المعركة وتطوراتها .. فصدر البلاغ التالى :

« ان القوات المصرية قد سيطرت على الموقف الذى نشأ عن العدوان الاسرائيلى المفاجىء فى خلال الـ ٢٤ ساعة الأخيرة . وان قناة السويس غير مهددة على الاطلاق بأى تهديد عسكرى ، وليس هناك ما يهدد سلامة السفن المارة بالقناة او حرية الملاحة فيها .

والقوات المسلحة المصرية قادرة فى كل الظروف على حمـاية القناة » .

وكان رد الفعل لهذا البلاغ الذى كشف حقيقة موقف الملاحة الى القناة بل وحقيقة نتيجة المعركة التى بدأتها اسرائيل .. وادعت فيها وصولها الى ضفة القناة .. كان رد الفعل أن جازفت اسرائيل مرة أخرى بقذف كل قواتها على منطقة ابو عجيلة وأم قطف املا فى رفع معنويات القوات الاسرائيلية التى منيت بالفشل والخسائر فى جميع محاولاتها السابقة .. واستمرت هجمات العدو مركزة فى هذا الميدان .

وفى الوقت نفسه كانت السفينة ابراهيم قد أتمت مهمتها فى قذف ميناء حيفا بالقنابل ، وسببت فيها خسائر مروعة اعترفت بهـا اذاعة اسرائيل ، وساد الذعر فى الميناء ، وخاصة ان الهجوم كان مفاجئا تماما للقيادة البحرية الاسرائيلية التى لم تستطع أن تواجه الموقف .. وان كانت عملية ضرب حيفا بدأت تماما فى الساعة ١٨ر٤ صباح الاربعاء ٣١ اكتوبر واستمرت السفينة وحدها فى مياه العدو تصليه نارا حامية حتى الساعة ٣٥ر٥ عندما أحاطت بالسفينة ثلاث سفن من طراز المدمرات ، فاضطرت السفينة المصرية للاشتباك معها .. فخف بذلك العبء كثيرا عن كاهل البحرية الاسرائيلية التى بدأت بعد اشتباك السفينة المصرية

بالسفن الفرنسية وايقافها الضرب على حيفا .. بدأت السفن الاسرائيلية تتحرك للاشتراك فى المعركة ، ولكن حدث فى الساعة ٦٫٥٦ أن تعطلت السفينة المصرية بعد نفاد الذخيرة ، وبدء وصـــول الطائرات الفرنسية للاشتباك مع السفينة ابراهيم ، الامر الذى دعا قائد السفينة الصاغ حسين رشدى طمازين الى الاتصال بالحديث اللاسلكى المفتوح برياسة البحرية فى الاسكندرية ليعطى الصورة النهائية عن الموقف .. وصدر له الامر باغراق السفينة ، وكان نص الاشارة التى ارســـلت له فى هذا الصدد فى السابعة صباحا والدقيقة الواحدة كما هو مسجل بيومية الحرب : —

« غادروا السفينة بعد التيقن من اغراقها » .

واجاب قائدها بالاشارة الآتية فى الساعة ٧٫٢٩ .

« جارى اغراق السفينة » .

والحقها بالاشارة التالية « سمعت ٧٤٣ » .

« فتحت بلوف التغريق » .

وبدأت ابراهيم تهوى بطيئا الى القاع .. غير أن بطء تدفق الماء بسبب اختلاط الزيت بالماء فى الموتور لم تعجل باتمام عملية الاغراق مما أتاح الفرصة للعدو ليسحبها الى الميناء .. ويعلن نبأ اسره لها دون أن يشير الى العملية الباهرة التى خاضتها أو الى الاهداف التى حققتها ..

وقد حاولت اسرائيل أن تنتحل لنفسها دور البحـــرية الفرنسية والطيران الفرنسي فى معـــركة المدمرة ابراهيم بأن اعلنت أن الســـفن الاسرائيلية (يافو — وايلات ومزناك) هى التى تولت عمليـــة مطاردة السفينة المصرية الى خارج مينـــاء حيفا لمسافة ٣٢ ميلا من رأس الكرمل عقب انتهائها من ضرب مرافق الميناء ..

وكان هذا النص هو البيان الرسمى الذى أذاعته قيـــادة اسرائيل عقب انتهاء المعركة ، كما أرادت أن تضفى مظهرا حقيقيا على اشتراك السفن الثلاث فى معركة ابراهيم بأن أشارت الى « أن هـــذه السفن استطاعت بعد صعوبة كبيرة اكتشاف موقع السفينة المصرية ابراهيم فى الساعة الخامسة والدقيقة السابعة » أى عقب ضرب ميناء حيفا بساعة ونصف . وكان تبرير منطق القيادة الاسرائيلية فى تأخير اكتشاف موقع السفينة المصرية هو كثرة عدد الســـفن التى كانت موجودة فى ذلك الوقت بمنطقة المعركة .

وهكذا كشفت القيادة الاسرائيلية بدون قصد منهـــا عن وجود السفن الحربية الأخرى بمنطقة عمليات السفينة ابراهيم . ولم تشأ أن تذكر شيئا عن حقيقة هذه السفن .. والتى لم تكن بطبيعة الحال سفنا مصرية بل كانت هى السفن الفرنسية التى دارت المعركة الحقيقية بينها وبين السفينة ابراهيم .

وقد تضمن تقرير القيادة الاسرائيلية عن هــذه المعركة أيضـا الملاحظات الآتية من وجهة نظرها الخاصة ، وقد اضطرت فى هذا التقرير للاعتراف ببسالة المدمرة المصرية ومسلك رجالها .. الذين ظلوا يقاتلون وحدهم وبامكانياتهم المحدودة طول مدة المعركة ، وحققوا اهدافهم الاصلية كما حددت لهم ، حتى نفذت الى آخر طلقة منهم . ولم يتركوا سفينتهم الا وهى فى طريقها الى قاع البحر دون أن يفرطوا فيها ، فجاء فى التقرير الاسرائيلى ما نصه : ـــ

١ ـــ حاربت السفينة ابراهيم بهمة كبيرة ، وفقا لامكانياتها المحدودة وكان تسليحها عبارة عن اربعة مدافع عيار ١٠٢ ملليمتر ، ولم يكن بها اى أنابيب لقذف الطوربيد .

٢ ـــ وكانت نيران السفينة التى اطلقتها على أهدافها مضبوطة .

٣ ـــ فى الساعة ٦ والدقيقة الرابعة صباحا نقصت سرعة السفينة وبدأ الهجوم الجوى عليها بالطائرات من طراز أوراجون .

٤ ـــ وفى تمام الساعة السابعة صباحا توقفت الماكينات وبدأت فى تغريق نفسها .

٥ ـــ أمكن قطرها وانقاذها ودخلت ميناء حيفا وهى مقطورة فى الساعة ٤ر٣٠ الرابعة والنصف بعد ظهر يوم ٣١ أكتوبر .

٦ ـــ يعتبر ارسال المدمرة ابراهيم للقيام بهــــذه العملية مظهر الكبرياء غير العادى والاستخفاف بقوات اسرائيل والاستهانة بأمرها .

هذا ما شهد به الاعداء عن موقف المدمرة ابراهيم . وهو بالرغم من تجاهله لكثير من الحقائق التى تهمل عادة فى مثل هذه التقارير الرسمية المعادية بقصد عدم التأثير المعنوى على قواتهم .. فانه يعتبر شــهادة فخار للبحرية المصرية .

ولقد فسرت اسرائيل ما تضمنته الفقرة السادسة السابقة من أن قيام المدمرة ابراهيم بهذه العملية بدون أن يكون معها سفن أخرى للعمل

معا ولتأمين عودتها انما كان بمثابة الاستخفاف بقوات اسرائيل .. وفى الحقيقة .. كانت باقى السفن الحربية المصرية قد كلفت بواجبات أخرى على طول امتداد الساحل الممتد من غزة الى غرب الاسكندرية .. علاوة على الاعمال التى جرت فى البحر الاحمر .

ومن جهة أخرى فان ارسال سفينة واحدة لهذه العملية كان من مظاهر المفاجأة المقصود تحقيقها .. اذ لو أرسلت عدة سفن لهذه العملية ، فقد كان احتمال اكتشافها ممكنا جدا ، وكان من شأن هذا أن يؤثر على نجاحها .

ولقد كانت سرعة المدمرة ابراهيم ٢٧ عقدة ، اى انها سرعة تسمح لها بتحقيق أهدافها والعودة مرة ثانية .

ولكن تحدث عادة فى المعركة مفاجآت لم تكن متوقعة .. اذ تأخر وصول المعونة الجوية للسفينة وفقا للترتيب السابق الاتفاق عليه بين قيادة القوات البحرية والجوية ، بالرغم من ارسال الطائرات فعلا الى منطقة العمليات أمام حيفا ، الا أن ظرف تطور القتال امام حيفا واضطرار السفينة المصرية للقيام ببعض المناورات لتضليل السفن الفرنسية والطائرات التى كانت تهاجمها علاوة على ظهور كثير من السحب المنخفضة حالت دون تحقيق المعونة الجوية المطلوبة للسفينة ابراهيم ، ومن جهة أخرى كانت السفينة راسية بقاعدتها البحرية منذ ما قبل العدوان فى بور سعيد ، فلما اقلعت منها لم يكن ممكنا تزويد السفينة بالمواد المتفجرة لاستعمالها فى حالة الطوارىء لنسفها . اذ أن المفروض أن كل السفن تزود بمثل هذه المواد بكميات تكفى لاغراقها بأسرع ما يمكن حتى لا تتاح الفرصة لوقوعها فى قبضة العدو .. ولذلك لم يكن هناك بد من تغريقها بالطريقة العادية ، وهى فتح الصمامات الخاصة بذلك لملء الجيوب السفلى بالماء .. ولكن هذه الطريقة تأخذ عادة بعض الوقت ، وخاصة انه من الممكن لأية سفينة أن تظل عائمة لمدة طويلة بالرغم من امتلاء بعض جيوبها السفلى بالماء اذ أن تصميمات السفن قد روعى فيها ذلك من أجل سلامتها فى حالة اصابتها وتدفق الماء فيها .. ولهذا تمكن العدو من الاستيلاء عليها . ويمكن ايضا تصور ظروف هذه المعركة الجريئة من حيث مدى الارهاق الذى عاناه رجال السفينة فى مخاطرتهم الكبرى فلم يكن هناك اى مجال زمنى للقيام بمحاولة تغريق السفينة فى وقت مبكر اذ كان الامل قويا لدى رجالها فى امكانهم الافلات من مطاردة

السفن والطائرات الفرنسية لهم .. وكان لديهم الامل فى احتمال وصول المعونة الجوية لهم .

وقد راودتهم فكرة نسف المدمرة باستخدام بعض القنابل المخصصة لمدافعها . ولكن كانت قيمة هذه القنابل كبيرة جدا فى الافادة منهـا فى ضرب السفن المشتبكة معها .. علاوة على أن عدد القنابل الذى يلزم لنسفها كان كبيرا .. كما كان الامر يحتاج مع ذلك الى وقت طويل لفك أجزاء القنابل لاسـتخراج المواد المتفجرة فيها وتجهيزها فى الصـورة المناسبة ، وكان عامل الوقت هاما لدرجة أنه رئى عدم القيام بهذه المحاولة توفيرا لكل ثانية . وبجانب ذلك كانت السفينة تعمل تحت وابل متصل من نيران السفن والطائرات الفرنسـية ، فكان من المحتمل جدا أن تتعرض المواد المتفجرة التى كان مفروضا استخراجها من القنابل .. لشظايا أو نيران العدو مما يؤدى الى اشتعال أو انفجار هذه المواد وهى لا تزال فى ايدى الرجال على سطح المدمرة .

كان ذلك هو تبرير عدم نسف الباخرة .. اذ أن المفروض أن يكون النسف هو الوسيلة النهائية التى يلجأ اليهـا طاقم السفينة فى حالة عجزها عن القيام بالعمل وهى أمام قوات تفوقها عددا وتسليحا .

وهللت اذاعة اسرائيل ، ووصفت معركة السفينة المصرية ابراهيم بأنها انتهت بأسرها وضمها الى قطع الاسطول الاسرائيلى ، واطلق عليها اسم « حيفا » .. ولقد غنمت اسرائيل حديد السفينة بعد أن أفسد طاقم مدافعها الاربعة وبعد أن حطمت كل أجهزتها الفنية وبعد أن احرقت جميع الاوراق والخرائط والمستندات التى بهـا .. لقد غنموا حديدها ولكنهم خسروا مقابل ذلك المعركة وخسروا ما أتلفته قذائف مدفعيتها فى مرافق الميناء .. وخسروا اسم المعركة . وخسروا ثقتهم بوحداتهم البحرية التى ذابت تحت وطأة المفاجأة الجريئة التى قامت بها ابراهيم .. وظلت آثار هذه المعركة ماثلة أمام بحرية اسرائيل التى استنجدت بعد انتهاء العدوان بحلفائها فيه لكى يزودوها بقطع اضافية جديدة بعد أن لمسوا مدى الاثر الضخم الذى حققته سفينة واحدة قامت بواجبها الطارىء تحت الظروف الخاصة غير العادية التى أشرنا اليها .

وعلى رمال سيناء وتحت ظروف المعركة التى اشتد أوارها كانت طلائع قواتنا الضاربة قد وصلت الى منطقة .. بير روض سالم .. وهى منطقة التجمع التى حددت لحشد القوة الضاربة قبل توجيهها الى ميدان المعركة .. واختير موقع هذه المنطقة لكثير من الاعتبارات ، لعل أهمها هو صلاحيتها لاستيعاب القوة الضخمة من الدبابات والسيارات المدرعة والتى كان قوامها :

مجموعة من الدبابات (ت ٣٤) التشيكية .

ومجموعة من الدبابات الروسية ومدافع (س ى ١٠٠) .

وسبب آخر لاختيار هذا الموقع هو توسطه بين المناطق التى وجه العدو محاولاته الهجومية اليها منذ بدأ العدوان . فالمنطقة تقع غرب ابو عجيلة والقسيمة وأم قطف .

وجنوب الطريق الشمالى المؤدى الى العريش .

وشمال الطريق الجنوبى المؤدى الى نخل وممر متلا .

وكان قرار ارسال هذه القوة الضاربة بتلك السرعة الى قلب سيناء لمواجهة المعركة بصورة جدية وتصفيتها قد اتخذ بعد أن أعلنت بريطانيا رسميا فى اليوم السابق .. « انها لا تنوى استغلال القتال الذى نشب فجأة فى سيناء لمصلحتها » .

ولم يكن من المتوقع أن يكون هذا الاعلان أو التصريح الرسمى مجرد تضليل وخديعة رسمية كبرى قامت بها بريطانيا أمام العالم من أجل اخفاء حقيقة خطتها التى سبق أن اشتركت فى وضعها مع كل من فرنسا واسرائيل .. فكان مجرد اذاعة هذا البيان الرسمى كافيا لربط بريطانيا بالتزامات وقيود أدبية وعسكرية أمام كل العالم .. ولكن مع ذلك .. لم يكن ارسال القوة الضاربة الى روض سالم لانهاء معركة سيناء على حساب تخفيف الدفاع أو اهماله بمنطقة القناة ، فقد أجرى تعديل فى توزيع القوات بين غرب الدلتا والقاهرة والقناة لكى تظل الملاحة فى القناة جارية فى أمان بعيدة عن التأثر أو التوقف بسبب العمليات فى سينا التى حاولت اسرائيل أن تحورها الى أزمة سياسية وفنية بتعرض الملاحة فى القناة الى التوقف أو الخطر ، ولكن باءت كل هذه المحاولات بفشل كامل ..

وما لبث العدو أن لمس من اكتشافاته الجوية تحرك القوة الضاربة الى قلب سينا .. حتى ضاعف من نشاطه وضغطه على كل من :

القسيمة وأبو عجيلة وأم قطف .

« وكان العدو قد دخل القسيمة فعلا بعد اخلائها من قواتنا خفيفة الحركة (أورطة السيارات الخفيفة) صباح يوم ١٩٥٦/٧/٣٠ واستمرارها فى القتال التعطيلى حتى انضمامها الى قوات أبو عجيلة » .

وكان هدفه القضاء على هذه القوات نهائيا قبل أن تستكمل قواتنا الضاربة استعدادها للعمل الايجابى فى المعركة .. فحشدت اسرائيل كل ما استطاعت من قواتها المدرعة ومدفعيتها وجميع وسائل النقل بما فى ذلك السيارات المدنية . فقد عبأتها من أجل نقل الامدادات والتموينات والمشاة الى أرض المعركة بأمل احراز هدفها بأسرع ما يمكن ، بعد أن فشلت طول اليومين السابقين ، اذ كان عامل الوقت يتطور فى مصلحة القوات المصرية ، وتجمعت قوات العدو امام أبو عجيلة مكونة من :

لواء مدرع كامل

ولواءين من المشاة

وأسلحة معاونة من المدفعية والهندسية والاسلحة الادارية .

وواصلت هجومها على أبو عجيلة التى كان بها كتيبتان من المشاة فقط وأسلحتها المعاونة .. وكان فى القسيمة كتيبة واحدة من كتائب الاستطلاع ولم يكن معها قوات أو عربات مدرعة . اذ كانت هذه الكتيبة تستخدم السيارات الجيب وكان واجبها الحصول على معلومات تفصيلية عن العدو من حيث قواته وتوزيعها وتسليحها وأماكن تجمعها واتجاهات تحركها .. وكان عليها من أجل الحصول على هذه المعلومات أن يقتصر اشتباكها مع العدو على الاعمال التعطيلية لتكشف قوته وتصميمه دون التورط معه فى قتال جدى ، اذ ترك ذلك للقوة المدافعة عند أبو عجيلة وأم قطف والتى حاولت شن هجومها نهاريا عليها بعد أن فشلت كل محاولاته الليلية التى تكبد فيها خسائر بالغة ، كما وردت الاشارة عنها فى التقارير الرسمية للعمليات الاسرائيلية ، ولا شك أن محاولة العدو شن هجومه نهارا انما بمثابة المحاولة اليائسة الباقية له بعد أن ضاع كل أمله فى احراز أى نجاح بعملياته الليلية المتكررة .

ولذلك ركز هجماته الجوية على مواقع أبو عجيلة وأم قطف ورفح

لارهاق قواتنا وتكبيدها اكبر ما تستطيع من الخسائر حتى يسهل عليه شن هجومه الارضي الاخير .

ولكن كانت المفاجأة الكبرى التى أذهلته هو امكان القوات المدافعة من اسقاط ثمانى طائرات فى أرض المعركة بوساطة الاسلحة الصغيرة والمدفعية الخفيفة المضادة للطائرات . وكانت هذه المفاجأة ذات أثر كبير على قواته التى لم يكن فى تقديرها أو تصورها أن ترى هذه الخسارة الكبيرة تتحقق بتلك الصورة السريعة وعلى مرأى من الفريقين المتحاربين.

وأدبر يوم ٣١ أكتوبر وأدبر معه العدو مرة رابعة من امام اشواك المعركة القاصمة التى كبدته ٤١ دبابة ومدرعة تركها فى أرض المعركة وترك حولها خسائره من الافراد الذين لم يتمكن من سحبهم لدفنهم فى فلسطين ، وقد استعمل العدو فى هذه المعركة التى بدأها منذ ٢٩ أكتوبر كل مالديه من الاسلحة الثقيلة والمتوسطة من مدفعية ٢٥ رطلا وهاونات عيار ١٢٠ ملليمتر وباقى الاسلحة المعاونة الاخرى لشد أزر المشاة والدبابات ، وقد اشتركت القوات الجوية البريطانية والفرنسية بجانب الطيران الاسرائيلى ، وبلغت جملة القوات التى استخدمها العدو فى قطاع أم قطف وابو عجيلة :

- أورطة دبابات شيرمان .
- أورطتين دبابات فرنسية من طراز XMA .
- كتيبتين مشاة ، منها كتيبة محمولة فى مصفحات مدرعة .
- كتيبة مشاة من يهود العراق والدروز .
- بطارية مدفعية متوسطة .
- بطاريتين مدفعية من طراز ٢٥ رطلا .
- بطاريتين من الهاونات الثقيلة من عيار ١٢٠ ملليمتر .
- وقوة الطيران المختلطة / يهودية / بريطانية / فرنسية .

فى حين أن قواتنا التى ظلت طول المدة تدافع بهذا القطاع مؤلفة من كتيبة المشاة ١٧ .

- وكتيبة المشاة ١٨ .
- الآلاى الثالث مدفعية ميدان .

ــ أورطة سيارات خفيفة .

ــ بطارية مدفعية مضادة للدبابات ١٧ رطلا .

ــ بطارية مدفعية خفيفة مضادة للطائرات عيار ٣٠ ملليمتر .

ــ كتيبة من الحرس الوطنى (عددها ٢٠٠ فرد) .

ولقد ظهرت كفاية الجندى المصرى فى هذه المعركة بصفة خاصة وتجلت مهارة الضباط فى قيادة المعركة وخاصة فى العمليات الليلية التى تحتاج الى يقظة وصبر وسيطرة وسيادة على جو المعركة فى الظلام ، ولقد استطاعت احدى سريات المشاة من الكتيبة ١٧ بمعاونة المدفعية لها بصد هجوم العدو الذى تركز على أحد التلال الذى كان يعرف « بالتبة الحمراء » لانها كانت مفتاح الموقع كله ، وقد استطاعت هذه السرية صد كل محاولات العدو امام هذه التبة وكلفته فى آخر محاولة له ليلة ٣١/٣٠ اكتوبر ٣ دبابات شيرمان و ٤ سيارات مصفحة بخلاف القتلى .

ولقد كان لشدة غارات الطيران المعادى اثر فى امكان افلات وحداته المدرعة من نيران المدفعية المضادة للدبابات .. ومن ذلك تمكنت البطارية المضادة للطائرات الوحيدة من اسقاط ١١ طائرة علاوة على ما أصابته الاسلحة الصغيرة .

وكان من اثر ذلك أن حاول العدو استخدام اساليب **الحرب النفسية** فى هذه المعركة بأمل اضعاف روح المقاومة . فاستخدم مكبرات الصوت من الطائرات . والقى كثيرا من المنشورات من الجو داعيا القوة المدافعة الى التسليم بحجة أنه قد اعتزم حشد كل قواته الرئيسية لشن هجومه الكبير، مما سيؤدى الى اجتياح المواقع المصرية مرة واحدة . وكان ضروريا لهذه الطائرات المعادية أن تطير على ارتفاعات منخفضة حتى يتيسر لها اسقاط المنشورات فى خنادق وحفر المدافعين .. ولامكانها اسماعهم الاذاعات الصوتية الموجهة من الطائرات . فكان ذلك خير فرصة للأسلحة الصغيرة لكى تتصيد الطائرات التى سبق الاشارة الى اسقاطها ..

وفى هذه الاثناء عدل العدو عن فكرة الهجوم المباشر على هذه المواقع بعد أن جرب حظه فى خلال محاولاته السابقة .. فبدأ يركز هجومه بنيران المدفعية والهاونات على مراكز الرياسات للوحدات .. وفى الوقت نفسه أطلق طابورا ميكانيكيا لتطويق المواقع من الخلف لقطع مواصلات المدافعين مع طريق الاسماعيلية والعريش ، وكان يهدف من وراء هذه الحركة التطويقية الى عزل القوات المصرية حتى اذا أصبح

اليوم التالى ووجد المدافعون انفسهم محاصرين ، فان ذلك ربما ينال من معنوياتهم ويخفف من مقاومتهم ...

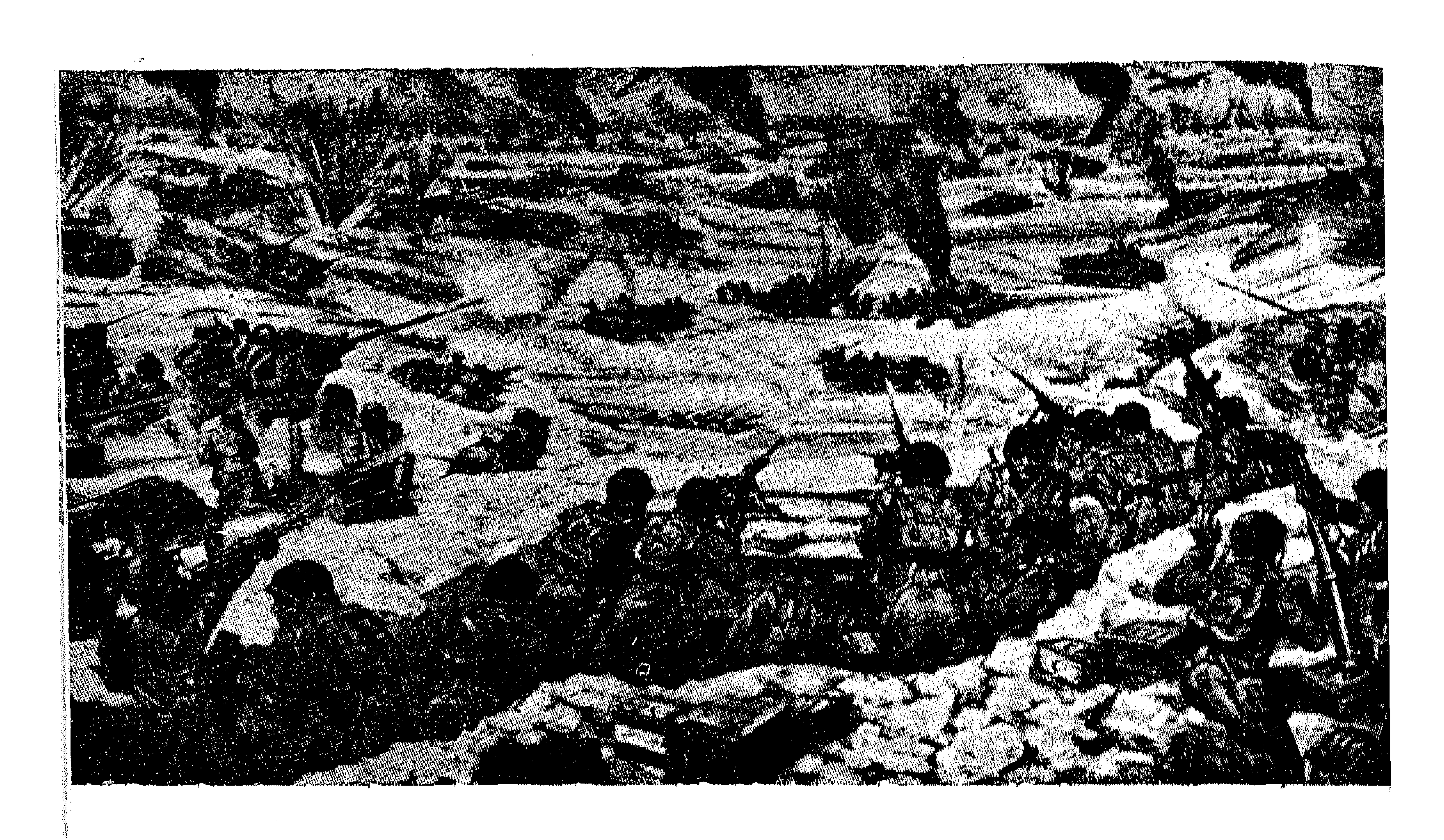
وقد فطنت القوات المصرية الى ما يهدف اليه العدو فقابلت مناورته باطلاق نيرانها من جميع مواقع القطاع .. حتى ظن العدو أن امدادات جديدة قد وصلت اليهم .. ، وكانت أطقم المدفعية والرشاشات تغير مواقعها بين الحين والحين امعانا فى خداعه ولايهامه أن المواقع قد تغيرت نتيجة لوصول الامدادات الجديدة .. ومن جهة أخرى فان العدو كان قد استطاع رصد محال المدفعية ونقط الملاحظة التى تدير معركة المدفعية وتضبط وتصحح نيرانها .. ولهذا عاود تركيز ضربه على هذه المحال التى سبق أن رصدها .. فكان ضروريا أن تتغير المحال من وقت لآخر تأمينا لسلامة المدافع وأوكار الرشاشات ولتضليل العدو عن حقيقة القوة التى أصبحت موجودة فعلا فى المواقع ..

وفى فجر يوم ٣١ أكتوبر عاود العدو هجومه وقذف فيه كل مالديه من المدرعات التىقدرت بلواءين ، وكان يأمل انهاء هذه المعركة بالقضاء السريع على قوة أم قطف ، واستمرت محاولته طول هذا اليوم .

ولا بأس من استمرار وصف هذه المعركة التى استمرت بعد ذلك يومين آخرين .. على ان نعود الى التسلسل الزمنى وتتابع الحوادث فى باقى القطاعات .. فيما بعد .

وبعد فشل محاولاته فى هذا اليوم .. عاد مرة أخرى يوم أول نوفمبر مستخدما مدرعاته ايضا بعد أن تغير قائد الهجوم بسبب مصرع القائد الاصلى فى المعركة واستطاع العدو بعد كل هذه الحشود التى قذف بها فى أرض المعركة أن يفتح ثلاث ثغرات فى سرايا المشاة الامامية التى ظلت أربعة أيام متواصلة تقاتل فى محالها ولم يكن ممكنا تغييرها أو امدادها برجال جدد لسد خسائرها من القتلى والجرحى بسبب الاتجاه العام الى حشد القوة الضاربة فى منطقة روض سالم كما أشرنا فى الحديث من قبل من أجل القيام بالهجوم المضاد الرئيسي بتلك القوة .. اذ كان المفروض أن القتال فى أم قطف وابو عجيلة كان بمثابة عملية دفاعية تعطيلية بقصد كسب الوقت اللازم لوضع القوة الضاربة فى تنظيم وتشكيل المعركة الرئيسية المتوقعة .

ومع ذلك .. فبالرغم من امكان فتح العدو للثغرات الثلاث فى خط السرايا الامامية .. قامت الفصائل الاحتياطية لتلك السرايا بالهجوم المضاد المحلى السريع ، واستخدمت هذه الفصائل القنابل اليدوية ، ودار



معركة أم قطف

القتال عنيفا مريرا بالسلاح الابيض (بالسونكى) ، وبذلك تمكنت قواتنا من السيطرة الكاملة على الموقف وتم طرد العدو من الثغرات التى كان قد تسلل منها .. ولم تدم هذه المعركة السريعة أكثر من نصف ساعة اثبتت أن اهم ما يتميز به التدريب الجيد على استخدام السلاح الابيض من الثقة والثبات هو فى مدى تمكنه من « اللعب » بالسونكى والمبارزة به ، فان منظر السلاح الابيض فى القتال المتلاحم انما يقذف بالرعب فى نفس العدو ، وكذلك فان المهارة فى استخدام القنابل اليدوية بالطريقة الصحيحة .. وفى الظروف الملائمة قد حققت مفاجأة كبرى بالنسبة للصوت الرهيب الذى أحدثه انفجارها القريب . وقد ترك العدو فى هذه المعركة القصيرة فى زمنها ، والعميقة فى اثرها ٢٥٠ قتيلا ، كان معظمهم من ضحايا القتال بالسلاح الابيض والقنابل اليدوية ، وترك ٥ دبابات شيرمان و ١٥ عربة مصفحة .

وكانت هذه آخر محاولة للعـــدو فى هجومه على موقع أم قطف وأبو عجيلة بعد أن ظل أمامها أكثر قليلا من اربعة ايام كاملة بلياليها استخدم فيها كل قواته الرئيسية المدربة التى عاونتها قوات جوية متفوقة فى عددها وتسليحها من طيران فرنســـا وبريطانيا وخاصة أن المرحلة الأخيرة لهذه المعركة التى سبق وصفها كانت قد دارت بعد أن رفضت مصر الانذار الفرنسي البريطانى مما أتاح الفرصة « الرسمية » للقوات الجوية الانجلو فرنسية للمشاركة العلنية مع طيران اسرائيل بتركيز شديد فاق حد التصور ، وخاصة فى تلك الظروف القاسية التى احاطت بالقوات المصرية التى ظلت تدافع فى أماكنها طول المعركة منذ بدء العـــدوان تحت الارهاق المتواصل وبدون اية فرصة للراحة أو التوقف أو تغيير القوات . ومما زاد هذه الظروف دقة وخطورة .. توجيه الانذار الفرنسي البريطانى الذى أوحى بأن المعركة لم تعد معركة مصر مع اسرائيل ، بل أضحت معركة غير متكافئة . ومع كل هذه الظروف .. كان مسلك القوات رائعا مثاليا اعترف به الجنرال موسي ديان رئيس أركان حرب اسرائيل الذى اشترك بنفسه فى قيادة المعركة بعد مصرع القائد الذى قام بالهجوم الاول ، وبعد تغيير القائد الثانى الذى قاد مراحل الهجوم الاخيرة وانتهت بفشـــل الذين قاموا بالهجوم فى مائة الساعة التى عجزت فيها قوات اسرائيل المدرعة والمشاة والطيران عن تحقيق أى نجاح أمام القوة التى لم يزد حجمها عن ¼ القوة المهاجمة مع اختلاف الظروف العامة التى كانت فى ظاهرها فى مصلحة المهاجمين الذين اختاروا وقت ومكان الهجوم ، وكانت وراءهم امبراطوريتان تشد أزرهم وتمدهم بكل المســـاعدات ، ولكن كان

هناك نقص رئيسي واضح فى الاعتبار المعنوى الذى خاضـــت قواتهم القتال من أجله .. فبالرغم من تلقين القوات الاسرائيلية المهاجمة مدى قدسية هذا الهجوم الذى سيقودهم الى سينا والى النيل فى أعقـــاب النبى موسي .. الا أن صدمة الفشـل التى حاقت بالمهاجمين كانت مفاجأة كبيرة غير متوقعة وخصوصا بعد أن بالغت اسرائيل وقادتها فى التقليل من شأن الجندى المصرى والضابط المصرى .. ولم يكن هناك بد من الاعتراف بكفاية المصريين فى تقدير اسرائيل فاعترفوا « بأن هذه الكفاية تظهر تماما فى الدراسـات النظرية والثقافة العامة ، اما فى المعركة فان الموقف يختلف» ولم تشر تقارير اسرائيل الى المقصود بهذا الاختلاف ، وان كان المقصود هو أن يفهم من ذلك أن الجيش المصرى كان ينقصه التدريب العملى .. ولعل هناك مظهرا لتقليل ما وصفته اسرائيل ، لانها كانت تعلم أن الجيش المصرى قد اعيد تسليحه بعد عقد صفقة الاسلحة التشيكية ، والتى كانت قد بدات تصل تباعا دفعة بعد اخرى .. وكان طبيعيا ومنطقيا أن يكون التدريب لجميع القوات على استخدام هذه الاسلحة محتاجا لوقت كاف .. ولهذا كانت اسرائيل تمارس سياستها وخطتها التقليدية وهى استمرارها فى العدوان لارهاق قواتنا حتى لا تتفرغ للتدريب الكامل وتطبيق أصوله وبرامجه .. فظلت تنفذ خططها العدوانية بصورة جدية ، مرة على غزة وتارة على الصابحة ومرة اخرى على الكونتلا ، وهكذا كان هدفها من وراء ذلك كله حرمان القوات المصرية من الاستقرار الزمني الذى يتيح لها فرصة التفرغ للابداع فى اتقان استخدام الاسلحة الحديثة التى تسلمتها.. اذ كانت هذه الاسلحة بطبيعة الحال أحدث كثيرا واقـــوى مما لدى اسرائيل .. ولهذا كان تقدير اسرائيل هو أن مستوى التدريب فى القوات المصرية كان متأثرا بنتائج عدوانها المتكرر منذ عـــام ١٩٥٠ ، حتى وقت العدوان .. اذ أن عقد صفقة الاسلحة كان فى خريف ١٩٥٥ ، وكان العدوان الثلاثى فى خريف عام ١٩٥٦ حيث تعرضت فيه قواتنا بمنطقة الحدود الشرقية الى أربعة اعتداءات رئيسية بخلاف الاشتباكات العادية التى دابت اسرائيل على القيام بها منذ حرب عام ١٩٤٨ كوسيلة لاظهار قدرتها على العدوان .. وكوسيلة اخرى لجذب انظار واهتمام الرأى العالمى وخاصة فى أمريكا الى أن السلام على حدود اسرائيل لم يزل مهددا ، وبذلك تثير عطف المتبرعين لها والداعين لها والعاطفين عليها ..

وفى الحقيقة كانت مصر قد بدات تتسلم شحنات الاسلحة التشيكية على فترات .. وكانت تقدر اهمية عامل الوقت ، وكان معلوما ايضـــا

أن التدريب الجيد يحتاج الى وقت وتفرغ واستقرار .. وأن وصــــول الاسلحة الجديدة لم يكن دفعة واحدة .. **ولذلك كانت سياســة التدريب المصرية فريدة فى أسلوبها** .. اذ ظلت القوات فى الميدان تمارس أعمالها العادية فى حين تم تدريب قوات معينة فى القاعدة الخلفية على الاسلحة الحديثة ، وبذل اهتمام خاص خلال عام ١٩٥٦ من أجل اتقان استخدام تلك الاسلحة ، وصار اســتبدال بعض الوحدات تدريجيا .. وفى يوليه عام ١٩٥٦ بدأت عملية « تحرير » وهى التسمية التى أطلقت على تخفيف قوات سينا بسحب القوات التى كانت تعمل بها قبل وصول الاســلحة الجديدة الى منطقة القناة لممارسة التدريب عليها وتقرير ابقــاء بعض الوحدات الرمزية فى المواقع الدفاعية فى سينا .. لتقوم بأعمال حراسة الحدود .. وفى الوقت نفسه لتقوية وتحسين مرافق وتحصــينات الدفاع لتلك المواقع .

وكانت من أهداف عملية « تحرير » الخاصة بتخفيف قواتنا فى سينا ترحيل بعض القوات الزائدة الى غرب القناة للتدريب كما أوضــحنا .. وكان المطلوب أيضا عدم استهلاك الاسلحة الحديثة فى أغراض التدريب العادية .. اذ كان لابد من التحفظ على هذه الاسلحة بحالة عالية من الصلاحية والكفاية لحين استخدامها فى الوقت المناسب ، ولذلك كــانت قواتنا التى واجهت العدوان أقل كثيرا مما كان يجب أن يكون .. وخاصة أن العناية الرئيسية كانت قد وجهت لمنطقة القناة بعد اعلان قرار التأميم ، فكان الحشد الرئيسي بتلك المنطقة ضرورية لتأمينها من جهة .. ولاتاحة الفرصة الزمنية والمكانية والمعنوية لهذه القوة لكى تتمكن من مواصــــلة تدريبها وفقا لما قرر لها من برامج ومناورات ومشروعات بعيدا عن ظروف المعركة التى كان العدو يحرص دائما على خلقها وايجادها بقصد ازعاج وارهاق قواتنا حتى لا تتفرغ للتدريب من جهة أخرى .. ولابقائها دائما تحت السلاح مما يؤثر على معنوياتهم .

وهكذا واجهت القيادة المصرية ظروف المعركة قبل ابتدائها بشــهور عدة .. ، واســتطاعت أن تتغلب على كل هذه الظروف .. فتمكنت من :

— توفير الاسلحة .

— وتوفير الوقت اللازم للتدريب عليها .

— وتوفير القوات اللازمة لحراسة وتأمين الجبهة .

ــ وتوفير القوات اللازمة لتكوين الاحتياطى الرئيسي العام المدرب علي الاسلحة الحديثة .

ــ وتوفير تأمين القناة بعد تأميمها دون أن يؤثر ذلك على سلامة الجبهة فى سينا أو سواها .

وكان من أبرز ما اتصفت به معركة أبو عجيلة وام قطف ، ما اعترف به العدو وعلم به العالم بعد أن تكشفت حقائق المعركة :

١ ــ فقد حققت أبدع صورة من التعاون الوثيق بين المدفعية والمشاة اذ استطاعت المدفعية بكل أنواعها الميدانية للدبابات الثقيلة والخفيفة المضادة للطائرات أن تسيطر تماما على المعركة وأن تخلق جوا كاملا من الثقة .. ثقة المشاة المدافعة فى قيادتها التى نسقت خطط نيران المدفعية لتحطيم كل محاولات المدرعات الاسرائيلية لمائة ساعة أو أكثر قليلا .

٢ ــ ولقد كان التصميم فى الاستمرار بالمواقع والقتال حتى النهاية هو المع ظاهرة .. وكان سبب ذلك هو ايمان كل الافراد بالدافع الى القتال والى الرغبة الجارفة فى أن يمنع العدو من تحقيق أى فوز مهما كان .. **فكانت الروح المعنوية العالية** التى بدت طول مدة المعركة هى : العامل الوحيد الذى تغلب على متاعب المعركة وقسوتها الشاذة التى اتصفت بها بالنسبة للظروف الدقيقة التى احاطت بها منذ بدايتها .. وكان اصرار المدافعين على القتال هو أساس قدرتهم على الصمود وأساس قدرتهم على الابداع وأساس رضاهم بكل ما حملته اليهم مفاجآت المعركة وأساس ذوبان متاعبهم وتضحياتهم وأساس نصرهم الباهر .

٣ ــ اثبتت هذه المعركة بأن **الضبط والربط** فى استخدام الاسلحة والتحكم فى اطلاق النيران يعتبر منأهم الأسس لمفاجأة العدو ..والقضاء عليه .. فلقد تكررت محاولات العدو فى اقتحام الحافة الامامية للمواقع الدفاعية من مختلف أطرافها ، وكان يفاجأ كل مرة بنيران الاسلحة تطلق عليه وهو على بعد ياردات معدودة من هذه المواقع .. ولولا تحكم الجنود فى أعصابهم وثقتهم بأنفسهم وقدرتهم على استخدام أسلحتهم .. واحتفاظهم بثباتهم الى آخر لحظة لما أتيحت لهم فرصة اقتناص العدو واصطياده فى الوقت وفى المكان الملائمين للقضاء عليه تماما .

ولا يمكن تحقيق أو ضمان السيطرة على استخدام الاسلحة بتلك الصورة المثالية الا اذا شعر كل فرد .. بقيمته وعلم مدى كفايته ..

وادرك الهدف الذى يقاتل من أجله .. وفى مثل هذه الظروف تتكشف حقائق وبواطن الكفايات ومعادن الرجال ومعنوياتهم .

٤ ـــ كما اتصفت عمليات أم قطف باتقان اختيار أماكن المواقع التى وضعت فيها الالغام والاسلاك الشائكة وموانع الدبابات ونقط مراقبة نيران المدفعية .. وكان ذلك كله بسبب الافادة الكاملة من الهيئات الارضية والانتفاع بخصائص هذه الهيئات وتنسيق خطط النيران لتحمى هذه الموانع حتى لا يتمكن العدو من الاقتراب منها لازالتها أو تدميرها .

وكان ذلك عاملا رئيسيا فى تكبيد العدو خسائره الضخمة التى اعترف بها .. وهكذا اثبتت هذه المعركة أن حسن **الافادة من طبيعة الارض** قد يكون اهم كثيرا من وفرة العدد والعتاد ، بل قد يكون ذلك ضرورة تغنى عن استخدام الرجال والاسلحة التى لو توافرت فى بعض المواقع وفى بعض الظروف لتعذر اخفاؤها بما يكفل سلامتها ويحقق استخدامها بالدرجة المثالية وخصوصا اذا لم يتوافر الوقت اللازم لاعداد أماكن مستورة لها .

٥ ـــ بدت **روح الفداء** بين كل الرتب بصورة انسانية ستظل دائما خالدة ، اذ تبادل الجرحى من الضباط والرتب المختلفة خدمة بعضهم البعض .. وكانوا حريصين على البقاء فى مواقعهم بعد اسعافهم بالاسعافات الاولية ليشاركوا زملاءهم فى ادارة المعركة ، ولم يرحل للخلف الا من كانت اصاباتهم خطيرة منعتهم من البقاء فى المواقع .. وكان لوجود هؤلاء المصابين بجانب اخوانهم عاملا مثيرا للحماسة والايناس فيما بينهم .

٦ ـــ اظهرت المعركة ضرورة الاعتناء بتدريب قوات الاحتياط تدريبا منتظما حتى لا تكون فى مستوى أقل من مستويات الكتائب العاملة النظامية ، وخصوصا اذا كان تسليح الكتائب الاحتياطية مماثلا لتسليح الجيش النظامى ..

٧ ـــ كان من نتائج هذه المعركة .. وموقف قواتنا فيها ، وكذلك موقف قواتنا فى ممر متلا وشرم الشيخ ورفح أن أعلن بن جوريون ، بعد ذلك بأسبوع ، فى يوم ٧ نوفمبر فى افتتاح دورة الكنيست التصريح التالى الذى أذاعته اسرائيل :

« لم نكن نعرف أن الجيش المصرى بهذه القوة ولديه هذه الاسلحة. وأن الغنائم التى اخذناها تدل على أن الجيش المصرى كان مسلحا وممتازا.

ومن اجل الحقيقة فأنا مضطر أن أقول ان هناك ضباطا مصريين حاربوا فى شجاعة وعناد ، وهم يستحقون الاعجاب والتقدير » . ثم قال « وأنتم تعلمون أن السلاح الجوى المصرى وصل الى حيفا » . كما قالت اذاعة اسرائيل بتاريخ ١٩٥٦/١١/٢١ عن لسان اللواء حاييم لاسكوف قائد المدرعات الاسرائيلى « ان القيادة المصرية كانت جيدة من الناحية الفنية ، كما ان مستوى التدريب لسلاح المدرعات المصرى كان مرتفعا ، الامر الذى بدا واضحا » .

الانسحاب الاستراتيجي

وكان قد تقرر سحب قوات ابو عجيلة وأم قطف فى آخـــر مرحلة لعمليات سحب القوات المصرية كلها من سينا بعد أن اشتركت بريطانيا وفرنسا فى المعركة .. وهكذا ظلت قوة ابو عجيلة وأم قطف آخر من انسحب تنفيذا للخطة العامة للقوات المسلحة من اجل تأمين القناة والبلاد أمام الهجوم الرئيسي الانجلو فرنسي . وقد كلفت قوات ابو عجيلة أن تقوم بأعمال حرس المؤخرة لكل القوات المنسحبة من سيناء ، وأن تستمر اشتباكاتها مع العدو بقصد تعطيله من أجل تأمين سلامة القوات التى تقرر لها البدء فى الانسحاب من رفح والعريش .. كما سيأتى ذكره فيما بعد ، وكذلك حدد ظهر ٢ نوفمبر موعد النهاية مدة الاشتباك بين هذه المؤخرة وبين العدو . وهى المدة التى رئى انها كافية لوصول القوات المنسحبة الى غرب القناة .

وفى الفترة نفسها كانت القوات الرئيسية الضاربة ـــ التى كانت قد بدأت تتجمع فى منطقة « بير روض سالم » للقيام بهجومها المضـــــاد الرئيسي ـــ كما كان مفروضا ومقررا .. كانت هذه القوات قد بدأت تتجه مرة أخرى الى غرب القناة بعد أن تكشـــــفت حقائق المفاجآت التى احتواها الانذار الفرنسي البريطانى .. ولم تستطع الطائرات الفرنسية والبربطانية التى بدأت هجماتها العنيفة منذ انتهاء فترة الانذار .. فى أن تدمر قواتنا المدرعة التى نجحت فى عبور القناة دون أن تعرض نفســها لغارات هذه الطائرات .

ودارت معركة تعطيلية عنيفة كلفت العدو أكثر من ٧٠ عربة نصف جنزير بخلاف الدبابات .

وتعذر عليه التقدم .. ونجحت العملية التعطيلية التى قامت بهـــا

قواتنا واستطاعت ستر انسحاب قوات رفح والعريش .. وتسللت بالتدريج الى طريق العريش تاركة وراءها ستارة من نقط التعطيل فى المواقع التى لم يفطن العدو الى حقيقة قوتها ، وظل يعتقد أن القوة الرئيسية مازالت بمواقعها مما دعاه الى الاستعانة بقوات فرنسا وبريطانيا الجوية التى ظلت طول يوم ٢ نوفمبر تغير بشدة بالغة على المواقع لتدميرها ومنعها من الانسحاب .. ولكن تم الانسحاب بعد غروب ذلك اليوم .

وبذلك اسدل الستار على بطولة قواتنا على مسرح أم قطف وأبو عجيلة مما انتزع اعتراف اسرائيل وقادتها بالاشادة بها رسميا برغم محاولاتها فى دعاياتها للتقليل من شأن قواتنا .. كمحاولة منها للابقاء على ما سبق لها أن ادعته عنا ؛ أملا فى تقوية معنويات قواتها التى لمست بنفسها حقيقة معدن الجندى والضابط المصرى فى هذه المعركة كشأن باقى المعارك ، وانكانت هذه المعركة قد اتصفت باعتبارات خاصة ، هو أن قوات اسرائيل المدرعة الرئيسية وطيران حلفائها اشتركت كلها ضد هذا الموقع الذى ظل محتفظا بسلامته حتى آخر لحظة ..

وقد تكررت اعترافات المسئولين فى اسرائيل ، سواء فى محيط قواتها المسلحة أو من السياسيين بمدى الدور العظيم الذى قامت به قواتنا فى البر والبحر والجو .

ولقد أذيع فى تل أبيب فى ١١ نوفمبر ١٩٥٦ هذا البيان :ـــ

« استطاع الطيران المصرى أن يعرقل مواصلاتنا فى اليومين الاولين قبل تدخل طيران الحلفاء ، وأننا لو لم نتفاهم مع بعض الدول التى لها مصلحة فى تدمير قوة مصر لما استطعنا أن ننجو من مخالب القوة المصرية الهائلة » . كما اعترف صوت اسرائيل أيضا فى ١٩٥٦/١١/١٧ بما يلى : « قال شمعون بيرنس ، مدير عام وزارة الدفاع ان معركة سيناء قد برهنت على أن اسرائيل ينقصها سلاح جوى ، وينقصها قواعد جوية صالحة وشبكات رادار ، وبدون ذلك لا نستطيع أن نوازن السلاح الجوى المصرى . »

وفى اذاعة لاسرائيل فى ١٩٥٦/١١/٦ صرح اللواء شموئيل ثانكوس بأن الطيران المصرى تكبد خسائر ، ولكنه ما زال يملك عددا كبيرا من الطائرات يستطيع استعمالها فى اى وقت .

واعترف مصدر اسرائيلى بمدى تأثير الطيران المصرى فى ضرب اسرائيل فقال :

ان غارات الطائرات المصرية على مطار رامات دافيد قد أحدثت اضرارا بالغة بالمطار وشبت حرائق كبيرة ، ودمر عدد كبير من الطائرات وقد نقل عدد من الطائرات المحطمة الى ميناء حيفا على ظهر احـــدى القطارات وكانت عربات القطار مغطاة بالمشمعات .

وفى الواقع لم تستطع اسرائيل أن تشير الى ما قام به الســـلاح الجوى اليهودى فى العمليات سوى قولها أنه قدم مســـاعدات طيبة للقوات البرية فكان ذلك الاعتراف الصامت منها كافيا لتحديد حقيقة قواتها الجوية التى قضي عليها الطيران المصرى فى الايام الاولى من المعركة قبل تدخل بريطانيا وفرنسا .

وقد تضمنت التقارير الرسمية للمعركة بما يفيد أن نسبة الخسائر المصرية للخسائر الاسرائيلية فى اليومين الأولين من المعركة هى :

١ من مصر الى ٥ من اسرائيل بالنسبة للطيارين .

١ من مصر الى ٣ من اسرائيل بالنسبة للطائرات .

ولقد جاء فى تقرير رسمى آخر كتبه الكولونيل عساف سمحونى قائد العمليات فى المنطقة الجنوبية بخط يده ، وسجل فيه ملاحظاته عن العمليات التى اشترك فيها اللواء (٢٠٢) ما نصه الآتى :

« اللواء يتقدم الى تمد ونخل ويطلب طائرات لاخلاء الجرحى » .

« القوات معرضة لضرب شديد من الجو ــ نشاط العدو مستمر طوال اليوم ولم نستطع نقل الجرحى » .

كما كتب عن اللواء السابع المدرع الذى يتقدم على أبو عجيلة يقول :

١ ــ لم تكن هناك أوامر ثابتة للعمليات .

٢ ــ لم يكن هناك أى تنسيق من الرئيس الاعلى .

٣ ــ غرفة العمليات لم تكن تخدم الفروع المختلفة .

٤ ــ لم يكن القائد ولا أركان حربه فى القيادة فى بعض الأوقات .

٥ ــ لم تكن هناك اتصالات مستمرة مع الوحدات ، ولم تكن هناك تقارير من القادة الكبار .

٦ ــ الاوامر كانت تصــدر من القائد ولكن فرع العمليات لم يكن يتولى تنسيق النشاط .

٧ ــ ضابط فرع العمليات لم يقم بادارة فرع العمليات .

٨ ــ جميع الضباط فى فرع العمليات هجروا أعمالهم ، ولم تكن لهم مهمة الا انهم أصبحوا مجرد ضباط اتصال .

٩ ــ غرفة ضابط العمليات الحربية تأخرت فى العمل ويجب أن تكون ملاصقة لغرفة الحرب .

١٠ ــ لم تكن هناك فائدة جدية من فرع المخابرات .

١١ ــ جرت محاولة للسيطرة على الوحدات بوســـاطة جهاز اتصال نجح ولكنه لم يواصل وعطب .

ملاحظة : لم يكن فى الوحدة أى سجاير أو ترفيه .

وهذا هو جيش اسرائيل .. على لسان قادته .

تصفية معركة ممر متلا

ونعود الآن الى معركة الطريق الجنوبى عند ممر متلا والتى خاضتها مجموعة من كتيبة ونصف كتيبة من المشاة هى عبارة عن الكتيبة السادسة وسريتين من الكتيبة الخامسة .. بينما كانت السريتان الباقيتان من هذه الكتيبة فى منطقة وادى سدر لحراسة المرافق البترولية هناك .

وقد استطاعت هذه القوة تكبيد العدو خسائر ضخمة اعترف بها ، فى ممر متلا منع تقدم قوات المظلات بالرغم من عنف غارات الطـائرات بصورة مستمرة على قواتنا ، وقد أشرنا الى نوايا العدو وأهــدافه من عملياته علاوة على أن نشاطه بهذا الطريق الجنوبى كان سيجذب حتما جانبا من قواتنا مما يخفف العبء والمقاومة على قــواته المهاجمة فى القطاعات الاخرى ، ولكن كان الدور الذى قامت به قواتنا الجوية هو ابادة العدو فى نخل ابادة تامة وحرمانه من أمداد قواته التى أسقطها فى ممر متلا وفى شرقه ، وبذلك ظلت قواته داخل المر مقطوعة من كل عون الا من الطائرات التى بدأت تظهر فى المنطقة عقب الانذار الفرنسي البريطانى .. فكان العبء جسيما على قواتنا التى كانت قد أرسلت من منطقة خليج السويس لتصــفية موقف القوات المرابطة بمنطقة المر من

بقايا قوة المظلات وخاصة بعد ان استطاع العدو امدادها فى آخر الامر بالطائرات الشراعية تحت أستار الظلام ، واستطاعت قواتنا المنتشرة فى العراء حول المنفذ الغربى للممر بين الصخور والوهاد أن تحول دون تقدم العدو غربا .. وكان موقفها حرجا من حيث تعرضها فى العراء للضرب من الجو ، اذ لم يمكنها عمل اى استحكامات مانعة .. وكان تعرض هذه القوات سببا فى كثرة خسائرها النسبية ، ومع ذلك استماتت القوات فى مواقعها التى استطاعت ان تجهزها بسرعة ، وحالت فعلا دون تقدم العدو الذى قد أشار الى خسائره بدوره فى هذه المعركة .. والى عدم تمكنه من التقدم للقناة ، كما كان مقدرا له فى بدء العمليات .. وان كانت حجته فى ذلك هو أنه ادعى أن هدفه كان مقصورا على الوصول الى ممر متلا كاجراء خداعى لشغل قوات خليج السويس عن اتجاه الهجوم الذى كان مركزا على المحورين الاوسط والشمالى .

وقد اتصفت هذه المعركة بخصائص منيعة ميزتها عن باقى المعارك التى دارت فى القطاعات الاخرى .

١ — اذ برزت ضرورة **وأهمية تدريب القناصة** الذين استطاعوا وهم فى العراء مستترين خلف بعض الصخور والرمال واصطياد رجال المظلات الاسرائيليين فى داخل ممر متلا على مسافات زادت على ٥٠٠ متر .

٢ — ضرورة **الافادة من السواتر والهيئات الارضية** للوقاية من الضرب الجوى وخصوصا بالرشاشات والنابالم (قذائف حارقة)

٣ — **روح القتال والعزيمة** فى القيام بالواجب بالرغم من جميع الاخطار التى أحاطت بظروف العملية من حيث تفوق الطيران المعادى فى المراحل الاخيرة للعملية بعد اشتراك بريطانيا وفرنسا .

٤ — الاصرار **فى الاستماتة فى أداء الواجب** من جميع الرتب بما فيهم الطبيب المرافق لقوات المشاة . فقد كان ذلك مثالا خالدا للبطولة الفذة التى عرفت منذ عصور التاريخ عن معدن الجندى المصرى ومدى تقديسه لواجبه فى كل وقت ..

معارك قطاع غزة

لقد كان هذا القطاع خاليا من القوات العسكرية النظامية ولم يكن به سوى :

لوائين من قوة الحرس الوطنى .

ولواء فلسطينى تحت الانشاء والتدريب .

ووزعت هذه القوات بين غزة وخان يونس وما بينهما .

وكان العدو يعلم بظروف هذا القطاع التى خضعت لقيود اتفاقية الهدنة التى احترمت مصر نصوصها ، فلم تسلح هذا القطاع بالقوات النظامية ولا بالتسليح الثقيل ، واكتفت بوحدات الحرس الوطنى وباللواء الفلسطينى الذى كان قد رئى تشكيله والبدء فى تدريبه ، وشاءت الظروف أن يبدأ العدوان ولم يكن هذا اللواء قد استكمل معداته أو تدريبه .

وكان الامر طبيعيا فى أن يكون قطاع غزة خاليا من القوات النظامية نظرا لضيق العمق اللازم لهذه القوات وما يلزمها عادة من وحدات معاونة ووحدات ادارية كثيرة لاتطيقها سعة هذا القطاع .. وذلك علاوة على الالتزامات القانونية والادبية التى ارتبطت بها مصر بصفة رسمية منذ توقيع اتفاقية الهدنة عام ١٩٤٩ فى رودس .

وصحيح أن اسرائيل لم تلتزم من جانبها بأى وفاء للتعهدات التى أخذتها على نفسها أو الارتباطات التى شدتها بها اتفاقية الهدنة .. فكانت تكثر من اعتداءاتها وتمعن فى استهتارها بكل هذه الاعتبارات .. وكان الامر يتطلب من جانب مصر أخذ الشدة بمثلها .. وفعلا كانت الاعتداءات تقابل بمثلها أو بأشد منها .. ولكن دون أن يكون ذلك على حساب سلامة القوات من وجهة النظر الاستراتيجية .. فكانت وحدات الحرس الوطنى الخفيفة بتشكيلها وتسليحها كافية فعلا للقيام بكل هذه اللطمات الوقائية والدفاعية المضادة .. مما أثار الفزع الحقيقى فى اسرائيل وعلى الاخص فى مستعمرات الجنوب المتاخمة للقطاع .

حتى أن اسرائيل لم تجد عذرا أو سببا قويا تبرر به حملتها العدوانية على مصر سوى زيادة نشاط الفدائيين والحرس الوطنى من قطاع غزة على مستعمرات ومرافق اسرائيل .. ولعل فى هذا الايضاح عن سبب

عدم ارسال قوات نظامية الى قطاع غزة ما يكفى للرد على من يراوده هذا السؤال ..

وجواب آخر هو أن القوات النظامية الرئيسية كانت تمارس تدريبها المتواصل فى منطقة القنال منذ أيام التأميم .. ولم يبق كما سبق أن أوضحنا فى سينا سوى الوحدات الرمزية اللازمة لتأمين طرق الاقتراب ومناطق العبور التى تشرف على مسالك سينا والقنال من جهة الشرق ..

وكان قرب المستعمرات الاسرائيلية من قطاع غزة سببا آخر حال دون ارسال الاسلحة الثقيلة الى القطاع مع اية وحدات نظامية تسترعى النظر حفظا للسرية والامان ، بل رئى الاحتفاظ بها للظرف المناسب فى توقيته ومكانه ..

وكان العدو يعلم دقة موقف هذا القطاع بالنسبة لكثرة عدد اللاجئين به وازدحامه بالمدنيين ، الامر الذى يمكن استغلاله فى اثارة الذعر والاضطراب فيه بسرعة بالاغارة عليه لاضعاف معنوياته مما يزيد فى متاعب الادارة المصرية المشرفة على هذا القطاع .. ومن ثم مما يزيد فى حرج الحكومة المصرية أمام سكان القطاع من أهل فلسطين ، وعلى الاخص لعدم توافر القوات النظامية التى قد يكون وجودها — لو تحقق — سببا فى ايناس اللاجئين والابقاء على معنوية المدنيين .

ومن جهة أخرى فان طبيعة القطاع الطبوغرافية لم تكن تسمح اطلاقا بانشاء خطوط بمعناها التكتيكى الفنى المفهوم نظرا لعدم توافر العمق اللازم لتخطيط مثل هذه المواقع بصورة عملية مما دعا الى اتباع نظام الدفاع بوساطة الجزر الدفاعية التى تتعاون بعضها مع بعض بقدر ماتسمح به طبيعة الارض ومدى الرؤية ومرامى الاسلحة .

وكانت قوات العدو التى حشدها للعمل فى هذا القطاع مكونة من :

اللواء الحادى عشر المشاة .
اللواء الثانى عشر المشاة .

والاسلحة المعاونة من المدفعية ووحدات المدرعات والنقل والمهندسين ، علاوة على المساعدات المستمرة من الطيران والاسطول الفرنسى البريطانى .

وكانت خطته العامة مبنية على اساس :

١ ــ تثبيت غزة بالمناوشات والاشتباكات التى تقوم بها المستعمرات المحيطة بها من الشرق والشمال .

٢ ــ عزل غزة ودير البلح وخان يونس ، كل منها على حدة لقطع المواصلات فيما بينها .. ولسهولة الاستيلاء عليها .

٣ ــ ثم تطويق قطاع غزة بأكمله من الجنوب والغرب بعد الاستيلاء على رفح والعريش .

وبدأت الغارات الجوية على القطاع لاثارة الذعر والفوضي كما اشتركت سفن أساطيل دول العدوان فى قصف كل الساحل بقذائف مدفعية الاسطول ..

ونشطت مناوشات العدو فى شمال وشرق غزة ، على حين اتجهت قواته الرئيسية الى خان يونس للهجوم عليها ، وفشل فى الاستيلاء عليها مما دعاه الى استخدام أساليب الحرب النفسية باستعمال مكبرات الصوت والاذاعة من الطائرات والسيارات من أجل التأثير على معنوية الأفراد . وقد وجهت اذاعات خاصة الى قوات اللواء الفلسطينى بقصد اثارته والايقاع بينه وبين باقى القوات من الحرس الوطنى المصرى التى كانت تقاتل معه جنبا الى جنب .

ولم يحقق العدو أى نجاح عن هذا الطريق ايضا مما دعاه الى شن هجوم عام على خان يونس بالقوات التى احتلت رفح بعد اخلائها . وبدأ الهجوم فى نوفمبر ، واستخدمت فيه المدرعات والمشاة المحملة فى العربات ذات نصف الجنزير .. وفشلت هذه المحاولة أيضا بالرغم من تفوق قوة العدو الساحقة التى كانت مكونة من مجموعة لواء مشاة ومعه لواء مدرع .. ولذلك أعاد العدو تنظيم قواته وأجرى بعض التغييرات فى الضباط الذين تولوا القيام بالمحاولتين الفاشلتين .. وعاود الكرة الثالثة يوم ٤ نوفمبر من اتجاه دير البلح أى من الشمال الشرقى بعد أن يئس مرتين من جهة الغرب والجنوب الغربى .. وفشل أيضا للمرة الثالثة .

فضاعف جهده فى غاراته الجوية المركزة على أوكار ومحال المدفعية المضادة للدبابات ، واستطاع أن يدمرها ، واستشهد أفرادها بجوار مدافعهم وبذلك استطاع العدو أن يقذف بمدرعاته فى اتجاه خان يونس التى كانت قد خلت وقتئذ من المدفعية المضادة للدبابات التى استطاعت صد الهجمات السابقة .

وأما بالنسبة لغزة .. فلم يدر فيها قتال بالمعنى الصحيح ، بالنسبة

للظروف الخاصة بها من حيث ازدحامها بالمدنيين (بالرغم من انسحاب الرعايا الامريكيين وموظفى هيئة الأمم المتحدة) كما دعا الحاكم الادارى الى تجنيب المدنيين والتعرض للحرب ، وخاصة بعد أن انسحبت القوات الرئيسية للجيش الى غرب القناة لتواجه الخطر الاكبر والعدوان الرئيسي من بريطانيا وفرنسا ..

ولكن بالرغم من سقوط غزة ، وشدة بطش القوات الاسرائيلية بالاهالى واطراد السلب والنهب .. فقد ظلت أعمال المقاومة الشعبية ونشاط الفدائيين مستمرة مما أزعج فعلا السلطات الاسرائيلية ، واستمرت هذه الحركات حتى تم الجلاء .

ومما يلاحظ ان أول قوة عدوانية دخلت غزة كانت من **الفرنسيين والانجليز ، وبعد ذلك دخل اليهود الذين لم يجرءوا أن يكونوا هم أول الداخلين للمدينة** . ثم ما لبثوا أن مارسوا حملتهم الانتقامية — جزاء فشلهم من الاهالى .. وقد جاء فى التقرير الرسمى للمستر هنرى لابويس مدير وكالة غوث اللاجئين التابعة لهيئة الامم المتحدة الذى رفعه الى سكرتير عام هيئة الأمم المسيو داج همرشولد .. جاء فى هذا التقرير مانصه بالحرف الواحد :

« ان مصادر معلومات هيئة الاغاثة التى حصلت عليها بالرغم من شدة قسوة القيود التى فرضتها عليها السلطات الاسرائيلية التى تحتل قطاع غزة قد أثبتت أن قوات اسرائيل قد قتلت من اللاجئين : —

١٤٠ فى خان يونس عقب انتهاء المعارك فى ٤ نوفمبر .

١٠٣ معسكر رفح يوم ١٢ نوفمبر .

٤٨ معسكر نواح متفرقة من القطاع فى ٢٠ نوفمبر .

فتكون جملة الشهداء من اللاجئين ٢٩١ .

وقد تضمن التقرير أيضا ....

« ان المنظمة — ولو أنه لا شأن لها بالظروف السياسية لقطاع غزة — الا أنها لم تجد مفرا من الاحتجاج لدى السلطات الاسرائيلية على هذا القتل بالجملة وبتلك الصورة الوحشية الشاذة .

وقد أشار التقرير بصورة مهذبة غير مباشرة الى الاعمال الاجرامية التى قامت بها قوات اسرائيل بالنسبة لقتل العجائز والنساء وهتك أعراضهن واعدام الاطفال الذكور وغير ذلك كاصابة الشبان فى أقدامهم

بالرصاص ليعجزوا فى مستقبلهم عن حمل السلاح والقتال ضـــد هؤلاء المغتصبين .

ولم يكن اجرام القوات الفوضوية التى حاربت بهـــا اسرائيل ضد اهالى غزة واللاجئين أمرا شاذا ، بل كان مطابقا لما قامت به قواتهم أيضا فى العريش وأبو عجيلة .. اذ كان الانتقام من هؤلاء الابرياء هو الذى دفع المعتدين الى ذلك تغطية لمرارة الفشل الذى حاق بهم فى عملياتهم الحربية .

وكانوا يفسرون احتلالهم لسينا على اثر انسحاب القوات المصرية منها .. كانوا يفسرون ذلك نصرا لهم .. وكسبا كبيرا .. وخاصة بعد أن استولوا فعلا على بواقى المخازن من المهمات والبترول التى تعذر اعدامها أو حرقها لضيق الوقت الذى كان يحتم الاهتمام باتمام عملية الانســحاب وفقا للبرنامج الزمنى الضيق الذى حدد لها انقاذا للجيش من الفخ الذى نصبه المعتدون للقضاء عليه بعد أن أعلنت فرنسا وبريطانيا نواياهما فى انذارهما المشهور .. وهللت اسرائيل كثيرا للغنائم المادية التى استولت عليها وهللت اكثر لوصولها الى أرض سيناء .. وبدأت أحلامها تسبق تفكيرها فيما ينتظرها نتيجة لما صممت عليـــه مصر من بقائها على موقفها واصرارها على تطهير سيناء وبور ســـعيد من قوى العدوان كأســـاس مبدئى لقبول وقف اطلاق النيران .

ودارت عجلة الايام .. وانســـحبت اسرائيل من سينا ومن قطاع غزة بالرغم مما أعلنه رئيسها ووزيرة خارجيتها وقائد جيشها من اصرار اسرائيل وتمسكها بالبقاء فى قطاع غزة وعدم التفريط فيه لمصر ، وبعد أن أنشأت فيه إسرائيل فروعا لبنوكهـــا ، وقد بدأت أيضـــا تخطط لربط القطاع بجهاز دولتها اداريا واقتصاديا .

ولكن مع ذلك اضطرت اسرائيل للانسحاب من غزة بعد أن مهدت لذلك بتقديم بعض الشروط التى طلبت تحقيقهـــا ثمنا أو ضمانا لهذا الانسحاب .

وكانت هذه المطالب أو الشروط : ــ

« أعقد اتفاق بين اسرائيل ومصر بشأن المرور » .

« ضمان الدول الكبرى لاسرائيل فى حق الملاحة بقناة السويس » .

« عدم استخدام غزة قاعدة للهجوم عليها » .

وكان موقف مصر حازما وقاطعا برفضــها هذه المطالب التى كانت اسرائيل قد أذاعتها ووجهتها بمعرفتها الى المستر داج همرشلد .. .. بل وأنذرت مصر اسرائيل :

« بأن يتم الانسحاب نهائيا وفورا من سيناء ومن قطاع غزة وشرم الشيخ والعقبة خلال خمسة أيام تنفيذا لقرارات هيئة الامم المتحدة التى صدرت باجماع ٧٤ صــوتا ، وأن رفض اسرائيل لتنفيذ الانسحاب الى ما وراء خط الهدنة انما سيؤدى حتما الى نتائج خطيرة تتحملها اسرائيل وحدها .. » .

وأرسلت مصر هذا الانذار عن طريق الأمم المتحدة التى أضــحت بدورها فى موقف دقيق حرج ، اذ أنها هى التى أضحت طرف الاحتكاك المباشر مع اسرائيل فى تلك اللحظة .. وفى الفترة نفسها طالبت دول الكتلة الآسيوية الافريقية توقيع العقوبات الاقتصادية الدولية فورا على اسرائيل اذا لم تحترم قرارات الأمم المتحدة وتستجيب لمطالب الحكومة المصرية .

وتراجعت اسرائيل .. عندما أعلنت جولدا مايير وزيرة خارجيتها فى أول مارس سنة ١٩٥٧ قرار حكومتها بالانسحاب التام غير المشروط ، وبدأت قوات اسرائيل تتســلل من غزة فى ليلة ٤ مارس ، وكانت قوات بوليس الطوارىء الدولية قد وصلت فعلا الى غزة فى اليوم نفسه .

واعلن همرشلد تطهير سينا وغزة نهائيــاً من القوات المعتدية ، وأعلنت مصر رسميا « بأن قوات البوليس الدولية التى أرســلتها هيئة الأمم المتحدة قد قبلت مصر وجودها بعد انســحاب الانجليز والفرنسيين من بور سعيد وهذه القوات قد حددت لها واجبات واضحة هى متابعة انسحاب القوات المعتدية الى ما وراء خطوط الهدنة **وأن مصر هى التى ستقرر وحدها مدى الحاجة الى هذه القوات .**

وأن مصر هى التى تحدد موعد انتهاء هذه القوات الدولية من مهمتها وفقا لما تراه» .

وهكذا حددت مصر بوضوح كل الامور التى ترتبت على المعــركة وعلى انسحاب المعتدين بعد أن فشلوا فى الوصــول الى أهدافهم .. وكانت مصر تقدر سلفا أن دول العدوان ســوف لا تســكت على هــذه النتائج ، وأنه لابد أن تستأنف مؤامراتها فى الميادين **السياسية والاقتصادية،**



ضحايا العدوان الاسرائيلي من المدنيين من أهالي العريش قبل انسحاب قوات اسرائيل من سيناء

وأن تنتقم عن طريق هذين الميدانين بما يعوضها عن فشـــلها فى المعركة العسكرية .

وفعلا . . بدأت التيارات السياسية المختلفة تمهد الدعاية بوضـــع قطاع غزة تحت الاشراف الدولى ، وأعلن ســـلوين لويد وزير خارجيـــة بريطانيا :

« أن قطاع غزة له وضع خاص ، وأنه ليس لأية دولة سيادة شرعية عليه ، ولذلك يجب وضعه عســـكريا واداريا تحت اشراف هيئـــة الامم المتحدة فى مرحلة انتقالية الى أن يتم الوصـــــــول الى تسوية نهائية بخصوصه ، وكذلك فان خليـــج العقبة باعتباره ممرا مائيـــا دوليا يجب الاحتفاظ بصـــبغته الدولية ومعنى ذلك فان موضـــوع الحدود بين مصر واسرائيل هو فى الحقيقة موضوع لا معنى له ، وأن عدم البت فى هذا الموضوع سيؤدى حتما الى منازعات محلية بين مصر واسرائيل قد تؤثر على السلام ، ومعنى ذلك انه يجب اعادة تخطيط هـــــذه الحدود حتى يصبح لاسرائيل حدود معقولة . »

وهكذا بدأ الاسلوب الجديد لســـلخ غزة والتمهيد الى ضمها الى اسرائيل فيما بعد . . وكان الرد على ذلك تصريح الرئيس جمال عبد الناصر فى وفد الصحفيين الصينيين بقوله :

« ان أية محاولة من جانب الدول الغربية لتدويل غزة أو خليج العقبة ستؤدى الى متاعب جديدة ، وأن أى تدخل فيهما سيعتبر اعتداء صريحا على سيادة مصر » .

وبذلك وضعت الخطوط الواضحة لسياسة مصر واتجاهها فى هذا المضمار .

معركة رفح والعريش

كانت رفح احدى قواعد الارتكاز التى اعتمدت عليها قواتنا فى سينا لتأمينها ضـــــد اى تهديد أو عدوان من جانب اسرائيل ، وقـــــد أعدت التحصينات وموانع الدبابات كما تم اعداد حقول الالغام حول المواقع بما يكفى لوقايتها . وكانت قواتنا مكونة من :

كتيبتين من اللواء المشاة الخامس : هما الكتيبة ١٤ ، والكتيبة ١٥ . على حين كانت الكتيبة الباقية (١٣) فى القاهرة وذلك بجانب الوحدات

المعاونة من المدفعية المضادة للطائرات الخفيفة ومدفعية الميدان والمدفعية المضادة للدبابات .

وكانت خطة العدو لعملياته فيالقطاع الشمالي الذي يعتمد أساسا على دفاعات رفح والعريش كالآتي :

١ ـــ القيام بتطويق هاتين القاعدتين بصـــفة عامة من الجنوب والغرب وقطع خطوط مواصلاتهما مع باقي المواقع الدفاعية الغربية في أم قطف وأبو عجيلة .. وقطع المواصلات مع القنطرة والاسماعيلية .

واستخدام القوات المدرعة بصفة أساسية للقيام بهـذه العمليات التطويقية .

٢ ـــ الضغط على كل من القاعدتين بعمليتين مستقلتين بعد اتمام حركة تطويقهما .. وكان هدفه من ذلك ضمان القضـاء على كل قاعدة على حدة بسهولة اذا انقطعت مواصلاتها مع الاخرى .

٣ ـــ يكون الهجوم على رفح أولا والوصـــول الى أطرافهـا لاتمام عزلها تماما عن العريش من جهة الغرب ، وذلك بفتح ثغرة واســعة فى حقول الالغام الكثيفة التى أقامتها قواتنا قبل العدوان .

ثم مباشرة الهجوم الرئيسي على المواقع الدفاعية التى كانت فى مواجهة المستعمرات الاسرائيلية ، ويستخدم العدو فى الهجوم على رفح قوات مختلطة من المشاة والمدرعات تعاونهما كل ما لديه من الاســـلحة المعاونة .

٤ ـــ التمهيد لهذه العمليات بضرب مركز من مدفعية الاســـطول والطيران للقضاء على أوكار الاسلحة المعاونة ولاضعاف الروح المعنوية .

٥ ـــ بعد القضاء علىقوات رفح بالاستيلاء عليها تتجهالقوة المهاجمة غربا وبسرعة الى العريش للاستيلاء عليها ، ويكون فى الوقت نفسه قد تم للقوات المخصصة للهجوم على أبو عجيلة وأم قطفالوصول الىمشارف العريش .. وعندئذ تتعاون القوتان فى الاستيلاء على العريش بسهولة .

٦ ـــ وبعد اتمام عمليتى رفح والعريش .. يطوى قطاع غــزة من جهة الجنوب الغربى ، وبذلك يتم الاستيلاء عليه بدون جهد خاص له .

وقد بدا من خطة العدو التى رسمها للهجوم على رفح والعريش أنه كان واثقا من أنه ســينهى عملياته فى أم قطف وأبو عجيلة بسبب تدخل

بريطانيا وفرنسا ، وانه ربط مصـــير احتلال العريش وتأمين جناحه بعد احتلال رفح ، بانجاح قواته التى خصصت لعمليات المحور الأوسط .

وبذلك ظهر أول نقص فنى فى خطته التى افتقرت الى المرونة والى حسن توزيع الواجبات والتوقيتات الدقيقة .. اذ كان نجاحه فى العملية رهنا بنجاح آخر مشكوك فيه ســلفا .. وقد طغت أطماعه على تفكيره وتدبيره .. ويبدو أن القيادة الاسرائيلية كانت تتوقـــع انهيارا كــاملا سريعا للقوات المصرية المسلحة بمجرد اعلان اشتراك بريطانيا وفرنسا فى العمليات ، أو حتى بمجـرد اعلان الانذار الذى عرف أمره وصيغت ألفاظه باتفاق بين الدول الثلاث المعتدية .

وبدأت عمليات رفح مساء ٣١ اكتوبر بعد أن فشل العدو فى تحقيق أى نجاح فى عملياته بالقطاعين الاوســط والجنوبى .. ممــا دفعه الى الاتجاه الى القطاع الشمالى على أمل تحقيق أى نجاح فيه وخاصة بعد أن أعلن الانذار البريطانى الفرنسي فعــلا .. ورفضته مصر .. وبدأت الأساطيل البحرية الفرنسية والبريطانية تشترك فى خطة النيران العامة بالضرب المستمر على رفح والعريش وعلى ما فيهمــا من مرافق ومخازن ومواصلات .

وكان العدو يتوق الى احراز أى تقدم أو نصر محلى فى سينا قبل أن يكون تدخل فرنسا وبريطانيا طاغيا عليه أو حاجبا لكيانه .. ولهذا ركز هجومه على رفح وحاول فتح ثغرة فى حقول الالغام المحيطة بها حتى يندفع من خلالها الى أطراف القاعدة الدفاعية لتطويقها وعزلهــا عن العريش كما كان مفروضا .. وكان من نتيجة فشله فى هذه المحــاولة أن خسر معظم مدرعاته ســواء بتدميرها أو تعطيلهــا ، وكانت قواته التى اشتركت فى هذه المحاولة هى المجموعة ٧٧ المكونة من ٣ لواءات مشـــاة وفرقة مدرعة ، وهذا يفسر اهتمام العدو بهــذه المحاولة فى قطاع رفح وخصوصا لما كان فيهــــا من مراكز تموين ومخازن ضـــخمة من المواد والامدادات التموينية .

ولم ييأس العدو من فشله فى محاولته الاولى فعاد فى الليلة نفسها يكرر هجومه بعد أن تغير قائد القوات المهاجمة بسبب مصرع قائد الهجوم الأول ونائبه الذى انتهى بالفشل .. وقد اســتعان القائد الجــديد بكل احتياطاته لدفع قواته لفتح الثغرة ، واستطاع فعلا فتح الثغرة ، ولكن كانت نيران قواتنا الدفاعية تواصل تركيزها على الجانب الذى فتحت فيه الثغرة وبذلك استطاعت تثبيت العدو محصــورا بين الالغام التى كانت

لا تزال تحيط به من جانبيه ، وبين المواقع التى ظلت تصـليه نيرانها حتى اليوم التالى .

وفى الليلة نفسها صدرت أوامر القيادة العـامة للقوات المسلحة بالانسحاب العام من سينا .. وكانت الاوامر التى خصت قاعدة رفح هى الانسحاب الى العريش ومنها الى غرب القناة .

وبدأت الحامية تستعد لعملية الانسحاب فى هذه الظروف الدقيقة وتحت ضغط عامل الوقت .. وبدأت عملية التخفيف .. فى الوقت الذى بدأت فيه عمليات تدمير المخازن التى تعذر سحبها ونقلها الى العريش .

واستطاعت قوة رفح الانسحاب بكامل معداتها وأسلحتها الخفيفة الى المجرونتين والعريش بالرغم من أرهاقها بنيران الطيران والاسطول .

اخـــلاء العريش

وبعد انسحاب حامية رفح حاول العدو الانطلاق بسرعة فى اتجاه العريش ، وكانت خطته الخاصة بهذه العملية تتلخص فى الآتى :

١ ــ سرعة دفع المشاة ومعها المدرعات غربا من رفح فى اتجاه العريش والاستيلاء عليها بالتعاون مع قواته القادمة من أبو عجيلة .

٢ ــ بعد الاستيلاء على العريش تنطلــق قواته غربا الى القنطرة على قناة السويس .

٣ ــ تتعاون قوات حلفائه الجوية والبحــرية فى ضرب العريش وخطوط المواصلات بينها وبين القنطرة لمنع أى امدادات يحتمل ان ترسل الى العريش .

وبدأ العدو فى التحرك من رفح بعد أن انسحبت قواتنا بنجاح فاجأ العدو .. اذ أشرق صـــباح أول نوفمبر وكان الموقع فى رفح قـد تم اخلاؤه .. اذ استطاعت وحدات المؤخرة تضليل العدو طول الليل بعد أن توقف فى الثغرة التى فتحها ، واستمرت وحدات المؤخرة التى سترت انسحاب قواتنا تناوشه حتى أول ضوء يوم أول نوفمبر . وقـد حاول العدو مطاردة قواتنا غير أنه ظل غارقا بين جزر الألغام التى كان عليه أن يرفعها أو يتجنبها ليستطيع التحرك بالسرعة التى كان يرجوها ..

وكان من جراء هذا التعطيل أن تأخر تقدمه ، ولم يتمكن من مغادرة

رفح الا بعد ظهر اليوم .. واقبلت ليلة ٢/١ نوفمبر وكانت طلائع قواته لم تزل فى منتصف الطريق الى العريش .

واستطاعت قواتنا التى سبقته بالانسحاب الى العريش ان تنسق خطة تحركها فى الانســحاب الى القنال مع قوات العريش ، وتم اخلاء المدينة فى ذات الليلة ، اى قبل أن يصل العدو اليها .

وهكذا دخل العدو مدينة العريش فى اليوم الثانى (٢ نوفمبر) بعد أن تم انسحاب القوات منها .

ولقد كان المفروض ان تعطى الأولوية لسحب الجيش بأســلحته والاحتفاظ بها للافادة منها فى العملية الرئيسية التى كانت تلوح مقدماتها فى أفق منطقة القناة .. ولهــذا أعطيت العناية الأولى لنقل الافراد والذخائر والاسلحة .

وكان عامل الوقت هو الذى سيطر على خطة واسلوب الانسحاب فلم تســتطع بعض الوحدات تدمير مخازنهــا لحرمان العــدو من الافادة منها .

فقد وازن قادة الوحدات بين اعتبــارات تدمير المرافق وبين تأمين وســلامة انســحاب الجنود والمعدات التى اعطيت لهــا الأولوية فى الانقاذ .. فى عمليــات رفح والعريش وبلغت خسائر العــدو التى اذاعها .

ـ ٤٥ دبابة .

ـ ٤٠ عربة مصفحة .

ـ ٨٥٠ فرد (منهم قائد القوة التى تولت الهجوم الأول ونائبه وبعض كبار الضباط من اللواء ٢٧ المدرع واللواء الاول المشاة) .

وقد حملت التقارير الرسمية كثيرا من الفظائع والاعمال الوحشية التى قام بها العدو فى رفح والعريش بصــفة خاصة بالنسبة للمدنيين ، وعلى الأخص بالنسبة للشبان الذين كان يخشي احتمال تجنيدهم مستقبلا فقد قضي عليهم جميعا سواء بالقتل أو بالتشويه او بالخطف الى داخل اسرائيل ولم يعرف عن مصيرهم شيء .

وقد جمع الأطفال فى مدارس العــريش بحجة تأمينهم والمحافظة عليهم . وغدر بهم بالقتل أو النفى الى اسرائيل .

وهذا كله علاوة على أعمال الارهاب التى قامت بهـا السلطات الاسرائيلية ضد المدنيين الذين ارغمتهم بالسلاح على القيام بأعمال السخرة وأعمال التشويه فيما بينهم .. وجعل الاسرائيليون من هؤلاء الابرياء مادة للفكاهة والتسلية على حساب أرواحهم وأعراضهم وأموالهم .

ولم يقتصر ارهاب اسرائيل عند هذا الحد بل استمرت وتنوعت بعد أن فشلت محاولاتهم فى الحصـول على أى مظهر من التعاون من هؤلاء المدنيين .

معركة شرم الشيخ

كانت قواتنا التى تولت تأمين قاعدة شرم الشيخ ـ كما سـبق أن أوضحنا ـ مكونة من مجموعة كتيبة مشاة ، وهى عبارة عن الكتيبة المشاة رقم ٢١ ومعها وحدات معاونة عبارة عن بطارية من المدفعية الساحلية مكونة من مدفعين عيار ٦ بوصات ووحدات ادارية للخدمة الطبية ولصيانة العربات والأسلحة .. وكانت هناك السفينة الحربية رشيد مرابطة أمام الشرم فى المدخل الجنوبى لخليج العقبة ، وكان الغرض الرئيسي لهـذه القوة هو حراسة مدخل الخليج وتأمين جنوب شبه جزيرة سـيناء من أى تسلل يحتمـل أن تقوم به اسرائيل فى شـبه الجزيرة أو تجاه خليـج السويس .

ولقد كان هناك مشروع انشاء معدية بين جانبى خليج العقبة لربط الشاطىء المصرى بالشاطىء السعودى ليكون ممكنا الاتصال المباشر بين مصر والسعودية والأردن ، وخاصة بعد أن تم تعبيد الطريق من الشـط على الضفة الشرقية لخليج السويس الى مناطق البترول فى سدر ومطامر الى الطور ثم الى شرم الشيخ .

وبدىء فعلا بتعبيد الطرق بالمنطقة بالدرجة التى تسـمح باجراء التحركات بين أطراف الجبهة التى امتدت على خليـج العقبة الى نقطة رأس نصرانى وذهب .. وكانت هناك سفينة حربية بصفة دائمة للعمل تحت قيادة القطاع .. وتصادف أن السفينة الحربية رشيد كانت وقت العدوان هى الموجودة هناك .. ولم يكن بها من الوقود مايكفيها الا لفترة محدودة .. وكان قد تقرر تغييرها بالسفينة دمياط التى خاضت معركتها المجيدة فى خليج السويس وهى فى طريقها الى شرم الشيخ ، وبذلك لم يكن أمام رشيد سوى البقاء فى المنطقة والاسـتمرار فى الاشتراك فى

الدفاع .. ولكن لمدى محدود ، اذ أن ادارة ماكيناتهـا (حتى فى حـالة الوقوف) من أجل تشغيل أجهزتها الكهربية والرادار والمدافع وتكرير ماء الشرب والطبخ وغير ذلك من الخدمات الضرورية العادية انما كان يتطلب تشغيل بعض الماكينات ، ولم يكن ميسورا امدادها بأى مزيد من الوقود .. ولهذا تقرر أن تعود فى أول فرصة حتى لا تتوقف نهائيا وتصبح فريسة سهلة المنال للعدو الذى كان يتربص بها دائما وخاصة بعد أن انتهى من معركة دمياط ، وحشد معظم قطعه البحرية الكبيرة على مدخل خليج العقبة للاشتراك مع القوات الجوية المختلطة والقوات الاسرائيلية الهابطة من ايلات لاحتلال شرم الشيخ ..

ولذلك تقرر عودة السفينة رشيد فى أول فرصة لها الى ميناء الطور حيث يمكن هناك تدبير حاجتها من الوقود ومواد التموين .

ولكن تطور المعركة واشتدادها مع اصرار العـدو على احتـلال شرم الشيخ لفتح طريق الملاحة فى خليج العقبة الى ميناء آيلات .. كان تطور المعركة سببا فى أن تعدل خطة سير رشيد لتتجه الى ميناء « شرم الوجه » بالمملكة العربية السعودية وخاصة أن موقف الوقود كان يسوء لحظة بعد أخرى .. وكان ميناء الطور قد أخلى من القوات المصرية تنفيذا لخطة الانسحاب العامة .. وكانت المسـافة بين شرم الشـيخ .. وشرم الوجه .. حوالى ١٢٠ ميلا .. وقد صدر هذا الامر الجديد .

ولكن ظهر الطراد البريطانى نيوفوند لاند ومعه المدمرتان الملازمتان له على بعد ٨ أميال من شرم الشيخ .. وبدأت السفن البريطانية الثلاث تتخذ أوضاعها لاتمام حلقة الحصار على السفينة المصرية رشـيد حتى لا تفلت من أيديهم ، وكان هدف العدو الاستيلاء على السـفينة الحربية المصرية ، أو على الاقل تدميرها والقضاء عليها .

ولكن حدث أن وقعت غارة جوية على شرم الشـيخ واشـتركت السفينة رشيد فى الدفاع ، وكانت معركة رهيبة اختلطت فيها الاضواء بالنيران والدخان وألسنة الحرائق الصاعدة للسماء .. كان هذا هو جو المعركة التى ضللت طائرات العدو بدرجـة أنهـا أغارت على السـفن البريطانية .. فكانت فرصـة نادرة غير متوقعة ، ذلك لأن الطائرات الفرنسية والبريطانية ظلت تهاجم السفن الحربية البريطانية مما فاجأ رجال هذه السفن التى لم تكن تتوقع أن تكون هدفا سهلا لطائراتها .. وبالطبع لم تشتبك السفن بهذه الطائرات فى بادىء الأمر .. ومرت فترة حرجة دقيقة اختلطت فيها الامور بين قوات العدو الجوية والبحرية ..

فكانت هذه الفترة هى التى أتيحت للسفينة رشيد لتطلق الدخان للتمويه ثم تنسحب بين لفائف دخان الخديعة ودخان المعركة وذهـول الافراد ، واتجهت السفينة رأسا الى شرم الوجه على الساحل السعودى .

وكان قد سبق الاتفاق مع الحكومة السعودية على خط سـير السفينة منذ أن تقرر ذلك .. ووصلت رشيد الى ميناء الوجه فى الساعة ٩٫٢٨ من صباح يوم ٢ نوفمبر ، فكان ذلك ضربة مفاجئة لقوات العـدو البحرية والجوية التى لم تستطع كشف انسحاب سفينتنا .

ولقد فوجىء العدو بعدم وجود « رشيد » فى ميناء شرم الشيخ بعد أن هدأ جو المعركة فيها فى اليوم التالى ، فاعتقد أن السفينة غرقت نتيجة للغارة التى دارت فى اليوم السابق ، ولذلك أعلنت اذاعات العدو فى بلاغاته الرسمية فى لندن وقبرص وباريس وتل أبيب نبأ غرق السفينة المصرية « رشيد » فى مياه شرم الشيخ .. وكانت هذه الأنباء تذاع فى الوقت الذى كان فيه رجال السفينة رشيد « يشوون الخراف » فى شرم الوجه ، ويستمتعون بوجبة شهية بعد نجاح خدعتهم فى تضليل السفن والطائرات المعادية وانسحابهـا بسـلام الى الوجه . ولحسن الحظ أن الوقود الذى كان بالسفينة رشيد قبل اقلاعها من مياه شرم الشيخ كان بمقداره ٣٨ طنا من المازوت وهى كمية تكفى لادارة الماكينات لمدة ٢٤ ساعة متواصلة أو ٤٨ سـاعة فى ادارة بعض الماكينات لخدمة المطـالب الضرورية .

هذه هى الصورة العامة للجانب البحرى من معركة شرم الشيخ .. التى اعتبرت فى الحقيقة من أهم المعارك التى دارت فى سيناء ، والتى أشار اليها بن جوريون فى خطابه عند افتتاح دورة البرلمان الاسرائيلى « الكنيست » فى ٧ نوفمبر أى بعد انتهاء المعركة بساعات معدودة ، فقال بالحرف الواحد :

« اننا احتللنا فى ٣ نوفمبر باقى المواقع التى انسحب منها الجيش المصرى عدا موقع شرم الشيخ ، وهو موقع محصن بمدافع قوية ومجهز بمطار جيد ولقد أبدى المصريون شجاعة قوية عجيبة حتى كان من الصعب علينا أن نتصور أو نصدق أنه فى امكاننا القضاء عليها ، ولكن سقطت منا فى هذه المعركة الرهيبة ضحايا غالية جدا علينـا ، ومن الصـعب أن نعوضها .

ولقد أبدت قواتنا بطولة وبذلنا أعظم مجهود فى التاريخ اليهودى وكانت أيامنا فى هذه المعـركة أيام فزع وذعر أمام هول القوة المصرية

وكان المطلوب من الشعب الاسرائيلى كله ان يصبر ويظهر شجاعة امام جيش مصر عدونا القدير » .

هذه شهادة رئيس وزراء اسرائيل الرسمية التي سجلها على نفسه أمام التاريخ وعلى رءوس الأشهاد من أعضاء الكنيست ، وفى الحقيقة لم تكن معركة شرم الشيخ وحدها هي التى أرهقت اسرائيل ودوخت قواتها المسلحة ، ولكنها كانت أيضا المعركة المستمرة الوحيدة التى ظلت دائرة الرحى مع قوات اسرائيل وبريطانيا وفرنسا البرية والبحرية والجوية طول مدة العدوان .. حتى أوقف اطلاق النيران .

تفصيل المعركة

ولقد كانت خطة العدو فى المعركة هى :

١ — تتحرك مجموعة اللواء المشاة التاسع الاحتياط بالسيارات من بئر السبع الى ميناء ايلات .

٢ — تنقل الدبابات من ميناء ايلات بحرا الى نقطة انزالها على شاطىء سينا عند نقطة « ذهب » .

٣ — تستمر قوات المشاة والاسلحة الأخرى فى طريقها برا من ايلات الى ذهب .

٤ — تتحرك كل القوات بعد تجمعها فى ذهب الى شرم الشيخ .

٥ — اسقاط قوة من جنود المظلات (سريتين) عند الطور شمال غرب شرم الشيخ لتطويقها من الخلف وعزلها وقطع الطريق بينها وبين شرم الشيخ من جهة الغرب (باعتبار أن هذا الطريق هو خط مواصلات وتموين قوة شرم الشيخ برا مع الطور والسويس) .

٦ — تقوم البحرية البريطانية والفرنسية بمعاونة القوات البرية فى هجومها .

٧ — تقوم قوات جوية مختلطة (فرنسية / بريطانية) بمساعدة الهجوم والتمهيد له بالغارات التدميرية على منطقة شرم الشيخ .

وكان أمل العدو فى وضعه هذه الخطة هو سرعة الوصول الى شرم الشيخ والقضاء على حاميتها لكى يفتح له طريق الملاحة أمام ايلات الى البحر الأحمر .. وقد حاول العدو تحقيق المفاجأة لقواتنا بأن يكون تقدم

قواته على طريق وعر غير مطروق .. وفى الواقع كان هذا الاختيار ضربا من الحماقة والمجازفة ، اذ أن هذه المفاجأة التى كان يرجو تحقيقها كانت معرضة للفشل باحتمال اكتشاف تحرك هذه القوات من الجـو وامكان ارهاقها بالغارات فى أثناء تقدمها .. وكانت هذه المجازفة اضطرارية اذ لم يكن ممكنا فى الحقيقة نقل قواته كلها بحرا من ايلات الى ذهب أو الى أية نقطة أخرى على شاطىء خليج العقبة الغربى .. لعدم توافر وسائل النقل البحـرى له .. ولعـدم توافر وسـائل الوقاية اللازمة لتأمين نقل هذه القوة ، حتى لو توافرت لها السفن ضد أى هجوم جوى أو تعرض بحرى لها .

كما لم يكن ممكنا اسقاط قوات كبيرة من جنود المظلات فى المنطقة وخاصة بعد توقف جنود مظلاته فى ممر متلا وفشلهم فى التقدم منه .

ولهذا فان تحرك القوات البرية من ايلات الى منطقة شرم الشيخ انما كان أمرا اضطراريا .. محفوفا بالمخاطر .

وكانت هذه الصعوبة موضع تقدير سابق فى قيادة اسرائيل ، ولذلك رأت تعبئة رجالها من الناحية المعنوية والاشادة بأمجاد معتقداتهم الدينية وتبشيرهم باقتراب بلوغ كل أمانيهم التى وعدهم بها الله باعتبارهم شعبه المختار .. وأن المعركة التى سيخوضونها فى سيناء المقدسة انما هى مفتاح هذه الأمانى الموعودة .

وفى الحقيقة كان لهذا **الاعداد النفسي** أثر كبير فى عدم تذمر القوات بعد أن اشتدت بهم محن الطريق والقتال ، وخاصة أنهم من القـوات الاحتياطية من أهل الريف السذج الذين استهوتهم الاثارة الدينية التى لمست شغاف قلوبهم ، فأعانتهم على الصبر والمضي فى المعركة الرهيبة التى وصفها بن جوريون كما سبق .

وكان بدء هذه العملية ليلة ٢٩ من أكتوبر عندما تجمعت القوات فى بئر السبع وصار التعارف بين الوحدات التى كانت مكونة من :

اللواء التاسع الاحتياطى المشـاة .

وحدة من الدبابات .

مجموعة أسلحة معاونة مكونة من وحدات المهندسين وسـيارات نصف الجنزير وعربات خدمة الجيش للنقل ، وتم التجمع لهذه القوات وتم تلقينها واعدادها نفسيا للمعركة حتى فجر ٣١ أكتوبر ، وتحـركت

من بئر السبع الى سادية بوكر ـ عبدت ـ معالبه هاعتسماووت ـ ودخلت وادى جرافى .

وقد سبقها فى الطريق الى ايلات بعض السفن الصغيرة الخاصة بالنقل تم تحميلها برا من حيفا الى ايلات وذلك لتقوم بأعمال النقل البحرى من ايلات الى ذهب .. علاوة على سابق وجود بعض السفن الفرنسية والبريطانية فى ميناء ايلات من قبل العدوان .. وقد خصص لهذه السفن واجب نقل المعدات الثقيلة والدبابات من ايلات الى ذهب .. كما جاء فى الخطة .

ولكن كانت الفرصة سانحة لقواتنا الجوية لتدخل بغارتها على هذه القوة وركزت عليها هجوما عنيفا بالرشاشات والقنابل مما أثر على معنوية القوات الاسرائيلية وترتب عليه فقد سيطرة قائدها على رجاله ، الامر الذى نجم عنه ضلال القوة عن الطريق الذى سلكته للوصول الى ايلات .

ولكن امكنها بعد مجهود طويل الاتجاه فى الطريق الصحيح قرب الكونتلا مما أثر من ثم على معنوياتها .. قبل أن تشترك فى المعركة .

ووصلت هذه القوات المعادية الى مشارف الكونتلا مساء ٣١ أكتوبر ووصلت بعد ذلك الى راس النقب صباح أول نوفمبر ومنه الى عين مرتجى حيث وصلتها ظهرا وتمونت من مياهها بعد أن كانت على وشك الموت ظمأ بالنسبة للفترة التى ضاعت منها فى ضلالها عن الطريق واستهلاكها لرصيدها من الماء ، وامضت القوة ليلة ١ و ٢ نوفمبر بين عين مرتجى وذهب .. وفى صباح ٢ نوفمبر وصلت مقدمة القوات الاسرائيلية الى ذهب واشتبكت مع نقطة انتظار مصرية كانت ترابط بها ، وبدأت غارات العدو تركز نيرانها على هذه النقطة الصغيرة .. وتحت ستار هذه النيران نزلت قوات العدو من البحر بزوارق الانزال ومعها البترول والذخائر والدبابات .

وواصلت القوة تقدمها صباح ٣ نوفمبر الى مضيق وادى كبير واشتبكت مع كمين مصرى كان قد أمر باعداده قائد شرم الشيخ لاستطلاع مدى قوة العدو وتعطيله .. وتكبد العدو خسائر كثيرة نظرا للمفاجأة التى لم يكن يتوقعها وخاصة أنه كان يتوقع أن تتم عمليته الى النهاية بسهولة وسلام ، اذ كانت القيادة العليا المصرية قد أصدرت أمرها بالانسحاب من سينا الى غرب القناة لتأمينها ضد الهجوم الرئيسي من بريطانيا وفرنسا .. وكان العدو فى خلال هذه الايام يركز غاراته بصفة

منتظمة على قاعدة شرم الشيخ وعلى السفينة المصرية رشيد التى كانت راسية بالميناء قبل أن تتمكن من الاتجاه الى شرم الوجه .

وواصلت قوات العدو تقدمها فى اتجاه شرم الشيخ ووصلت مساء ٣ نوفمبر .

وحدث أن استمرت القوة الاسرائيلية فى تقدمها . حتى عثرت على خط تليفونى متروك متصل بقيادة القوة المصرية فى شرم الشيخ .. فاتصل القائد الاسرائيلى عن طريق هذا الخط .. بالقائد المصرى وطلب منه التسليم بعد أن تم انسحاب قوات الجيش المصرى من سيناء وبعد أن « تعذر » على قوة شرم الشيخ البقاء فى هذا المعزل دون توقع انتظار لأى امداد .. وكان رد هذا الحديث من جانب القائد المصرى أن أمر باطلاق نيران الوحدات التى كانت تستر عملية ضم قوات نصرانى الى قـــوة الشرم .. على القوة الاسرائيلية التى ردت بدورها بالمثل .

وفى يوم ٤ نوفمبر بدأ الهجوم الاسرائيلى على شرم الشيخ .. وكان القائد المصرى قد أخلى الموقع من المدنيين والعمال والجرحى فى احدى المراكب الشراعية (كما سيأتى بعد) وبعد أن أجرى عدة تغييرات فى المواقع لتضليل العدو الذى كان قد شن عدة غارات جوية حصـل فيها بلا شك على صورة كاملة لتخطيط المواقع المصرية .. والتى على أساس هذه المعلومات رسم خطته الهجومية !!

واستمر الهجوم الاسرائيلى بمعاونة الطيران والبحرية ، وفشـــل الهجوم نتيجة لاصرار المدافعين فى القتال .. مما لم يكن يتوقعه العـدو وخاصة بعد تطور ظروف القتال العامة فى سينا واستحالة امداد القـوة المصرية الأمر الذى كان ينتظر العدو نتائجه بأن تكون بصورة سهلة غير التى شهدها مما اضطره الى ايقاف هجومه واعادة تنظيم قواته من جديد لاستئناف العملية بخطة أخرى مهد لها بغارة جوية القى فيها منشورات يدعو فيها المدافعين « المحصورين » الى التسليم .. وبعد ذلك شن هجومه الثانى وبدأت التحصينات التى أقامها رجال شرم الشيخ تنهار أمام قصف **قنابل البحرية البريطانية وصواريخ الطائرات** ، وبدأ القتال من ركن الى ركن .. ومن خندق الى آخر .. وانتهى الهجوم الثانى دون أن يســتطيع العدو احتلال القلعة .

ودار القتال ليلا ، واستمرت الغارات من الجو ــ وظل قصـفه البحرية مستمرا طول الليل بقصد ارهاق المدافعين الى أن تحطمت كل المدافع والمرافق الادارية ومخازن التموين وصهاريج المياه بما فى ذلك

مرشح التكرير للماء المالح .. مما استحال معه الصمود أكثر من ذلك .. وكانت أوامر القائد العام قد وصلت لتضع حدا لعناد قواتنا فى قتالهـــا ضد العدو .. وسقطت شرم الشيخ يوم ٥ نوفمبر ، وصدر البلاغ الرسمى الاسرائيلى يشيد بعنف القتال الذى أبدته القوة المصرية التى ظلت تقاتل من حفرة الى حفرة ومن خندق الى آخر حتى آخر رمق ، واعترف البلاغ أيضا بأن جميع مخلفات المعركة من بقايا الاسلحة التى وجدوها فى المواقع المصرية كانت غير صالحة .

وبذلك انتهت صفحة أخرى من أمجاد الكفاح المصرى فى سيناء . وقد رأينا أن نسجل بعض الاشارات الرسمية التى دارت بين قيادة قوة شرم الشيخ والقيادة العامة لا لتكشف لنا عن بعض جوانب المعركة .. وانما سجلناها فى هذا المقام لكونها صورة عبرت عن شعور وتفكير وسلوك أولئك الابطال الذين ظلوا فى عزلتهم النائية يقاتلون تحت أشق الظروف طول مدة العدوان دون أن يغمض لهم جفن .

فقد حدث فى يوم ٣ نوفمبر أن أبرقت قيادة خليج العقبة من شرم الشيخ للقيادة العامة بما يفيد اتمام حصـــارها برا وبحرا وجوا بعد أن تجمعت كل السفن البريطانية فى مدخل الخليج لمنع أى اتصال بحرى مع شرم الشيخ .. كما استمرت القوات الجوية المعادية فى غاراتها على القوة المصرية المدافعة فى الشرم .. واشتد الحصار لدرجة أن السفن الحربية البريطانية كانت تأسر كل الزوارق الشراعية التى كانت تظهر فى المنطقة حول شرم الشيخ ، بما فى ذلك مراكب الصيادين المدنيين .. وقرر قائد شرم الشيخ فى الوقت نفسه أيضا اخلاء الجرحى بما فى ذلك جرحى الاسرى اليهود .. وكل المدنيين (وكانوا عبارة عن بعض الموظفين الاداريين وعمال الصيانة والمهمات) وتم الاخلاء فعلا بمركب شراعى فى اتجـــاه الشيخ حميد والطور قبل أن تصل طلائع العدو لاحتلاله بعد أن صدرت الأوامر العامة للانسحاب .. من سينا .. وقد أوضح قائد شرم الشـــيخ فى رسالته التى أبرق بها للقيادة باحتمال وقوع مركب الجرحى فى أسر البحرية البريطانية .. اذ كانت هذه العملية بطبيعتها مجازفة كبيرة تحملها الضابط الصغير برتبة الملازم ثانى (محمد فهمى) وفى مســـاء اليوم نفسه ٢٠٣٠ وردت اشارة القيادة العامة من شرم الشيخ هذا نصـــها بالحرف :

ظهرت طائراتنا فى الموعد المناسب وقامت بمعركة رائعة بينها وبين بوارج العدو ، اشتعلت النيران فى احدى هذه البوارج .

وفرت السفينتان الباقيتان فى الظلام دون أية مقاومة منهما ونشكركم .
ثم وردت اشارة أخرى لاحقة لهذه الاشارة فى الساعة التاسعة مساء .. أى بعد نصف ساعة من الاشارة السابقة وكان نصها كالآتى :

« دارت معركة بحرية جوية قبل آخر ضوء بين طائراتنا الحبيبة وأسطول الأعداء فى منتصف المسافة بين رأس محمد ومدخل الخليج ، واشتعلت النيران فى احدى البوارج نصف ساعة ، وحجب الظلام معرفتنا تفاصيل النتائج ، ولاذت البارجتان الباقيتان بالفرار جنوبا ، قوات العقبة تشكركم وتحيا مصر » .

وقد بدت فى روح النصوص التى تضمنتها كل من الاشارتين مدى الأثر المعنوى العميق الذى غمر القوات المدافعة بعد أن قرر قائدها البقاء فى مواقعه والاستمرار فى الدفاع الى النهاية ، وبعد أن لمس خطورة موقفه بمحاصرة العدو له من كل جانب لانسحاب قواتنا من سيناء ..

وجرت محادثة تليفونية خاصة من قائد شرم الشيخ والقيادة العامة للقوات المسلحة فى الساعة العاشرة مساء ، وكان نصها :

« الحالة هادئة والكتيبة تتجمع حاليا فى شرم الشيخ حيث قررت تجميع القوة فى الشرم لعمل حصن ، وضم القوة يتم من جهة الشرق عند منتصف الليل ، وقد أرسلت مقدمة للاشتباك مع العدو لتعطيله عن التدخل بالقوة فى أثناء قيامها بعملية الانضمام والتجمع ، وبخصوص السفن الحربية المعادية فقد غرقت احداها وتحركت أخرى للجنوب والثالثة كانت بعيدة ونرجو ابلاغنا بخسائر العدو عندكم بالقاهرة وبالاسكندرية والقناة » .

وكان هذا الحديث التليفونى انعكاسا لما كان يتفاعل فى نفس قائد قوة شرم الشيخ من أحاسيس كثيرة حملت معنى اهتمامه بأبناء الوطن وانشغاله بمجريات الاحداث فى باقى القطاعات ولهفته على سماع أخبار المعارك الدائرة مع العدو .. وكان معنى ذلك أن محنة المعركة التى عاشها وخاضها مع رجاله لم تفقده أمله فى أن تكون نهاية المعركة لمصلحته . وأنه لم يزل يفكر ويخطط من أجل تضليل وارهاق العدو حتى آخر لحظة ..

وكان جزاء اصراره على موقفه أن نشطت الغارات الجوية على قوة شرم الشيخ بصورة عنيفة طول يوم ٤ نوفمبر ، وصفت بأنها « اكتساحات عنيفة مركزة » .

ولكن لم يتأثر موقف قواتنا من هذه الغارات بل كان هناك الاصرار

على الصمود الى النهاية ، وقد وصلت اشارة من قيادة هذه القوات الى القيادة العامة فى الساعة الثانية عشرة ظهرا ، نصها :

جميع القوات فى أوضاعها الجديدة على حسب الخطة ، وجميع المعدات الحربية بما فى ذلك مدفعية السواحل والمضادة للطائرات ، ومرشحات المياه دمرت تماما . سنظل ندافع الى النهاية » .

وقامت طائرات العدو بعد هذه الغارات بالقاء منشورات « تدعو فيها قواتنا بالتسليم وخاصة أن القوات المصرية فى سينا قد تم انسحابها كلها عدا قوة شرم الشيخ . وقوبلت هذه الطائرات بنيران الاسلحة الصغيرة اذ لم يكن هناك مدفع واحد مضاد للطائرات يصلح للاشتباك بها ، وفقد العدو صبره بعد هذه المحاولة .. فشن غارات جديدة فى مساء ذلك اليوم واستخدم القنابل الحارقة والشديدة الانفجار والنابالم ، وبدا أن هذه المحاولة كانت بمثابة غارة انتقامية بسبب عدم الاستجابة لدعوة الاستسلام .

وفى تمام الساعة العاشرة والربع مساء وصلت لقائد قوة شرم الشيخ الاشارة الآتية من القائد العام للقوات المسلحة :

« أقدر فيك وجنودك البطولة والاقدام ، ستكونون دائما مثالا للوطنية والتضحية فى سبيل الواجب ، اذا لم يمكنك الاستمرار حتى أول ضوء فانى آمرك بأن تسلم ، تخلص من جميع الاسلحة حتى البنادق والطبنجات ولو بالقائها فى البحر ، تدمر جميع المنشآت اذا أمكن ، تحياتى » .

ولقد رأينا أيضا أن نسجل ما شهد به الأعداء عن هذه المعركة التى كانت فعلاً من أخطر وأهم المعارك بالنسبة لميدانها الجغرافى وبالنسبة للعنف الذى اتصفت به وبالنسبة أيضا للظروف القاسية التى واجهته وأحاطته بقواتنا والتى بالرغم من ذلك كله استطاعت أن تكبد العدو خسائر كانت أضعاف مجموع قواتنا التى اشتركت بالمعركة .. فقد ذكرت مجلة « بأماحنه » العسكرية الاسرائيلية فى تقريرها الرسمى التحليلى عن هذه المعركة **ما يأتى بالحرف الواحد :**

« ان القوات المصرية التى أمرت بالبقاء فى شرم الشيخ والمواقع المصرية المجاورة كانت عبارة عن ٨٠٠ عسكرى بينهم ٤٥ ضابطا ، وكانت هذه القوات موزعة فى تسعة مواقع تمتد من ايلات الى شرم الشيخ ، وهى رأس النقب وعين مرتجى والدهب ونبق ووادى البيد ورأس النصرانى وتيران وصنافير وشرم الشيخ .

أما القوات الاسرائيلية فكانت عبارة عن لواء مشاة كامل هو اللواء التاسع ، وعدد رجاله خمسة آلاف عسكرى وكتيبة دبابات اضافية وكتيبة مدرعات وسيارات وعربات وسرية هندسة وسرية مدفعية ضد الدبابات وأخرى ضد الطائرات وكتيبة هاون ثقيل وسرية فدائيين وسرية مظليين بالاضافة الى النجدات الأجنبية الجوية والبحرية . ومعنى هذا ان اللواء التاسع المشاة لم يكتف بما لديه من عناصر مدرعة ومدفعية ، بل ضم اليه لواء مدرعا وعناصر اخرى من المدفعية وغيرها ، وبذلك يكون تعداد القوات التى اشتركت فى الهجوم على القوة المصرية الصغيرة حوالى ١٢ ألف اسرائيلى ، وهذا يدل على شدة خوف الاسرائيليين من القوة المصرية واضطرارهم للاستعانة بالطائرات والسفن الاجنبية ضدها .

« يضاف الى كل هذا أن لواء المشاة التاسع الاسرائيلى كان يتألف من المقاتلين الأشداء الذين قاتلوا فى حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ بقيادة اللواء « يجنال الون » . وهم ليسو مشاة عاديين بل قوة متحركة آلية سريعة الحركة مزودة بالمدرعات والسيارات التى تنقلها الى مكان المعركة .

خطة المعركة :

« كانت أمام هذه القوة الاسرائيلية الكبيرة غاية واحدة وهدف واحد فقط هو احتلال شرم الشيخ وتجنب الاشتباك مع أية قوة غيرها لكى تبقى محافظة على قوتها ونشاطها عند الوصول الى الهدف ، ولذلك فقد سارت هذه القوة فى خط بعيد جدا عن الانظار ليس فيه مواقع عسكرية لذلك استطاعت أن تقطع مسافة ٢٠٠ كيلو متر فى عشرة أيام ، اذ بدأت زحفها من ايلات على ساحل خليج العقبة وسارت على طول الساحل بين الوديان والشعاب المتدة من رأس النقب الى شرم الشيخ ، اى على طول ساحل سيناء الواقع على امتداد خليج العقبة .

ان منطقة الزحف أمام هذه القوة لم تكن واسعة لأن الرقعة الساحلية الواقعة على خليج العقبة لا تصلح للزحف لانها عبارة عن صخور منحدرة مع الساحل انحدارا عنيفا ومرتفعة فى بعض الأحيان ارتفاعا شاهقا وهى قليلة المياه ليس فيها سكان وفيها فجوات مقطوعة ، الا أن هناك بعض المسالك على شكل وديان .

« وقد شعر ضابط المخابرات الذى رافق الزحف بأن مهمته عسيرة

جدا لأنه لا يعرف الطريق ، ولذلك أرسل رجاله لاصطياد البدو من السكان والمهربين الذين يندر وجودهم هناك . ولما أمسكوا بأحد البدو رفض أن يدلهم على الطريق فأمعنوا فيه ضربا حتى نزلت الدماء من صدره وفمه وأخيرا اضطروا الى استدعاء بعض الطـــائرات الخفيفة من طرز بيبر لاستطلاع طريقهم والاعتماد عليها فى ارشادهم . وقد حدث مرة أنهم شاهدوا أمامهم بحيرة واسعة جدا تسد عليهم الطريق فتوقفوا مدة طويلة ثم ظهر لهم أنها سراب . وكانت الرمال فى معظم المناطق كثيفة جدا تغرز فيها العربات ، ولذلك فقد تأخر السير كثيرا وكان الزحف قد بدأ فى صباح يوم ٢٩ أكتوبر وكان من المقرر ان تصل القوة الى شرم الشيخ فى يوم ٣ نوفمبر ، الا انها لم تصل الا فى يوم ٦ نوفمبر ، ولذلك فقد اضـطرت اسرائيل الى تأخير اصدار الأمر بوقف اطلاق النار .

لقد كانت القوة الاسرائيلية طول مدة زحفها محروسة بقوات جوية كبيرة لانها كانت معرضة للابادة فى هذه المنطقة الوعرة ، وكانت السفن البحرية تساندها وتستعد لسحبها اذا اقتضي الامر .

وكان قائد اللواء التاسع واسمه « ابراهام يافه » يحمل خـريطة بريطانية للمنطقة التى يزحف فيها . وقد بدأ زحفه من أطراف النقب ولم يشتبك مع موقع رأس النقب الذى تقيم فيه قوة مصرية صغيرة ، بل التف حول هذا الموقع وترك أمره لقوات أخرى موجودة فى أيلات ، وتابع زحفه الى أن وصل عين مرتجى ، وهو نبع مائى غزير يقيم حوله بعض البدو الذين هربوا الى الجبال المجاورة ، ثم تقدم الى موقع الدهب وهو موقع مصرى صغير على ساحل البحر للمراقبة والاستطلاع وفيه ٣٥ رجلا من خفر السواحل مع جهاز لاسلكى للارسال ، ثم تقدم الزحف الى نبق وهى موقع صغير للمراقبة أيضا . ولما وصلت قوات العدو الى رأس النصرانى اى قرب شرم الشيخ تماما تقدمت على شكل قوس أطبقت فيه على شرم الشيخ ، واستعملت كامل قواتها واسلحتها .

سير المعركة :

« بدأ أول اشتباك بين القوات الاسرائيلية والحاميات المصرية فى موقع الدهب ، وكانت حامية الدهب لاتزيد على ٣٥ رجلا ولكنهم اختفوا تماما ، فلما وصلت القوات الاسرائيلية الى المكان ظنت المكان خـاليا فدخلته ، وعند ذلك راح الجنود المصريون يقتلونهم فأسقطوا منهم عددا كبيرا فاضطرت القوات الاسرائيلة الى التراجع عن القرية وقصـفها

بالمدفعية والطائرات ، ولما أدرك أفراد الحامية أنهم لايستطيعون المقاومة دمروا كل مالديهم من الاجهـزة والعربات والرشاشات وحملوا أسلحتهم الخفيفة وخرجوا الى الجبال حيث احتموا بها وأطلقـوا نيرانهم على العدو . وعند ما دخل العدو نقطة الذهب وجدها أرضا محروثة ، وجاءته السفن تنقل اليه البترول والمؤن .

« ولما وصلت القوات الاسرائيلية الى وادى البيد كان فى انتظارها كمين مصرى قوى فاشتبك معها فى معركة ضارية استمرت سبع ساعات وقد اضطرت بعد ذلك الى استخدام بعض وحدات سلاح المهندسين الاسرائيلى لشق طريق جبلى يؤدى الى الساحل لكى يلتف حول وادى البيد . اذ كان هذا الوادى هو المر الوحيد الى الطريق المؤدى الى شرم الشيخ ، وكان عناد الكمين المصرى قويا جدا ولذلك فان المهندسين الاسرائيليين نسفوا بعض الصخور الواقعة بينهم وبين الساحل وشقوا طريقهم من هناك .

« وكانت الوحدة المصرية المرابطة فى رأس النصرانى قـد تركت موقعها وانضمت الى القوة الرئيسية فى شرم الشيخ بعد أن دمرت كل شيء فى وادى النصرانى ونقلت أسلحتها معها . ولما وصلت قيادة القـوة الاسرائيلية الى رأس النصرانى وجدت أن هناك خطا تليفونيا يتصل بشرم الشيخ فاستعملته للاتصال بقيادة شرم الشيخ وطلبت منها التسليم خلال نصف ساعة ، وكان ذلك فى الساعة الثانية عشرة والنصف ليلا . ولكن المصريين اجابوا فى الحال على طلب التسليم بقصف المدافع ، وتواصل المجلة حديثها ، فتقول بالحرف الواحد :

« قامت مدفعيتنا بقصف المصريين فى شرم الشيخ قصفا قويا بمدافع الهاون الثقيل ، ثم بدأ الهجوم حوالى نصف الليل وكان هجومنا عنيفا جدا ولكنه انتهى بالفشل . اذ أن خط الدفاع المصرى الأمامى الذى كان خارج المطار لم يتحطم ، وقد تكبدت قواتنا خسائر كبيرة واضـطررنا الى التراجع . ثم قمنا بهجوم آخر ولكن المصريين كانوا قد نظموا خطهم من جديد فلم نستطع الصمود أمامه . وظهر لنا أن المصريين لن يستسلموا الا أمام شيء آخر فأرسلناه اليهم وهو طائرات نفاثة منقضة كانت تهبط فوق رءوسهم وتقذفهم بكل شيء حتى بالنشرات التى كتبت باللغة العربية والتى كانت تدعوهم فيها الى الاستسلام لأن مصر كلها قد استسلمت . وقد ضربوهم بالصواريخ والقنابل على اختلاف أنواعها ثم اشـتركت مدافعنا الثقيلة ومدافع الهاون ، ومع ذلك فان المصريين لم يجدوا فى كل

هذا عذراً للاستسلام . لقد كنا نطبق عليهم بقوات هائلة من الأرض ومن الجو والبحر ، ولكنهم رفضوا الاستسلام ، وعند ذلك وجدنا أنه لامناص لنا من هجوم المشاة عليهم بكثرة هائلة للتغلب على مقاومتهم ؛ وحارب المصريون بعناد وبأس من دشمة الى دشمة ومن حفرة الى حفرة ومن خندق الى خندق ، واستمرت هذه المقاومة من الساعة الثانية ليلا الى ما بعد الظهر ، وأخيرا وجدنا أن الذين قاومونا‌هم ٨٠٠ عسكرى مصرى بينهم ، ٤٥ ضابطا برياسة كولونيل اسمه رءوف . »

الشجاعة المصرية :

وتمضي المجلة الاسرائيلية فى الحديث عن المعركة فتقول :

« ان الكولونيل رءوف هو شاب متين قصير القامة . وكان طول المعركة فى موقعه يقاتل مع رجاله . وقد قال فى النهاية اننا لم نستسلم لكم بل بسبب هذه الطائرات . وكان يضع فى موقعه وفوق رأسه صورة الرئيس ناصر واللواء عامر وهذه الأخيرة موقعة من اللواء ، وقد رفض رءوف أن يتنازل عنهما وأخذهما معه الى الاسر .

« وقد تحدثت مع الطبيب المصرى واسمه سيف حداد وأفهمته بأن جميع الفرقاء وافقوا على وقف اطلاق النار . فقال الطبيب ان بريطانيا هى عدونا وهى عدوكم أيضا ، وتحدثت مع ضابط برتبة ليفتنانت كولونيل اسمه « حنا نجيب » وقد ظهر لنا أنه حارب مع عبد الناصر فى الفالوجا . وقد سألته ، لقد صدرت الأوامر من القاهرة اليكم بالانسحاب كما أخبرتكم الطائرات .. فلماذا لم تنسحبوا ؟

فقال نجيب « كنت متيقنا من أننى أستطيع الصمود » .

فسألته : هل كنت تعرف مقدار قواتنا ؟

فأجاب : « لم نكن نظن أنكم ستستعملون ضدنا هذه القوات الهائلة » .

س : لماذا لم تستسلم عندما عرفت أن قواتنا هائلة جدا ؟

ج : ان الحرب عندى لعبة .. مباراة .. وأنا أحب أن ألعب الى النهاية — هذا عندى أهم من النتيجة سواء ربحت أم خسرت .

س : ما رتبتك ؟

ج : ليفتنانت كولونيل أنا أسير حرب .. ثم ضحك ضحكا منقطعا وقال : ان هذه الطائرات هى التى أرغمتنا على الاستسلام .. انها كانت وحشية رهيبة .

س : اذن لماذا لم تستسلم بعد قصفها الشديد ؟

ج : فابتسم « نجيب »

هذا هو ما نشرته مجلة « باماحنه » الاسرائيلية العسكرية عن قتال المصريين فى شرم الشيخ .

الفصل الرابع

معركة بورسعيد والقناة

لا يكفى هذا الكتاب لتسجيل روائع البطولة التى اتصفت بها هذه المعركة ولا جميع التفاصيل المجيدة لمعارك سيناء بالدرجة التى تروى الرغبة فى دراسة هذه الفترة الحافلة من تاريخنا الحديث والتى كانت فى الحقيقة نقطة تحول وانطلاق لقوميتنا العربية التى تردد صداها وتجاوبت صيحاتها ودعواتها بين أرجاء العالم العربى بل وفى رحاب الدنيا .

وبور سعيد .. ستظل رمزا واسما لمعنى الفداء القومى .. فقد افتدت بجهادها وكفاحها وتضحياتها سلامة مصر وتأمين استقلالها وتدعيم عزتها وكرامتها ، كما كانت هذه المعركة أيضا طفرة كبيرة للقومية العربية التى تبلورت معانيها واتضح مفهومها وبرزت معالمها منذ العدوان الثلاثى .

ومعركة بور سعيد كانت فى الواقع بدء وامتداد وانتهاء المعركة الرئيسية التى دارت بيننا وبين قوى العدوان .. وكانت معارك سيناء بالرغم من العنف الذى اتصفت به ، وبالرغم من قسوة الظروف التى أحاطت بها بحرماننا من استغلال نجاحنا الذى حققته قواتنا فى معارك رفح وابو عجيلة وأم قطف وممر متلا وشرم الشيخ .. كان حرماننا من استغلال هذا النجاح الذى كان سيؤدى حتما الى القضاء نهائيا على اسرائيل .

ولذلك أضحت معركة بور سعيد رمزا للعناد المصرى الذى اشترك فيه الجندى المسلح ورجل البوليس وصياد السمك وطالب المدرسة وفتاة

المنزل .. فكانت المعركة صورة ناطقة صادقة لجهاد الشـــعب المصرى بجيشه وشعبه بالرغم من المفاجأة الغادرة التى طعنتنا من الخلف فى الوقت الذى كانت تستعد فيه قواتنا المدرعة الضاربة لشن هجومها وبدء مطاردتها للفلول الاسرائيلية .

ولذلك كانت الظروف القاسية التى مهدت لامتداد نيران المعركة الى بور سعيد سببا فى أن نكون هذه المعركة وحدها موضع دراسة خاصة لاينسع لها مثل هذا الكتاب ، نظرا لما تتضمنه مثل هذه الدراسة من شرح وتحليل جميع ظروفها ومقدماتها ومضاعفاتها .

ولا شك أن الحديث عن بور سعيد بعد أن اضحت عنوانا عــالميا سيظل ابدا مقرونا بالتقدير والاعجاب .. فان حديثنا عنها سيتناول سرد تطور المعركة باعتبارها امتدادا تاريخيا وجغرافيا لمعركة سيناء .

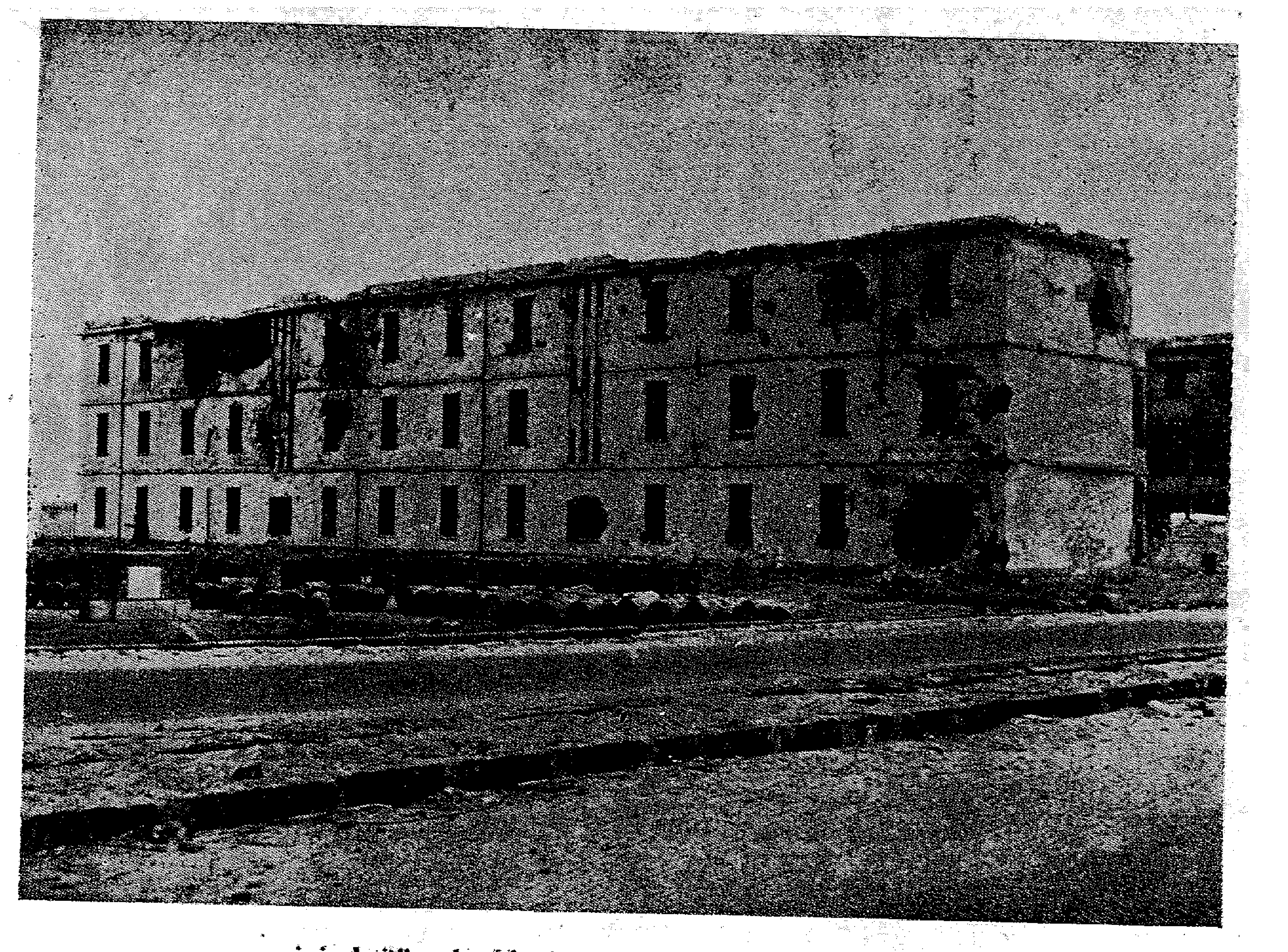
وقد اتصفت العمليات الحربية التى شهدتها بور سعيد بأنها كانت مثالا للتعاون الوثيق بين كل القوى المسلحة فى البر والبحر والجو بما فيها من الاسلحة المعاونة من المدفعية والمدرعات والهابطين بالمظلات ووحدات المهندسين وغيرها من الوحدات الادارية اللازمة لامداد وتموين وصيانة كل الوحدات المشتركة فى المعركة .

كما اتصفت عمليات المعتدين بصور كثيرة من الوحشية والاجرام التى تدخل تحت طائلة العقاب الدولى وتدفع بمن اشترك فيها من قوات العدو الى حظيرة مجرمى الحرب الذين لم يراعوا أى مبدأ أو تقليد أو عــرف فى معاملة المدنيين الأبرياء من الشيوخ والنساء والأطفال .

وكانت هذه المعركة أيضا صورة تمثل فيها كل ما فى الحرب من شدة ومحنة .

فالمدينةصغيرة مكشوفة ، حشد العدو لها كل امكانيات امبراطوريتين كبيرتين بما لديهما من أساطيل بحرية وجوية .. وقد هيــأ خططه لهذا العدوان من شهور سابقة للعدوان .. فكانت لديه كل أســباب التفوق المادى الساحق والتفوق الزمنى كما مهد للمعركة بحرب نفســية عنيفة وضلل العالم كله بتصريحاته الرسمية بعدم الاشــتباك فى القتال الذى دارت رحاه بين قواتنا وبين اسرائيل فى سيناء .

ثم فاجأ العالم بانذاره لمصر فى ٣٠ من أكتوبر الذى تضمن الشروط الآتية :



منازل العمال والصيادين كانت هدفا لنيران الأسطول الانجلو فرنسي

١ — ايقاف جميع الاعمال الشبيهة بالحربية فى البر والبحر والجو .

٢ — سحب جميع القوات العسكرية المصرية الى مسافة ١٠ ميل عن قناة السويس .

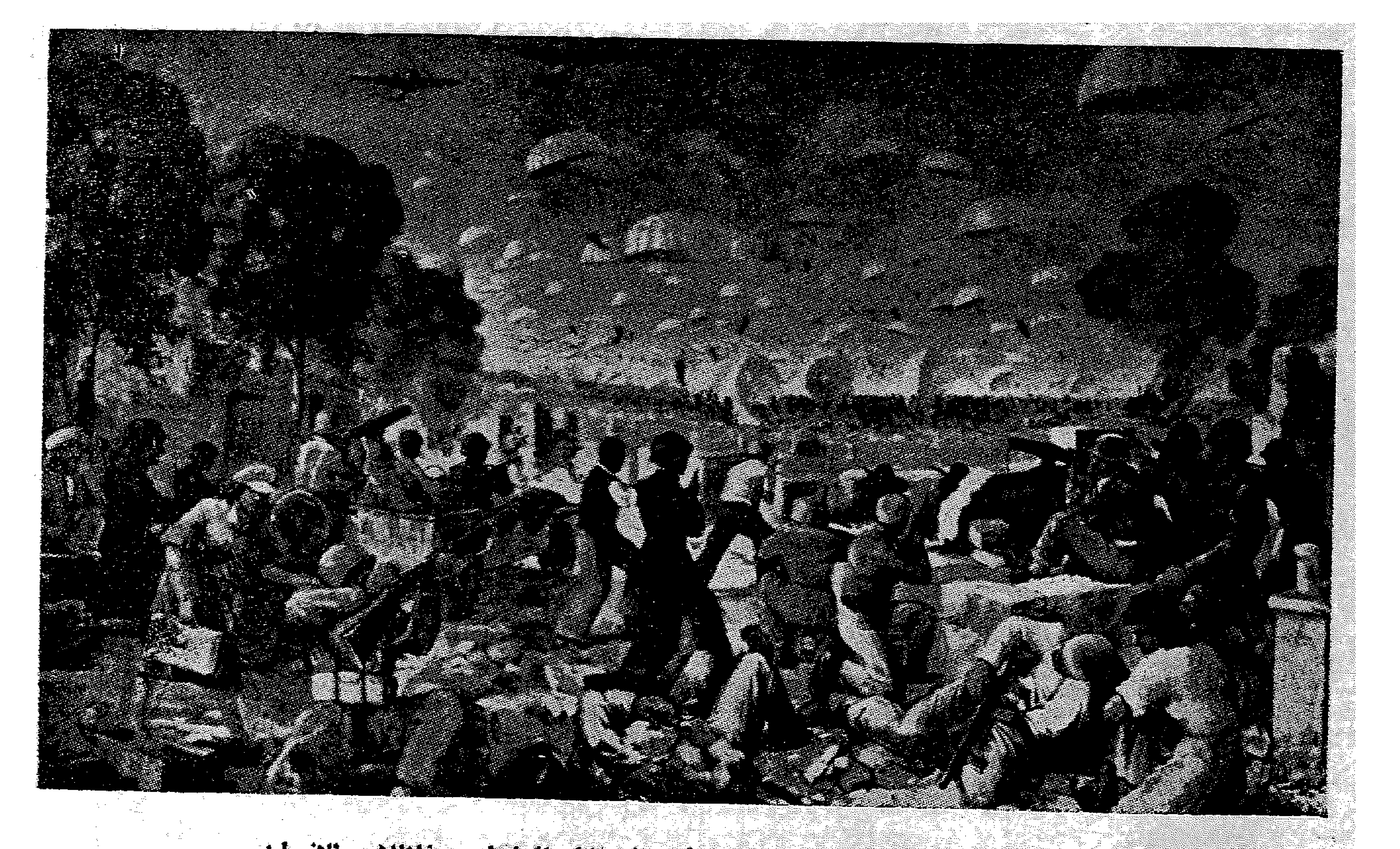
٣ — أن تقبل مصر احتلال الأراضي المصرية بوساطة القوات البريطانية والفرنسية للمواقع الرئيسية فى بور سعيد والاسماعيلية والسويس .

وتحددت مدة انتظار الرد على الانذار الساعة ٦٫٣٠ من صباح الأربعاء ٣١ من أكتوبر ، فاذا لم تتسلم المملكة المتحدة وفرنسا الاجابة فى الوقت المحدد فانهما سيتدخلان بالقوة وبالقدر الذى تريانه كافيا لضمان اجابة مطالبهما ؟

وهكذا بدت روح الغدر والاصرار على الحرب من جانب فرنسا وبريطانيا ، اذ كان معلوما سلفا أن هذا الانذار سيرفض قطعا .. وقد بدت من صيغة الانذار الرغبة الجامحة فى الانتقام من مصر التى أممت شركة القناة وطردت الانجليز من مصر والسودان وأذكت شعلة القومية العربية ونادت بالتحرير للشعوب المغلوبة على امرها وقام رئيسها جمال عبد الناصر يحمل على كتفيه عبء الجهاد ضد قوى الاستعمار ويضرب المثل الصادق فى كفاحه ونضاله ، ومهد الطريق لكل العاملين من اجل تحرير شعوبهم .. من براثن الاستعمار الذى ران على الشرق الأوسط وعلى الكتلة الآسيوية الافريقية طوال القرون التى سبقت هذا العدوان والذى وجدت فيه دول لاستعمار فرصتها للقضاء على كل هذه القيم المثالية لكفاح القادة والشعوب. .وعلى هذه النزعات التحررية التى بدأت تهز أركان الاستعمار وأوشكت بالفعل أن تقضي عليه .. فكانت معركة بور سعيد هى النافذة التى أراد أن ينطلق منها الاستعمار ليجدد شبابه ويفترس ما أفلت من براثنه من صيد .

ولكنها كانت النافذة التى رأى منها الاستعمار الهاوية السحيقة التى تردى فيها بعد ان حاول اقتحامها .. فكانت مقبرته التى دفن فيها كل أمانيه .. وعاد بعدها ينفض يديه الملوثة بدماء الأبرياء التى ستظل تلعنه مادام للحياة معنى ووجودا .

وكان محتملا أن تتطور معركة بور سعيد الى حرب عالمية لولا أمانة جمال عبد الناصر الذى أخلص لقضية السلام العالمى وحال بصبره وثقته



معركة مطار الجميل فى بور سعيد وأبيد فيها كل الهابطين بالمظلات الانجليز

فى شعبه وجيشه دون امتداد لهيب المعركة الى أرجاء الدنيا عندما رفض قبول المتطوعين الذين هزتهم خسة المعتدين فأبدوا استعدادهم للقتال دفاعا عن الحرية والمبادىء الانسانية ضد قوى الغدر والطغيان .. **فكان الصبر على المعركة والرضا بعذابها وقيامنا وحدنا بمسئولياتها .. كان ذلك نجاة مؤكدة للعالم كله من الحرب الثالثة** .. وبذلك كانت بور سعيد وقرار عبد الناصر بالقتال ضد المعتدين بمواردنا المحدودة وبأيدينا وحدنا .. كان ذلك فداء حقيقيا للسلام العالمى على حساب تضحياتنا وأرواحنا .. وهكذا برزت معركة بور سعيد الى سجل الخلود العالمى .

وبانتهاء فترة الانذار فى تمام الساعة ٣٠ر٦ يوم ٣١من أكتوبر قامت الأساطيل الجوية من قاعدة قبرص ومن حاملات الطائرات بضرب المطارات المصرية على أمل القضاء على قواتنا الجوية وبخاصة بعد أن أثبتت هذه القوات كفايتها النادرة فى معارك سيناء وبعد أن قضت تماما على أكثر من ربع قوة الطيران الاسرائيلى .. وبعد أن حققت السيادة الجوية الكاملة فوق سينا وخليج السويس بالرغم من اشتراك أسراب من القوات الجوية الفرنسية والبريطانية مع الطيران الاسرائيلى فى عمليات سيناء .

واشتدت غارات بريطانيا وفرنسا على كل المدن المصرية وان كان نصيب القاهرة والاسكندرية ومدن القنال هو الاكبر .. وعلى الاخص مدينة بور سعيد باعتبارها المنطقة المختارة لانزال القوات المعتدية فيها لاحتلالها ، لكونها مفتاح ومدخل قناة السويس من الشمال .. وكان مفروضا أن يحتل العدو ميناء السويس ، كما أوضحنا ، غير أنه فشل فيها أيضا .

وكان تركيز الضرب الجوى أيضا على محطات الرادار ومواقع المدفعية المضادة للطائرات والمدفعية الساحلية .

وقد صاحب هذه الغارات تركيز شديد من قصف مدافع الأسطول للمرافق والمنشآت بالمدينة وحرق أحياء كاملة بها بقصد اثارة الرعب والفزع وهدم معنوية سكان المدينة .

وعندما بدأت هذه المعركة كانت قواتنا الموجودة فى بور سعيد مكونة من :

(أ) ٢ « سرية من مشاة » (الكتيبة ٢٧٥) فى بور فؤاد ،وكانت قد وصلت الى بور سعيد لأول مرة مساء الأول من .

(ب) كتيبة مشـــاة رقم ٢٩١ وكانت قـــد وصلت بور ســـعيد يوم ٣١ من أكتوبر وتوزعت كالآتى :

سرية فى مطار الجميل

« على الشاطىء

« بمبانى شركة للقنال

« احتياطية

(ج) الكتيبة الرابعة المشاة :

وكانت قد وصلت توا من منطقة روض سالم بســيناء بعد أن تقرر الانسحاب العام .

٢ سرية فى منطقة الجبانات

٢ « « « الرسوة

١ « احتياط فى الرسوة

(د) بطارية مدافع صاروخية فى منطقة المناخ

(هـ) كتيبة حرس وطنى منها سرية فى مطار الجميل

(و) فرق المقاومة الشعبية .

فى حين كانت قوات العدو التى اشتركت فى الهجوم الفعلى على بور سعيد مكونة من :

كتيبة مظلات انجليزية من قاعدة قبرص .

كتيبة مظلات فرنسية من قاعدة قبرص .

كتيبة فدائيين (رقم ٤٥) من مالطة .

أورطة دبابات سنتوريان .

وفرقة من المشاة ومعها المدفعية اللازمة ووحدات المهندسين ووحدات النقل ، والخدمات الادارية اللازمة ، وبلغت جملة هـــذه القوات أكـــثر من ٤٠٫٠٠٠ ، ويعاون هذه القوات أســـطول فرنسا وبريطانيا البحرى وكل ما لديهما من قوات جوية فى شرق البحر الابيض المتوسط .



مقابر بور سعيد تعرضت لنيران العدو نوفمبر سنة ١٩٥٦

وبدأت معركة بور سعيد تتطور من ٣١ من أكتوبر الى ٤ من نوفمبر عندما تركزت غارات العدو بكل قواه الجوية بصفة خاصة على بور سعيد لتدمير ما بقى من مواقع محصنة بها ، وسبق هـذا الضرب حملة حرب نفسية أذاعتها قيادة العدو من قبرص ولندن وباريس وتل أبيب على أمل اضعاف معنوية الشعب لتقليل مقاومته عند بدء العمليات ضـده ، ولكن كان تأثيرها عكسيا على خط مستقيم ، اذ أثارت هذه الدعايات حماسة الشعب الذى تجاوب مع الجيش تجاوبا كاملا فى الدفاع عن البلاد .

وانتهى يوم ٤ من نوفمبر بعد أن تم تدمير المواقع الثابتة للمدفعية المضادة للطائرات والمدفعية الساحلية وبقيت بور سعيد فى حماية المدفعية الخفيفة المضادة للطائرات والاسلحة الصغيرة التى كانت مع وحدات المشاة وأفراد المقاومة الشعبية .

وفى صباح ٥ من نوفمبر اشتدت غارات العدو الجوية على مناطق - مطار الجميل .

الجبانة ومدافن الموتى (انظر الصورة)

بور فؤاد .

كوبرى الرسوة ...

منطقة دى ليسبس

واستخدم العدو فى ذلك القنابل الحارقة .. وشديدة الانفجار . والنابالم .. والرشاشات ، وكان تمهيدا للغزو بالهابطين بالمظلات .

وبدأ الغزو فى « سعت ٠٧٠٠ » بالخطة التالية .

١ ـ أسقطت الموجة الأولى من الهابطين بالمظلات بمنطقة مطار الجميل وكانت تقدر بحوالى ٢٥٠ وتمت ابادة هذه القوة عن آخرها .

٢ ـ هبطت المجموعة الثانية « سعت ١١٠٠ » فى منطقة الجبانات وفى الساعة ١٤٫٣٠ نزلت المجموعة الثالثة واستمر القتال معهما حتى الليل .

٣ ـ أسقط العدو موجة أخرى فى منطقة كوبرى الرسوة وكانت من بعض الدمى والهيكليات التى لم يستطع المدافعون تمييزها نظرا لظروف المعركة وشدتها واستمرارها منذ أيام لم تتح لهم فرصة للراحة مما جعل القوات المدافعة والأهالى تندفع بكامل قواتها بقصد ابادة هذه

الموجة بعد أن هزتهم فرصة انتصارهم فى القضاء على المجموعة الأولى بمطار الجميل .

٤ ــ وفى هذه اللحظة التى قام فيها بخدعته أسقط مجموعة أخرى من الهابطين بالمظلات احتلت الرســـوة ومحطة المياه خلف قوات المقاومة بتركيز نيرانها على المجموعة الهيكلية .

٥ ــ وأسقط العــدو مجموعته الرابعة فى بور فؤاد وكانت تقدر بحوالى ٤٠٠ ، وأبيد منها قسم كبير .

٦ ــ وعاد العــدو فأســقط مجموعة جديدة فى مطار الجميـــل والرسوة .

وانتهت يوم ٥ من نوفمبر بعد أن قاتلت قوات المقاومة المشتركة من العسكريين والمدنيين ، وكان العدو قد اســتطاع الاحتفاظ ببعض مراكزه عند المطار وعند وابور المياه بالرسوة ، وبذلك كان . يتحــكم فى مفتاح الحياة لأهالىالمدينة ، وظل يساوم ويهدد بحبس المياه عنالاهالى ليموتوا عطشا علاوة على ما يترتب على حبس المياه من نشر الأوبئة .

واستمرت القوات البحرية تطلق قذائفهـــا على المدنيين فى فترات متقطعة حتى صباح اليوم التالى ٦ من نوفمبر .

وفى أول ضوء هذا اليوم استؤنفت العمليات الجوية على المدينة مع استمرار ضرب مدفعية الأسطول على القطاع المواجه للشاطىء ، وقصف مجموعات الكبائن الخشبية بالنيران حتى اشتعلت فيها الحرائق وهددت بدمار كل المدينة . لولا سقوط بعض المطر الخفيف وتراكم سحب الدخان على طول امتداد الشاطىء ، فاستعان العــدو به فى الاقتراب بالسفن الناقلة لجنوده ونجــح فى انزال كتيبة من الفدائيين البحريين الانجلـــيز وأورطة دبابات .

ولم يكن ممكنا منع اقتراب هذه السفن بسبب تدمير كل بطاريات المدفعية الساحلية .. ولم تكن الأسلحة الصغيرة التى تسلحت بها الكتيبة الرابعة المشاة أو الحرسالوطنى أو قوات المقاومة الشعبية وحدها كافية لمنع عملية انزال الدبابات أو المصفحات البريطانية .

وفى الوقت الذى بدأت تنزل فيه هذه القوات الى الشاطىء كانت قوات المظلات التى هبطت مؤخرا فى مطار الجميل تتقدم علىالساحل ، والتقت القوتان وتقدمت الدبابة فى المقدمة ورفعت على أبراجها العـــلم

المصرى والعلم الروسي فالتفت حولها جموع الشعب تهلل فى سعادة عظيمة اذ اعتقدوا أنها دبابات مصرية أو دبابات أتت لنجدتهم ، ولكن كانت تنتظرهم المفاجأة الغادرة ، اذ اكتسحت مدافع هذه الدبابات جموع المدنيين الذين أحاطوا بها وأنزلت بهم خسائر كبيرة .. فساد الذعر بين النساء والأطفال وتعذر على قوات المقاومة الشعبية اصطياد الدبابات.. ونتيجة لذلك استطاعت هذه الدبابات أن تحتل بعض الشوارع والميادين ، وبعد ذلك ظهرت قوات العدو المترجلة وهى تتقدم فى بطء تحت وقاية هذه الدبابات وتصل الى بعض المنازل ، وتولت القضاء على من فيها من الاهالى .

وفى الوقت نفسه ضاعفت القوات الفرنسية نشاطها فى اسقاط مجموعات من الهابطين بالمظلات فى بور فؤاد عن طريق الساحل من الجانب الأيمن (الشرقى) وعزل المدينة من اتصالها بسيناء خشية احتمال تسلل أى امدادات الى المدينة من منفذها الشرقى ، وبلغ مجموع الهابطين ٣٠٠٠ جندى ، وكانت بور سعيد تغلى حقدا على الغدر الذى أدى الى ضياع أرواح كثيرة من الأبرياء .. فاشتدت حماسة الشعب وظل القتال ضد المعتدين مستمرا من منزل الى آخر ونشطت أعمال الفدائيين المصريين الذين استطاعوا خطف ٤ دبابات سنيتوريان بأطقمها ، وقد اعترفت بذلك قيادة القوات البريطانية .

وقد تعاونت بعض العناصر الأجنبية فى بور سعيد مع قوات العدو بضرب الأهالى وقوات المقاومة الشعبية ، ولكن كان مصير هؤلاء اما القتل على أيدى الوطنيين أو السفر مع القوات المعتدية عندما انسحبت فى ديسمبر من المدينة نهائيا ..

وكانت قوات الجيش والبوليس والشعب تقاتل فى الشوارع جنبا الى جنب على صورة حرب العصابات ، وأصبحت المدينة فريسة للسلب من جنود الاعداء الذين أظهروا أقصي معانى الوحشية فى سلوكهم ، وكانوا قد جلبوا معهم بعض موظفى شركة القنال المنحلة أملا فى الاستعانة بهم فى ادارة مرفق القناة اذا نجحت عملية الغزو البريطانى الفرنسي للمدينة توطئة لاحتلال منطقة القناة بأكملها .

وكانت عملية جلاء وترحيل النساء والأطفال من أهالى المدينة تجرى عن طريق بحيرة المنزلة بوساطة الزوارق البخارية والشراعية ، ولكن العدو كان قد احتل مرفأ البحيرة فحال بذلك دون اتمام اخلاء هؤلاء الأبرياء .



معركة بور سعيد قاتل فيها الشعب مع الجيش والبوليس

ونشطت قوات العدو فى سلب المنازل ونهبها بحجة التفتيش على الأسلحة والذخائر .. وسادت الفوضي بشكل مزعج للغاية .. فتولى محافظ المدينة بنفسه تنظيم جولات لقوات البوليس التى جمعها لتنسيق أعمال الأمن لمواجهة مظهر الفوضي الذى ساد المدينة بسبب همجية قوات العدو التى امتدت عمليات السطو التى قامت بها الى منطقة الجمارك ومخازن التموين .. وكان هدفها هو تجويع الاهالى حتى يستسلموا ويتوقفوا عن الاشتباك بهم .

ولقد أضربت المحال والعمال عن التعاون مع العدو .. مما زاد فى حرج موقفه ودفعه الى بذل محاولات جديدة ومضاعفة اغرائه للأهالى للتعاون معه دون أية فائدة .. بل واستمرت عمليات تسلل الفدائيين فى نشاطها عن طريق بحيرة المنزلة لازعاج العدو ردا منهم على اعتداءاته المستمرة التى لم تتوقف بعد صدور أمر ايقاف النيران .

وهكذا ظلت بور سعيد تناضل طول المعركة بالرغم من قلة مواردها وسوء موقفها من جهة التموين واحتلال قوات العدو البريطانية والفرنسية لأرضها واستمرار مضاعفة عدد هذه القوات يوما بعد يوم حتى بعد وقف اطلاق النيران .. مع نشاطهم فى استفزاز الاهالى حينا .. واغرائهم أحيانا .. وحظر التجول فى المدينة .

وبهذه المناسبة يجب أن نشير الى أن مصر عاشت فى المعركة لمدة عشرة أيام وحدها تقاتل فى سيناء من غزة الى رفح الى العريش وفى أم قطف وأبو عجيلة الى ممر متلا وشرم الشيخ وخليج العقبة ، وانتقلت المعركة الى بور سعيد والاسكندرية والقاهرة والسويس .. **فكانت معركة الشعب والجيش معا** .. كان اصرار مصر على القتال .. كما أوضحه الرئيس جمال عبد الناصر فى خطابه بالجامع الأزهر فى ٢ من نوفمبر «بأننا سنقاتل ولن نستسلم أبدا» كان هذا القرار هو صدى لارادة الشعب التى اعلنها للعالمين .. والتى كانت هى سر قدرتنا وصمودنا فى المقاومة والتى أوضحت للعالم بأن المعركة لن تنتهى حتى باحتلال بور سعيد بل هى معركة بقاء أو فناء ..

وكان موقف مصر الجدى .. سببا فى جذب اهتمام العالم الى حقيقة المعركة التى تطورت وتعقدت وتورطت بسببها بريطانيا وفرنسا ، وبدأت المعارضة الرسمية والشعبية لحكومتى العدوان تزداد يوما بعد يوم .. وبخاصة بعد أن توقفت الملاحة نهائيا فى قناة السويس بسبب الاعمال الحربية التى قامت بها الدول المعتدية مما أثار اهتمام الدول التى ترتبط

مصالحها بالملاحة فى القناة . وازدادت حماسة الشعوب لتقديم المساعدة الى مصر تقديرا منهم لهـا ، فأعلنت كثير من الدول استعدادها للسماح للمتطوعين الراغبين من رعاياها للسفر للحرب مع مصر اذا رغبت هى فى ذلك ..

وبدأت بوادر الحرب العالمية تلوح فى الأفق الدولى ممـا زاد حرج الموقف .. ومما أثار حنق المعتدين فى مضاعفة أرهابهم لتصفية المعركة والوصول الى الاسماعيلية بأى ثمن قبل وقف اطلاق النيرآن .

ولكن كانت قواتنا فى الاسماعيلية وفى شرق القناة وجنوب بور سعيد قد صدت كل محاولات العدو التى قام بها بدباباته وأسلحته المعاونة للتقدم صوب الجنوب .

وفى تلك اللحظات التى كان العالم فيها يتتبع انباء المعركة وتصميم الشعب المصرى على الاستمرار فيها الى النهاية .. أرسلت الحكومة السوفيتية مذكرة الى كل من فى فرنسا وبريطانيا .. هذا نصها :

« ترى الحكومةالسوفيتية ضرورة لفتنظركم الى الحرب العدوانية المشبوبة على مصر من بريطانيا وفرنسا ولها أخطر العواقب على قضية السلام .. ما المركز الذى تجد بريطانيا نفسها فيه لو أنهـا هوجمت من دولة أقوى تمتلك كل نوع من الاسلحة الحديثة المدمرة ؟ ان هناك الآن دولا ليست فى حاجة الى ارسال أساطيل بحرية أو جوية الى شواطىء بريطانيا ، ولكنهـا تستطيع استخدام وسائل أخرى مثل الصواريخ الموجهة » .

« ونحن عازمون عزما اكيدا على سحق المعتدين واقرار السلام فى الشرق الأوسط باستخدام القوة ، ونحن نأمل فى هذه اللحظة الحرجة أن تستعملوا الحكمة المناسبة وتستخلصوا النتائج المترتبة على هذا » .

وقد كان هذا انذارا عنيفا هدد بقذف بريطانيـا بالقذائف الموجهة بعيدة المدى المزودة بالقنابل الذرية . وكان تأييدا لتحذير المستر انورين بيفان الذى أذاعه فى اليوم السابق وجاء فيه « **اذا كانت الحكومة تريد اعادة فرض « قانون الغابة » فيجب عليها أن تذكر أن بريطانيا وفرنسا ليستا أقوى الحيوانات فى الغابة فهناك حيوانات أشد خطرا بكثير تتحرش بهما »** .

وهكذا اتضح أنه لولا استمرار مصر فى موقفها لما اهتم العالم ببحث الازمة أملا فى الوصول الى حل خوفا من تطور الامور الى حرب عالمية ..

وقد كان ممكنا بلا شك أن يتقدم الاتحاد السوفيتى بهذا الانذار بعد اذاعة الانذار البريطانى الفرنسى مثلا .

ولكن تأخر تدخل روسيا الى يوم ٥ من نوفمبر بعد أن خاضت مصر وحدها كل معارك سينا ، ومعركة القنال .. وقد يكون من أسباب تدخل روسيا بانذارها هو محاولتها تغطية موقفها الذىكانت قد اتخذته فى أزمة المجر وبولنده ورغبة روسيا فى كسب عطف من جانب الكتلة الآسيوية الافريقية على موقفها « الأخير » فى أزمة القناة .

وكان رد الفعل الأمريكى سريعا على الانذار الروسي باعلان حالة الطوارىء ، وتحركت بعض قطع الأسطول الى أوروبا ونشطت الحكومة السويسرية فى ارسال مذكرة رسمية للدول الكبرى وتناشدها السلام ، وزاد هياج الشعب البريطانى بعد أن رأى التدهور الكبير الذى انتهت اليه سياسة ايدن وعلىالاخص بعد أن أعلناستحالة الملاحة فى قناة السويس الا بعد تطهيرها من السفن التىغرقت بسبب العمليات الحربية ، ومما زاد من حرج الموقف أن الشروط التى اقترحها قائد العدوان على بور سعيد لوقف النيران قد رفضت كلها ، وازدادت حماسة الاهالى والمقاومة الشعبية ، وبدأت الحياة فى المدينة تأخذ لونا داميا من جديد .. وتحرج موقف القوات المعتدية مما ضاعف من حرج الحكومة البريطانية التى كانت قد سبق أن أعلنت على لسان رئيسها استسلام بور سعيد ، ثم جاءته الأنباء الرسمية .. تكذب ادعاءه وبيانه .

وأعلنت اندونيسيا والصين والهند والسودان والأردن عن حشد متطوعيها واستعدادهم فورا بمجرد موافقة مصر على ذلك .

وكانت خطوط أنابيب البترول التى تمر فى سورية قد نسفت ، وبذلك توقف تدفق البترول نهائيا من الشرق الأوسط الى أوروبا بصفة عامة .. والى فرنسا وبريطانيا بصفة خاصة .. وبدىء فى توزيع مشتقات البترول فيهما بالبطاقات مما أشعر الشعب فىالدولتين بقيود الحرب وكان لذلك أكبر الأثر على اضعاف معنوياتهم فاشتدت حملات المعارضة فيهما ساعة بعد أخرى .

كان ذلك يجرى فى لندن وباريس وعواصم العالم الكبرى .. فى الوقت الذى كانت فيه بور سعيد تقاسي الكثير من انقطاع الماء والنور .. حتى أن العمليات الجراحية للجرحى كانت تعمل فى الظلام على ضوء الشموع وبدون توفر الأدوات الطبية اللازمة أو المطهرات الضرورية ، علاوة على أن انابيب المجارى قد بدأت تطفح بمخلفاتها نتيجة لانفجارات

كثيرة أصابت شبكة المجارى بسبب العمليات التى وقعت بداخل المدينة مما كان يزيد فى سوء الموقف لحظة بعد أخرى .

وأخيرا صدر أمر ايقاف النيران فى الساعة الثانية من صباح يوم الأربعاء ٧ من نوفمبر ورضخت بريطانيا وفرنسا للأمر الواقع بعد أن فضحتها أعمالهما العدوانية أمام العالم دون أن تحققا غرضهما ولكن حدث ان نشطت قوات العدو فجأة فى اللحظات الاخيرة من هذا اليوم ، وكرر محاولاته للتقدم الى الاسماعيلية ولم يستطع أن يتجاوز نقطة « الكاب » بعد أن استحال عليه التقدم .. وعاود نشاطه المثير لشعور الاهالى فى مدينة بور سعيد واستمرار اشعال الحرائق فى المبانى التى كان العدو يعتقد أنها تضم أوكارا لأفراد المقاومة الشعبية ، وكانوا يمثلون بجثث القتلى من المدنيين ويمنعون اقتراب أحد منها — وكل هذا بقصد اضعاف معنوية الاهالى ، الا أن كل هذه الاعمال أثارت الشعور بمزيد من الكراهية والرغبة فى الانتقام من المعتدين ، فاشتدت حركة المقاومة الشعبية يوما بعد يوم ردا على تصرفات القوات المعتدية .

ولذلك فقد ظلت بور سعيد مسرحا لعمليات متفرقة .. رأينا أن نشير الى بعضها من مقتطفات التقارير الرسمية عن المدة التى أعقبت وقف اطلاق النيران .

يوم ٩ من نوفمبر ١٩٥٦ :

استمرت قوات الأعداء فى البحث عن الأسلحة والذخيرة وبخاصة فى حى العرب ، وقد حدث أن شخصا غير معروف أرشدهم عن كميات من الاسلحة والذخيرة مخبأة فى دكاكين خلف جامع علوان فما كان من الاهالى الا أن هجموا عليه وقطعوه اربا ثم أحرقوا جثته والقيت فى القناة الداخلية عبرة لكل من يتعامل مع الاعداء .

يوم ١٢ من نوفمبر ١٩٥٦ :

عادت سيارات العدو ومكبرات الصوت تنادى بالعمل معهم ولم يذهب أحد من العمال اليهم ، وكثر توزيع المنشورات العربية التى تدعو الى عدم التعاون مع الاعداء كما كثرت دورياتهم فى المدينة .

يوم ١٤ من نوفمبر ١٩٥٦ :

عرفنى هذا اليوم نبأ وصول فدائيين مصريين — ويظهر أن الاعداء قد وصلت اليهم تعليمات عنهم فأكثروا من الدوريات المارة بالمدينة

والدوريات المسلحة بالبنادق والرشاشات كما شددوا الحراسة على منافذ المدينة وعادوا الى تفتيش الشوارع ، والمنازل والمحال .

يوم ١٥ من نوفمبر ١٩٥٦ :

قام الأعداء بالبحث عن الاسلحة عدة مرات — كما عرفت أنباء عن وصول فرقة القناصة المصرية — فاعتقلوا بعض ضباط البوليس بحجة انهم رؤساء القناصة والفدائيين ، وقبضوا على بعض المدرسين واستجوبوهم عدة مرات ثم أفرجوا عنهم بعد أن تبين لهم أنهم ليسوا ضباطا ويظهر أنهم علموا ان بين الفدائيين بعض ضباط قواتنا المسلحة .

يوم ١٧ من نوفمبر ١٩٥٦ :

ما زالوا يمرون بالمدينة بدوريات كثيرة ومكبرة ومسلحة حتى أنهم وضعوا حواجز وأسلاكا شائكة عند مرسي المراكب ، كما رست باخرة ايطالية فى الجبهة الخارجة من الميناء .

يوم ١٨ من نوفمبر ١٩٥٦ :

لا تزال قوات العدو تجوب انحاء المدينة بصفة دوريات بحثا عن الأسلحة ، واستخدموا مطار الجميل لنزول طائراتهم الصغيرة كما أن سياراتهم ذات مكبرات الصوت كانت تجوب فى المدينة معلنة حظر التجول من « سعت ١٧٠٠ » .

حلقت طائراتهم فوق المدينة والقت منشورات جديدة لاهالى بور سعيد تدعوهم للعودة لأعمالهم ، وكثر بالميناء نشاط مراكبهم الخاصة بتطهير القناة والتى كانت مجتمعة حول الكراكة الغارقة بالقناة أمام باب ٦ تقريبا ، وكلها تحاول اخراجها ولكن كل محاولتهم قد باءت بالفشل .

وقبيل الغروب مدوا الاسلاك الشائكة حول المدارس المحتلة وزادوا من قوة الدوريات الليلية .

يوم ١٩ من نوفمبر ١٩٥٦ :

أخذت سيارتهم الحاملة لمكبرات الصوت تجوب أنحاء المدينة تطلب من جميع أصحاب اللنشات والفلائك والصيادين التوجه للميناء للعمل على أن يكونوا حاملين رخصهم حيث أن القيادة البريطانية ستصرح لهم

بالعمل ، وطبيعى لم يذهب أحد ، ولذلك القت طائراتهم فوق المدينة منشورات جديدة خاصة بمياه الشرب .

يوم ٢٠ من نوفمبر ١٩٥٦ :

استمرت سياراتهم بمكبرات الصوت تدعو أصحاب المهن الميكانيكية والنجارين للعمل معهم بأجور سخية ، ولم يمتثل لهم أحد ، وأمر المحافظ بادراج جميع عمال الشحن والتفريغ والمهن الأخرى فى كشوف لصرف اعانة مالية عاجلة أسوة بما اتبع مع ضحايا الحرائق المنكوبة .

وهنا ظهرت وطنية الاهالى ، فمهما كلفهم الأمر من جوع وحرمان فلن يتعاونوا مع الاعداء الغادرين .

يوم ٢١ من نوفمبر ١٩٥٦ :

افتتحت أقسام البوليس أعمالها اليوم بصرف الاعانات المالية العاجلة لمن ادرجوا فى اليوم السابق فورا ، وشكلت لجان أخرى لدرج كل من يتقدم من الاهالى لطلب اعانة مالية عاجلة . ولما وصلت بور سعيد طلائع البوليس الدولى قام الاهالى بمظاهرات كبيرة أيدت السيد الرئيس جمال عبد الناصر . وكانوا يحملون فى أيديهم صور السيد الرئيس بحجم كبير ويلوحون بها أمام قوات الأعداء ، واستمرت المظاهرات تجوب أنحاء المدينة حتى حوالى « سعت ١٦٣٠ » حيث فرقت بمعرفة البوليس المصرى ، وقبيل الغروب دارت دوريات الاعداء بالشوارع وكذلك حلقت فوق المدينة طائراتهم الصغيرة .

يوم ٢٢ من نوفمبر ١٩٥٦ :

توجه جنود الاعداء فى الصباح بناحية العزبة التابعة لقسم ثان المجاورة للقنال الداخلى وأخذوا يفتشون عن الاسلحة والذخيرة — كما وزعت المنشورات المعادية على الاعداء وبخاصة الفرنسيين ببور فؤاد ثم وزعت منشورات للقيام بجنازة صامتة على روح الطفلين اللذين استشهدا فى مظاهرات أمس الأمر الذى من أجله أصدرت القوات أمرا بحظر التجمع لاكثر من ١٢ شخصا ، وقد رئى عدم القيام بمثل هذه الجنازات فى الحاضر .



اهالي بور سعيد يزيلون الانقاض

يوم ٢٣ من نوفمبر ١٩٥٦ :

حوالى « سعت ٩٠٠ » . فوجىء جمهور المدينة بجنود الاعداء ودباباتهم ومدافعهم وسياراتهم ، واحتلت جميع الشوارع من امتداد شارع صفية زغلول ، وأخذت مراكزها على نواصي الطرقات ومرت سيارة بمكبرات الصوت تذيع باللغة الانجليزية بأن هذه تجربة ، وعلى الاهالى عدم الانتظار فى الشوارع ، وبعد نصف ساعة انصرفت قوات الاعداء .

وحوالى ظهر اليوم قبض جنود الاعداء على بعض الشبان بحجة أنهم اطلقوا رصاصة من طبنجة ، واجتمعت قوات كثيرة منهم فى منطقة شارع التجارة والروضة للبحث عن الاسلحة ، وقد انصرفوا حوالى « سعت ١٦٠٠ » والصقت على الاعمدة منشورات باللغة الانجليزية ضد القوات الانجليزية والفرنسية ، وفى أثناء مرور قوات الاعداء قاموا بتمزيقها ونزعها من الاعمدة ، وقد أخذت جميع أقسام البوليس توزع المعونات المالية العاجلة على جميع أفراد الشعب سواء المنكوبين منهم أو غيرهم من أصحاب المهن الأخرى التى سدت فى وجوههم سبل الرزق ، وتسلم الأهالى المبالغ وعلى وجوههم البشر والسرور .

يوم ٢٥ من نوفمبر ١٩٥٦ :

لم تتغير حالة جنود الأعداء من المرور والتجوال فى المدينة من جميع الجهات ، وقد نزل من البواخر البحرية بحارتها وضباطها للتجوال فى المدينة نظرا لأن اليوم الاحد ولم يكن هناك محل أو قهوة مفتوحة لهم ، فقد كانت جميع المحال مغلقة لا تتعامل معهم ولم يفعل ذلك الا بعض الشبان الذين كانوا يبيعون لهم العقود الخرز والشنط الجلد ، ويحتمل أن يكون هؤلاء الشبان من ضمن بمبوطية الميناء الذين يبيعون مثل هذه الاصناف للسياح .

يوم ٢٧ من نوفمبر ١٩٥٦ :

وزعت المقاومة الشعبية منشورات جديدة ضد قوات الأعداء .

ازداد نشاط القوات المعادية فى ترحيل بعض القوات والعائلات المنتمية اليهم على حاملة طائرات « سعت ١٥٠٠ » ، كما ألقت طائراتهم منشورات تطلب فيها مساعدة اهالى بور سعيد لازالة العراقيل من القنال ولم يستجب لهم أحد ، وفى « سعت ١٦٣٠ » مرت سيارتهم بمكبرات الصوت تعلن حظر التجول من « سعت ١٧٠٠ » الى « سعت ٣٥٠ » من

صباح اليوم التالى وعلى الاهالى البقاء فى منازلهم حتى الصباح ، ومن يكن لديه سلاح فعليه تسليمه للقوات الانجليزية .

يوم ٢٨ من نوفمبر ١٩٥٦ :

أنزل الفرنسيون فى بور فؤاد قوات كبيرة بدباباتهم وسياراتهم المصفحة ، كما قامت الجنود الانجليزية بالطواف فى بور سعيد كالعادة ، وحوالى « سعت ٢٨٠. » القت طائراتهم فوق المدينة منشورات جديدة ، كما وزعت على الاهالى منشورات المقاومة الشعبية . وعلقت على الجدران ، وقد قتلوا اليوم بعض الاهالى وأصيب كونستابل برصاصهم وهو فى المستشفى بين الحياة والموت .

يوم ٢٩ من نوفمبر ١٩٥٦ :

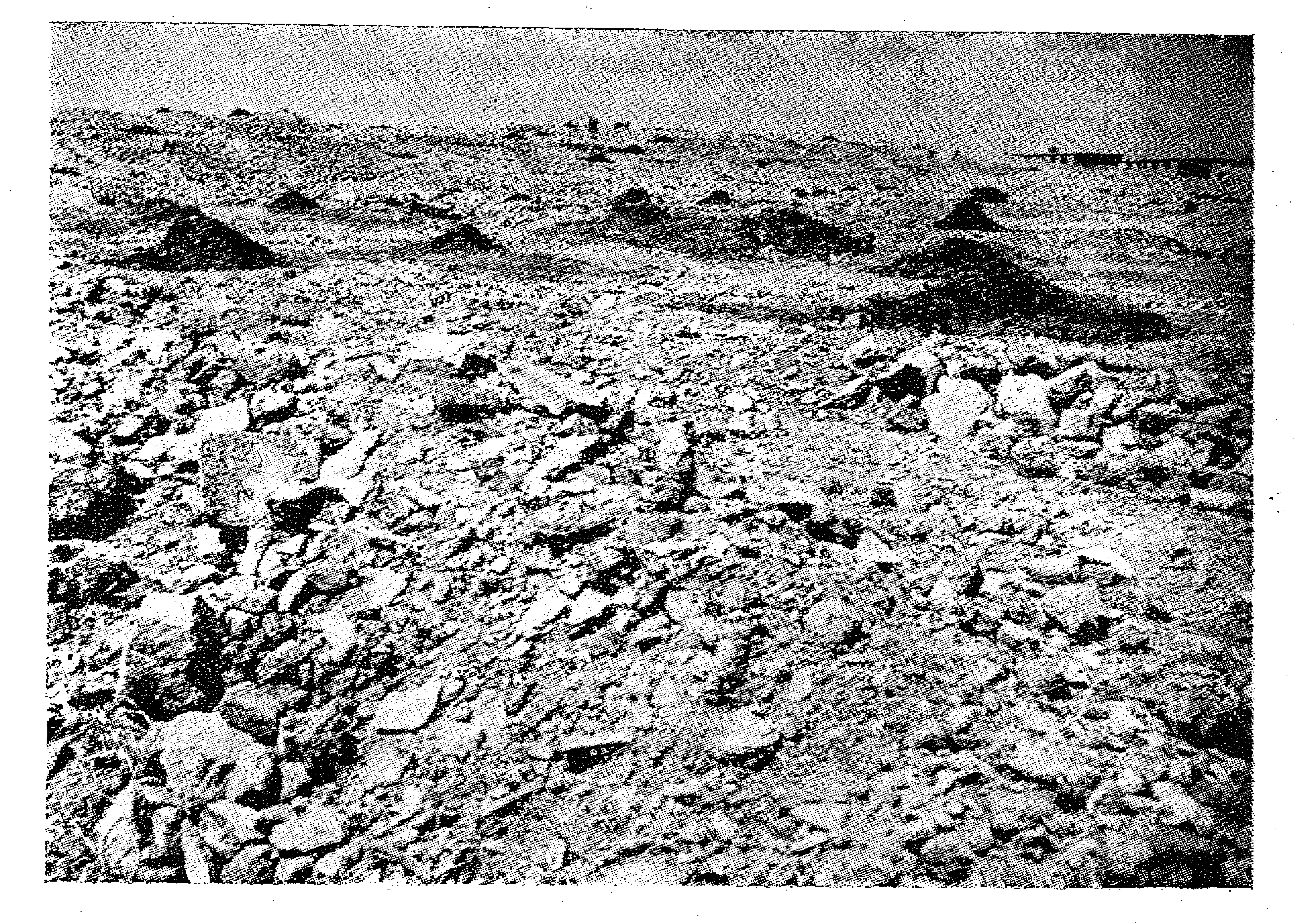
استيقظ أهالى المدينة على صوت سيارتهم التى تجوب المدينة ليلا ونهارا وكذا طائراتهم التى القت منشورات جديدة مضمونها كالمنشورات السابقة ، كما حدث أنهم قبضوا على شاب يحمل فى يده قنبلة يدوية فى ناحية شارع الروضة وعبد الحى (الحميدى سابقا) وسرعان ما أحاطوا هذا المكان ، وأخذوا فى البحث عن قنابل مثلها والقوا القبض على بعض الشبان ، كما أخلوا المساكن الشعبية التى كانوا يحتلونها خوفا من هجمات الفدائيين عليهم لأنها فى الخلاء وخلفها بحيرة المنزلة كما سارت عرباتهم وبها مكبرات الصوت تذيع على الأهالى أنباء صوت بريطانيا وبعض الموسيقى الشرقية .

يوم ٣٠ من نوفمبر ١٩٥٦ :

فوجئت المدينة فى الصباح بطائراتهم الصغيرة تلقى منشورات .

وزعت المقاومة الشعبية منشورات ضدها داعية الى التمسك بالوحدة « وعدم التعامل مع الأعداء مهما بلغ بنا الجوع والحرمان بسبب الحصار المضروب على المدينة . والحقيقة أن الوطنية تغلغلت فى نفوس الأهالى ، وقد وضعوا نصب أعينهم حصار الفالوجة على انها المثل الأعلى لنا الآن » .

ومما سبق تقديمه من نماذج مقتطفة من التقارير الرسمية التى سجلت صورة الحياة فى بور سعيد بعد انتهاء القتال يتضح مدى قلق العدو وضعف معنوياته الذى زاد يوما بعد يوم نتيجة للموقف الوطنى



حي المناخ فى بور سعيد ازيل عن آخره

العظيم الذى ظهرت به بور سعيد .. وشقت لنفسها به طريقها فى سجل الخلود . وقد حاولت بريطانيا أن تطيل أمد ظلهـــا فى بور ســـعيد بعد انسحاب قواتها فطلبت أن تترك بعض ســـفنها التى كانت قد أحضرتها ضمن سفن حملتها العسكرية من أجل المساهمة فى تطهير قناة السويس من السفن الغارقة فيها ولكن كان موقف مصر فى هذا قويا واضحا بأن تطهير القناة شيء من مســـــئولية مصر الفنية والادارية وأنه يمكن لهيئة التطهير التابعة لهيئة الأمم المتحدة أن تساهم بالقدر الذى تراه مصر .. وقد قبل السكرتير العام لهيئة الأمم المتحدة هذا القرار المصرى .

وبذلك كسبت مصر أيضا هذه الجولة لتضيف معنى جديدا لسلسلة ارتقائها فى معراج سيادتها وقوميتها .

معركة السويس

كانت ميناء السويس أهم هدف استراتيجى بمنطقة خليج السويس الذى تتفرع من قمته القناة التى دارت بسببها الأزمة .. وكان هـــدف المعتدين الوصول الى الميناء والاستيلاء عليها لفرض سيطرتهم على الملاحة فى البحر الأحمر والقناة ، وبخاصة أن هذا الميناء هو النافذة الرئيسية التى تطل منه مصر على ميدان الملاحة مع الشرق الأقصى وشرق افريقية والجزيرة العربية .

وكانت السويس تعنى أشياء كثيرة نظرا لأهميتها الخاصـــة فى سوق الاستراتيجية والتى سبقت الاشارة اليها .

ولهذا كان ضروريا أن تكون السويس قاعدة عسكرية مســـتعدة لمواجهة أى عدوان عليها من البحر والجو ومن البر عن طريق عبور سيناء أو باسقاط الهابطين عليها .

فأعدت خطة تأمين القاعدة والدفاع عنهـــــا ضد جميع احتمالات غزوها أو تهديدها .

واشتركت فى ذلك وحدات من المشاة .

والحرس الوطنى .

والمدفعية المضادة للطائرات .

والمدفعية الساحلية .

والأسلحة المعاونة والادارية .

وبعض الوحدات البحرية وزوارق الطوربيد ، ولعل أهم القطع التى كانت بها وقتئذ سفينة التدريب **دمياط** التى كانت موجـودة بالميناء لأغراض التدريب ، كما كانت هناك السفينة الصغيرة **أبو قير** .

وكانت المعونة الجوية التى خصصت للعمل مع هذه القوة تعمل من المطارات الغربية من قناة السويس .

ولقد كان موقف القوات البحرية فى السويس فى حالة طوارىء مستمرة منذ اعلان التأميم .. اذ كان عليها القيام بأعمال الدوريات المستمرة على طول الشواطىء لخليج السويس ومداخل خليج العقبة والبحـــر الأحمر .

وكانت مجموعة زوارق الطوربيد التى خصصت لهذه المنطقـــة مكونة من مجموعتين كل منها ٣ زوارق .

كما جهزت القاعدة بالعدد اللازم لها من الألغام التى قد يحتاج الامر الى استخدامها لاغراض الدفاع .

وكذلك كانت هناك بعض عناصر خفيفة للحدود وحرس السواحل كان غرضها الوقائية المحلية .

وبالرغم من أن المعركة لم تدر بالمعنى القريب المفهوم كما حدث مثلا فى سيناء .. وبور سعيد الا أن ظروف المعركة الشاملة التى شنتها دول العدوان على مصر وقيام شعبها وجيشها جنبا الى جنب للذود عن سلامة البلاد وصد العدوان كان ذلك مظهرا تكميليا لمظاهر المعـــركة فى باقى القطاعات والمناطق . فقد حاولت البحرية البريطانية والطيران الاسرائيلى والفرنسي والبريطانى تدمير السويس واحتلالها من الجو والبحر ، بل وأرسلت بعض الطوابير والوحدات الى الطريق الجنوبى فى سيناء أملا فى الزحف الى ضفة القناة أمام السويس ، ولكن باءت كل هذه المحاولات بالفشل بالرغم من شدة الاضرار التى اتصفت به محاولات العدو .. اذ كان اصرار المدافعين اقوى وأعظم .

ولعل أهم ما اتصفت به معركة السويس هو انه كان لها جـــانب فى البحر وجوانب اخرى فى الجو والبر .

أما من الناحية البحرية .. فقد ظهرت سفن العدو الحربية ليلة

٣١/٣٠ من أكتوبر متجهة الى السويس .. وكانت هذه المجموعة مكونة من :

١ ــ الطراد نيوفوندلند البريطانى

٢ ــ المدمرة ديانا ٣ ــ مدمرة توام لها	وكلتاهما من طراز دارنج

وكان تسليح الطراد نيوفوندلند كالآتى :

٩ مدافع عيار كل منها ٦ بوصة .

٨ مدافع عيار كل منها ٤ بوصة مضاد للطائرات تعمل بالرادار .

١٢ مدفعا عيار كل منها ٤٠ ملليمتر خفيف مضاد للطائرات .

٦ أنابيب لقذف الطوربيد عيار كل منها ١٢ بوصة .

وكانت قوة السفينة من الأفراد ٩٥٠ من الضباط والرتب الأخرى وحمولتها ١١٠٩٠ طن .

وسرعتها ٣١ ونصف عقدة فى الساعة .

وتسليح كل من المدمرتين الأخريين كالآتى :

٦ مدافع عيار ٤ ونصف بوصة .

٦ مدافع عيار ٤٠ ملليمتر بوفرز خفيفة مضادة للطائرات .

١٠ أنابيب لقذف الطوربيد عيار كل منها ٢١ بوصة .

مجموعة من قذائف الأعماق .

وكانت سرعة كل منها ٣٤ عقدة فى الساعة

ومجموع الأفراد فى كل منها ٣٠٠ من الضباط والرتب الاخرى وحمولة كل منها ٣٧٠٠ طن .

وحدث بعد رفض مصر للانذار البريطانى الفرنسي أن أغارت الطائرات الفرنسية البريطانية على القاهرة والاسكندرية والسويس وبور سعيد .

ونظرا لتأزم الموقف فى جنوب سينا ووصول الانذارات بقرب

وصول السفن البريطانية الحربية التى أشرنا اليها .. رئى استبدال السفينة رشيد التى كانت فى منطقة شرم الشيخ بالسفينة دمياط ، اذ لم يكن فى السفينة الأولى من الوقود ما يكفيها لأكثر من يومين ..

فصدرت الاوامر لكى تتجه دمياط الى شرم الشيخ .. على أن تقوم رشيد الى السويس بعد وصول الاولى الى شرم الشيخ .. وأن تبقى السفينة أبو قير فى السويس للمساهمة فى الدفاع عنها .

وقد صدر هذا الأمر يوم ٣١ من أكتوبر بعد رفض مصر للأنذار البريطانى الفرنسي وبعد بدء الغارات الانجلو فرنسية على السويس والقاهرة وبور سعيد والاسكندرية ، وكانت دمياط سفينة شبه عزلاء اذ خصصت لاعمال التدريب فقط ، ولكن رئى الافادة منها فى تغيير السفينة رشيد .. نظرا لتعذر استدعاء أى سفن حربية من قواعد بور سعيد أو الاسكندرية فى تلك الظروف التى حتمت الافادة بكل ما يمكن الافادة منه.. وكان تسليح سفينة التدريب دمياط ضعيفا ومقصورا على مدفع واحد عيار ٤ بوصات و ٢ مدفع خفيف مضاد للطائرات عيار ٤ ملليمتر وكانت سرعتها بطيئة جدا اذ لم تزد على ١٠ عقدة فى الساعة .. وكان مجموع أفرادها ١٣ ضابطا ، ١٥٢ من الرتب الآخرى .

وتم اعداد السفينة للتحرك .. وأقلعت من ميناء الأدبية قرب السويس فى تمام الساعة ١٦ر٣٠ يوم ٣١ من أكتوبر ، وكان قائدها الصاغ حسين شاكر ، قد أذكى حماسة جنوده للثأر من ضياع السفينة ابراهيم ، وحدث بعد اقلاع « دمياط » أن تبعتها احدى ناقلات البترول الانجليزية وسارت على خط السير الذى سلكته دمياط حتى وصلت بمحاذاة فنار « أبو الدرك » ، وكان الجو هادئا غير مقمر .. وساد الظلام منطقة خليج السويس .. وبدأت ناقلة الزيت البريطانية تزيد من سرعتها لتسبق « دمياط » وربما لكى تتفادى أى تورط أو اشتباك قد يحدث ..

وفى الدقيقة العاشرة تماما بعد الليل ظهرت السفن الثلاث فى هيئة طابور أمام السفينة دمياط على مسافة ٤٠٠ ياردة منها ، وأرسل قائد الطراد نيوفوندلاند الى « دمياط » يسألها عن جنسيتها واسمها .. وفى اللحظة نفسها تحركت المدمرة ديانا وأختها للاحاطة بها منعا من افلاتها .

ولم يكن هناك مجال للتفكير فى الرد أو التصرف السلمى أمام هذه القوة المتفوقة فى كل شيء .. فأصدر قائد دمياط أوامره بممارسة عمليته الانتحارية وأمر بمضاعفة السرعة الى أقصاها « الخطير » وتولى بنفسه ادارة دفة السفينة دمياط ، ووجهها فى سرعة جريئة الى أكبر القطع

الحربية الثلاث وهى الطراد نيوفوندلند .. الذى كان قد سلط انواره الكاشفة على دمياط .. ليستطلع حركاتها ونواياها ..

وفى لمح البصر أصدر حسين شاكر قائد دمياط لطاقم مدفعه الوحيد امرا باطلاق قذائفه على نيوفوندلند وانطلقت قذيفتان اصابتا الطراد البريطانى مباشرة .. وبدأت السفن الثلاث تطلق كل مدافعها على دمياط وتعطل مدفعها الوحيد بسبب اصابة مباشرة قضت على أفراد الطاقم ، ونشب حريق على ظهر السفينة فلم يكن ممكنا توجيه أى نيران منها الا من المدفع الخفيف ٤٠ ملليمتر .. وأطلق مجموعة من قذائفه استقرت فى قاعة السينما بالطراد البريطانى ، وقتل بسبب ذلك ٣ وأصيب ١٣ من رجاله .

واشتدت سرعة ضرب مدافع الطراد والمدمرتين على دمياط التى كانت تقترب من نيوفوندلند بقصد الاصطدام به واغراقه ، ولكن شاء حظها أن تصاب فى أكثر من مكان باصابات مباشرة من قذائف السفن الثلاث ، فبدأت تغوص فى الماء ، واستمر قائدها حسين شاكر ممسكا بعملية القيادة الى آخر لحظة ، وبعد أن تيقن انزال كل رجاله ، اتجه وراءهم غير أنه سمع فى آخر لحظة ، أنينا خافتا صدر متقطعا من موقع المدفع المحطم .. فارتد على أعقابه لينقذ صاحب الأنين الا انه .. ذهب ليلقى ربه شهيدا مرفوع الرأس ، وغاص بسفينته الى قاع خليج السويس. وتم غرق السفينة بعد خمس وعشرين دقيقة من بدء اشتباكها مع السفن البريطانية الثلاث وكانت خسائرنا فى هذه المعركة .

٦ ضباط

٥٠ صفا وعسكريا

وكانت هذه المعركة مثالا باهرا أشاد به قواد السفن البريطانية الثلاث .. وقد كرموا قائد دمياط ورجاله بالذكرى العاطرة فى تقاريرهم التى جاء فيها :

« اما أن قائد دمياط كان بطلا خارقا فى شجاعته أو أنه كان مجنونا فى وطنيته لما أقدم عليه من مثل هذا العمل الذى يندر أن تشهده معارك البحر » .

واتصفت هذه المعركة بكل ما يشرف كل من انتسب اليها من التضحية الكبيرة .. وسمو الروح المعنوية الى أعلى مراتبها وحسن التصرف والمبادأة التى قام بها قائد السفينة بعزمه على اتخاذ خطة الهجوم

واصدار قراره السريع الحاسم فى الاتجاه بسفينته العزلاء بقصد تحطيم الطراد البريطانى الذى كان يواجهه مقابل ان تتحطم السفينة دمياط ومن عليها .. اذ لم يكن لديه من المدافع أو الاسلحة ما يستطيع به مقابلة تفوق العدو فى كل شيء بتلك المعركة .

وكان ثبات الأفراد فى أماكنهم وقيام كل منهم بواجبه حتى آخر لحظة مثالا للضبط والربط والسيطرة وحسن القيادة والتجاوب القلبى والعاطفى بين القائد وجنوده وتفانيهم جميعا فى أداء واجبهم المشترك وترحيبهم بمواجهة الموت بالرضا الكامل .

كما اظهرت هذه المعركة ايضا مدى الروابط والمحبة بين الجميع التى تجتمع عليها تقاليدنا فى القتال .

وقد استطاعت سفن العدو التقاط بعض الرجال الذين نجوا من الغرق مع الباخرة .. على حين سبح آخرون منهم الى الشاطىء المصرى واستمروا فى سباحتهم تحت هذه الظروف لأكثر من عشرين ســـاعة مجازفين بحياتهم سواء أمام احتمال الاعياء والغرق بعد مجهود المعركة ، أو امام احتمال افتراسهم بوحوش البحر التى تكثر عادة فى هذه المنطقة من البحر الأحمر .. وكان معظم الذين انتشلتهم السفن الثلاث من الجرحى هم هؤلاء الذين عجزوا عن استمرار السباحة الى الشاطىء ، وحاولت هذه السفن انزالهم فى ميناء بور سودان فيما بعد ذلك بقصد علاجهم ، وفعلا اتخذت الترتيبات اللازمة لذلك ، غير أن القيادة البريطانية رأت فى آخر لحظة ارسالهم الى عدن خوفا من اثارة الرأى العام السودانى اذا علم بتفاصيل المعركة .

واتجهت السفن بعد انتهاء وقف القتال الى عدن لاجراء الاصلاحات اللازمة فى الطراد نيوفوندلند ولانزال الجرحى وعلاجهم كأسرى حرب .

وحاولت السفن الحربية الثلاث بعد أن انضمت اليها بعض ناقلات الجنود وسفن التموين القيام بعملية انزال قوات الى البر جنوب السويس بعد أن مهدت لذلك القوات الجوية المعادية بغارات مركزة على المدينة.. غير أن العمل الذى قامت به قيادة القاعدة البحرية بالسويس من حيث اذاعة بث الالغام فى الميناء حالت دون اتمام عملية الغـــزو .. وفى الحقيقة لم يكن قد تم الغام الميناء .. ولكن رئى اصدار هذا الانذار الذى وجه للسفن عامة .. بقصد التضليل والخداع .

واستمرت دوريات زوارق الطوربيد فى عمليات الحراسة والمراقبة

واستطاعت اصابة ٣ سفن من ناقلات الجنود وسفينتين من سفن التموين .. وبذلك بدت قاعدة السويس منيعة ، وخاصة بعد أن اسقطت ٥ طائرات فى يوم واحد نيران المدفعية المضادة للطائرات .

وقد ساعدت عملية انشاء المواقع التبادلية للمدفعية بصفة خاصة على تضليل العدو وخداعه وتحريك المدافع بين مواقعها الأصلية وهذه المواقع التبادلية .

كما أنشئت « مبايت » مستورة جديدة لزوارق الطوربيد ، وكانت هذه « المبايت » بمثابة المواقع التبادلية لهذه اللنشات .. وأفادت هذه العملية فى مفاجأة سفن العدو بانقضاض زوارق الطوربيد ، عليها واصابتها باصابات مباشرة قضت عليها فى الحال .

وقد رئى الافادة من هذه المبايت وكذلك المواقع التبادلية للمدفعية من أجل خداع العدو الذى كان يعلم سلفا مواقع البطاريات بالمنطقة وخاصة بميناء الادبية التى كانت قاعدة للبحرية البريطانية قبل جلاء الانجليز عن القنال نهائيا .

واستمر نشاط هذه الوحدات بصورة هجومية متقطعة فى منطقة خليج السويس حتى يوم ٣ نوفمبر عند ما صمم العدو على القيام بهجوم بحرى كبير بقصد انزال قواته الى البر بعد أن عجز عن تحقيق نصر قريبه فى بور سعيد ، وبعد أن قررت قيادته العليا ضرورة احتلال المراكز الرئيسية على طول امتداد القناة تلبية لالحاح ايدن وموليه لمواجهة ثورة الراى العام فى بريطانيا وفرنسا ، اذ أراد كل منهما تحقيق نصر سريع على أساس فرض الأمر الواقع على العالم بأن قواتهما قد احتلت فعلا كل القناة من بور سعيد الى السويس ، ولهذا حدد يوم ٣ نوفمبر لانزال قوات العدوان فى السويس ليكون ذلك مقدمة للزحف السريع للقاهرة لاسقاط « جمال عبد الناصر » .

ولكن لم يتمكن العدو من اكتشاف مواقع المدفعية الساحلية الحقيقية ولا أوكار زوارق الطوربيد فاستطاعت بذلك قواتنا اغراق سفينتين واصابة ثالثة ، ولاذت السفن الباقية بالفرار ، ولم تحاول العودة مرة أخرى .

وصدر البلاغ الحربى الرسمى رقم ١٧ فى الساعة ١٠ر١٨ مساء السبت ٣ نوفمبر .

بلاغ رقم (١٧) صادر ((سعت ١٠ر١٨)) يوم ١٩٥٦/١١/٣

حاولت القوات البحرية البريطانية والفرنسية فى صباح اليوم الاقتراب من ميناء السويس فأطلقت عليها مدفعية السواحل المصرية نيرانها فورا فأغرقت قطعة بحرية بريطانية . وفى الحال انسحبت القوات البحرية البريطانية والفرنسية الى الجنوب بعيدة عن الشواطىء المصرية . واستمرت مدفعية السواحل المصرية فى اطلاق النيران عليها ، وقام الاسطول المصرى فى مطاردة أسطول العدو حتى فنار ابو الدرك وضربه فى أثناء انسحابه ، وكانت نتيجة هذه العملية البحرية أن تكبد العدو الخسائر الآتية :

١ ــ غرق قطعة بحرية بريطانية .

٢ ــ اصابة قطعة بحرية أخرى .

٣ ــ اغراق حاملة جنود بريطانية .

كما أغرقت المدفعية الساحلية مدمرة بريطانية .

وكان هذا البلاغ آخر ما تضمن نشاط العدو فى خليج السويس من عمليات الى أن انسحب المعتدون .

وفى تلك الفترة كانت العصابات الاسرائيلية قد وصلت الى منطقة البترول فى سدر ومطامر الشاطىء الشرقى لخليج السويس وذلك بعد اتمام الانسحاب العام لقواتنا من سينا .. وبدأت القوات الاسرائيلية فى عمليات نهب المعدات البترولية .. وفى سلب المخطوطات التاريخية من دير سانت كاترين ، ومعدات وأثاثات محجر الطور التى كانت مهيأة لاستقبال الحجاج فى فترة الحجر الصحى بمواسم الحج .

وهكذا انتهت معركة خليج السويس باستشهاد دمياط وقائدها .

وباغراق سفن الغزو البريطانية وباغلاق مدخل القناة وتوقف الملاحة بسبب عدوان العدو وغاراته ، وبنشاط القرصنة والسلب من جانب القوات الاسرائيلية قبل انسحابها الى اسرائيل .

ولم تفلح تجمعات العدو فى منطقة جزيرة شدوان وميناء الطور وأبو زنيمة التى احتلها بعد انسحاب قواتنا منها فى التحرك من معاقلها بعد هذه المعركة ، بالرغم من توافر سفن التموين والبترول والصيانة مع السفن الحربية والقوات البرية والمشاة البحرية التى كانت معدة لغزو السويس .

ومع ذلك استمرت عمليات استطلاع العدو لمنطقة السويس والأدبية طول الأيام الثلاثة ٤ و ٥ و ٦ نوفمبر على أمل الحصول على معلومات قد تشجعه على ممارسة عملية الغزو أو الانزال التى كان يترقبها .

وقابل ذلك من جانبنا بث الألغام والعوائق فى خليج السويس لمنع اقتراب السفن المعادية التى تجمعت فعلا وكانت على اســتعداد كامل للانقضاض فورا اذا سمحت لها الفرصة على أية منطقة تصلح لانزال قواتها قرب السويس .

وتحركت زوارق الطوربيد ليلا من أماكنها الى أماكن تبادلية جديدة وبذلك زادت مناعة الدفاع عن السويس .. وظلت فى أمان كامل حتى نهاية المعركة باستثناء تعرضها الى الغارات الجوية التى تصــدت لها المدفعية المضادة للطائرات ، وقد لوحظ عدم محاولة العدو فى ازالة أو كسح الالغام التى بثتها قواتنا بمياه خليج الســويس بسبب عدم توافر الكاسحات للألغام ضمن قطعه البحرية .. ويبدو أن سبب عدم وجود أية كاسحات ألغام معه يرجع الى عدم توقعه قيام قواتنا بهذا العمل .. فكان عملها هذا خير وأقوى مفاجأة له ، وحققت لنا سلامة السويس وكسب معركتها .

الفصل الخامس

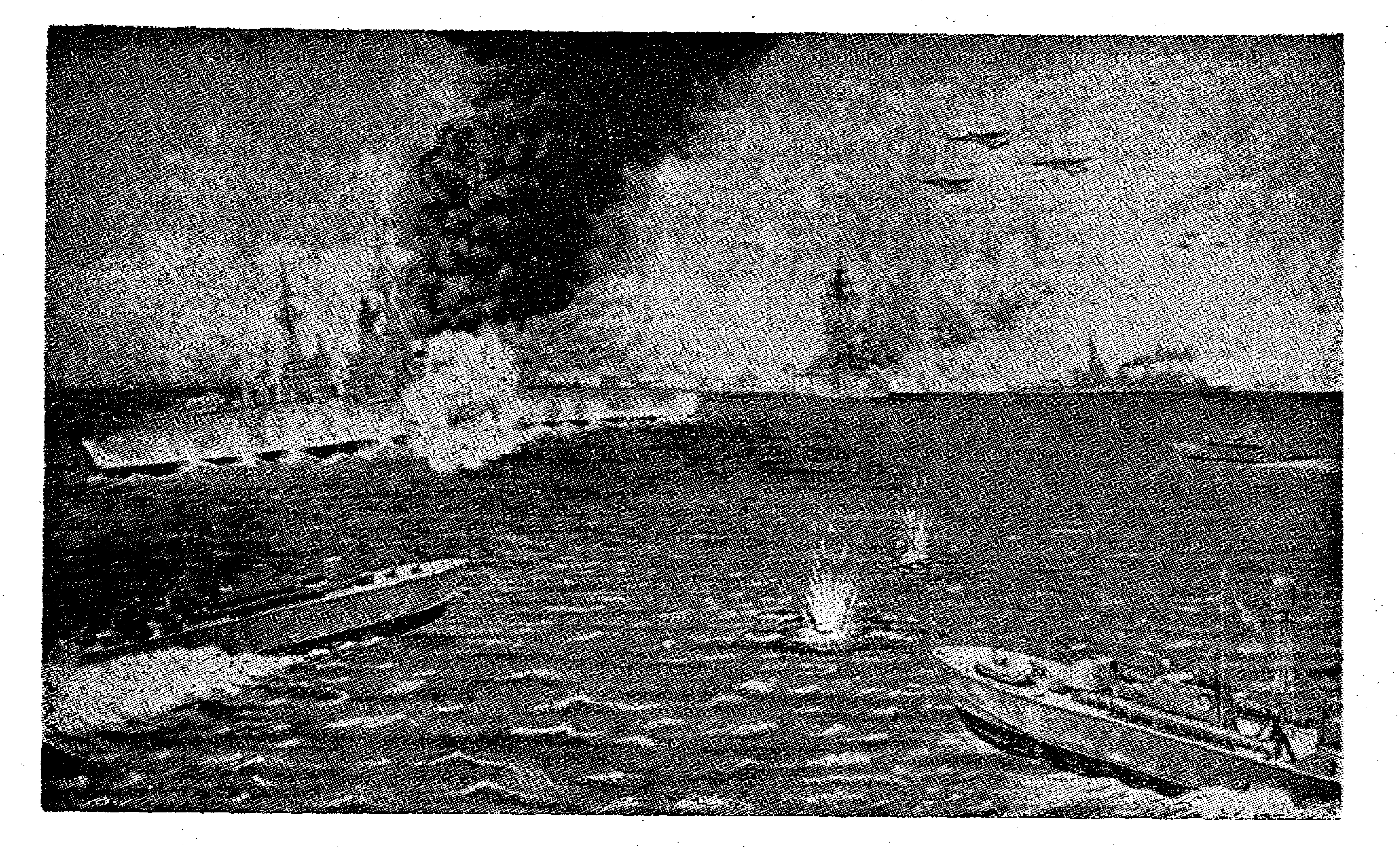
معركة البرلس والاسكندرية

بعد أن أعلنت بريطانيا وفرنسا انذارهما لمصر أصبحت مسئولية القوات المصرية أضخم وأعظم ، اذ كان عليها أن تواجه بامكانياتها المحدودة نسبيا امبراطوريتين تتفوق قواتهما فى البر والبحر والجو والخبرة والموارد .. وكان عنصر المفاجأة فى جانب العدو أمرا زاد من حرج الموقف وخطورته .

ولكن كان لابد من مواجهة الامر الواقع والتصرف فى حدود تلك الامكانيات الى آخر طلقة وآخر رجل من أجل منع العدو من تحقيق غايته وهى احتلال مصر من جديد وفرض سيطرته عليها .

وكان عبء القوات البحرية كبيرا ، وخاصة أن العدو كان قد حشد فعلا أسطولا فى قبرص ومالطة وفيما بينهما منذ اعلان تأميم القناة كما كانت قواته الجوية متفوقة وتشد أزر أساطيله بالدفاع عنها أو بالانطلاق منها للهجوم .. وكان الاجراء الطبيعى الذى اتخذ لمواجهة هذا الموقف هو استمرار النشاط لمراقبة وتأمين الشواطىء المصرية . وتطلب هذا الأمر قيام القطع البحرية الخفيفة من زوارق الطوربيد بأعمال الدوريات على امتداد الشاطىء وعلى الأخص فيما بين بور سعيد وغرب الاسكندرية .

وفى يوم ٣ نوفمبر كانت مجموعة من هذه الزوارق فى طريقها العادى للاكتشاف بعد أن وصلت أنباء أفادت بأن قوة بحرية للعدو تقترب من المياه المصرية مكونة من :



معركة البرلس أصيبت فيها الطراده الفرنســية جان بارت من طوربيدات زوارق الطوربيد

٤ حاملات للطائرات .

عدد كبير من الطرادات والمدمرات البريطانية

٢ « بارجة فرنسية »

٣ ناقلات للجنود .

وقد وردت أنباء بتحرك هذه القوة من قبرص ومالطة .

ولذلك أصبح متوقعا قيام العدو بعمليات كثيرة تتناسب مع طبيعة وحجم ونوع هذه الوحدات المختلطة من أساطيله .

فصدرت الأوامر لمجموعة زوارق الطوربيد بالقيام بدورية اكتشاف بين بور سعيد والميناء الشرقى بالاسكندرية والاشتباك مع سفن العدو الحربية .. والمفروض فى عرف وطبيعة عمل زوارق الطوربيد انها تمارس غاراتها ليلا فى الظلام .. لكى تحقق نتائجها بصورة مثمرة .

وفى ليلة ٣ و ٤ نوفمبر بدأ سرب الدوريات من زوارق الطوربيد المصرية يفتش عن صيده .

وفى صباح اليوم التالى ظهرت سفن العدو أمام البرلس ، ولم يكن هناك مجال للتردد فى الاشتباك مع هذه السفن نهارا ، وقرر قائد الزوارق الصاغ **جلال الدسوقي** الاشتباك فورا ، وأطلقت زوارقنا قذائفها من الطوربيد فأصابت احدى البوارج الفرنسية ومدمرة بريطانية .

وعادت الزوارق تدور حول هذه السفن لتواصل الاغارة عليها حتى انتهت حمولتها من الطوربيد ، ولكنها تعرضت فى هذه الاثناء لغارات الطائرات النفاثة التى لاحقتها بالمطاردة حتى قضت عليها كلها ، وانتهت هذه المعركة البحرية بتلك الصورة الرائعة من الجرأة والبطولة ، وضربت البحرية المصرية مثلا جديدا فى أسلوب القتال والاشتباك بزوارق الطوربيد نهارا .. ولقد كانت غارات الطائرات المعادية على زوارقنا هى التى قضت عليها .

ولم يكن ميسورا تدبير أية وقاية أو مساعدة جوية فى ذلك الوقت نظرا لعدة اعتبارات فنية وزمنية .

اذ كانت فرصة ظهور سفن العدو كصيد « دسم » مفاجأة استحقت المغامرة فورا دون انتظار طلب المعونة الجوية .

كما كان موقف الطيران المصرى فى ذلك اليوم دقيقا بعد ان توزعت الطائرات على مطارات الأقصر وحلوان والواحات وبعض المطارات السرية البعيدة .. وكان المقصود من هذا التوزيع تأمين هذه الطائرات فى مرابطها الجديدة بعد أن دمر العدو المطارات الكبيرة وأصبحت غير صالحة لايواء أو لاستخدام الطائرات التى بقيت سليمة ، والتى رئى فى بعض الحالات أن تظل مختفية على الطريق السريع الذى كان تحت الانشـــاء بين القاهرة والاسكندرية نظرا لصلابة أرضه وحسن تعبيدها مما جعلهـــا صالحة كممرات المطارات ، ان لم تكن قد فاقتهـــا فى بعض الحالات ، وخصوصـــا لتوافر عوامل الاخفاء والتمويه على هـــذه الطرق لوجود الاشـــجار والمزروعات على جانبها .

ولكن نجاة بعض جنود هذه الزوارق كانت مصـــدرا للمعلومات التى جمعت عن تفاصيل المعركة والتى تأكد فيها اصابة بارجة فرنسية ومدمرة بريطانية .. ولم يثبت اسم البارجة الفرنسية التى أصيبت ، اذ يوجد لدى فرنسا من هذا الطراز سفينتان توأمان هما :

« جان بارت » ، « ريشيليو » .

وقد حاولت فرنسا أن تنفى غرق البارجة المصابة بأن نشرت صورا للبارجة جان بارت وهى راسية فى ميـــاء طولون بعد انتهاء العمليـــات الحربية فى البحر الأبيض المتوسط .. ولكن فاتها أيضا أن تنشر صورة ريشيليو أو حتى تشير اليها .

وكان سبب اهتمام فرنسا بنشر أنباء جان بارت بعد العدوان هو أن المفهوم أن هذه البارجة كانت ضمن قوة الأسطول الفرنسي قبل العدوان فى قبرص ، ولهذا أذيع اسمها عند اصابتها .

أما المدمرة البريطانية فقد ثبت غرقها نتيجة لما أصابهـــا من العطب بسبب هذه الغارة الانتحارية .. وغرقت وهى فى طريقها الى طبرق .

وقذفت الأمواج بعد ذلك بأيام بجثث بعض القتلى والأعلام البريطانية الصغيرة ، وكانت بعض الجثث مربوطة بقنابل عيار ٤/٪ بوصـــة ، وهى من طراز القنابل التى تستخدمها مدفعية المدمرات البريطانية .

وانتهت معركة البرلس فى دقائق بعد أن حققت لنا مجدا كبيرا فى تاريخ الجهاد والشرف ، وصدرت عنها فى حينها نشرة أنبـــاء للمراسل الحربى لوكالة أنباء الشرق الاوسط جاء فيها :ـــ

« وقامت قواتنا البحرية بعمل من أعمال البطولة النادرة سيخلده التاريخ وسيخلد معه كفـــاح رجال القوات البحرية المصرية من أجل المحافظة على سلامة بلادنا وحريتنا .

فقد حدث أن اقتربت طرادات فرنسية حمولتها ٧ آلاف طن ويتكون طاقمها من ٦٠٠ فرد ، وكانت تحمل بعض الوحدات من الفدائيين البحريين واقتربت من الشاطىء المصرى عند بحـيرة « البرلس » بالبحر الأبيض وعلى مسافة ١٢ ميلا من الساحل اشـتبكت وحداتنا البحرية بالطرادة فى تمام الساعة الثامنة والنصف صباحا تقدمت وحدات خفيفة من البحرية المصرية واشتبكت مع الطرادة الفرنسية فى عملية انتحارية ، وانتصرت فيها قواتنا البحرية ، وأصابت الطرادة الفرنسية اصـــابة مباشرة واشتعلت فيها النيران على الفور وظلت مشـــتعلة حتى تم اغراقها فى الساعة الثانية عشرة ظهر اليوم » .

وان العمل الذى قامت به البحرية المصرية اليوم عمـل يستحق الفخر من جانب كل مصرى .

معركة الاسكندرية

يمكن اعتبار بدء معركة الاسكندرية من الســاعة ١٨ر٣٠ من مساء يوم ٢٦ يوليه عندما بدأ خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فيها والذى أعلن فيها قراره التاريخى بتأميم شركة القناة .. فانتقلت بذلك الاسكندرية فجأة بشعبها وقواتها المسلحة الى حالة الطوارىء والاستعداد للقتال ، اذ تركزت عليها أضواء العالم قبل أن تنعكس منهـــا على صفحة قناة السويس ، وبدأت قيادة القوات البحرية والقيادة الشمالية فى اتخاذ جميع التدابير اللازمة لتأمين قاعدتنا الكبرى على البحر الابيض .. ولتنســيق كل الخطط الدفاعية لسلامتها من البر والبحر والجو .. وخاصة بعد أن أفادت الأنباء بسرعة عمليات الحشد والتجمع التى نشطت فجأة فى ليبيا وفى مالطة وفى قبرص وفى طولون .. .. ووهران بالجزائر .

وكانت كل الدلائل الأولى تشير الى الاسكندرية لتكون هى الموطىء الأول للعدوان بقصد سد منفذنا الرئيسي على البحر الابيض الذى يتنفس منه اقتصادنا القومى ، وبقصد سرعة الوصول برا الى القاهرة .

وقد أشرنا فى الصفحات الاولى من هذا الكتاب الى التدابير التى

اتخذتها القيادة العامة للقوات المسلحة من أجل تقدير الموقف العام على ضوء المعلومات التي كانت تتجمع أولا بأول من المصادر المختلفة .

وكان معلوما للعدو كل البيانات الخاصة بمواقعنا الدفاعية الساحلية وخاصة بطاريات المدفعية التي كانت قد أقيمت قبل وفي أثناء الحرب العالمية الثانية ، وعرف الانجليز كل المعلومات عنها ، وكان لابد من أجل تأمين سلامة هذه البطاريات أن تنشأ بطاريات هيكلية أخرى على طول الساحل امعانا في تضليل العدو .. وقسمت منطقة الاسكندرية الى قطاعات دفاعية .. واعطيت السفن الحربية واجبات دفاعية للتعاون مع المدفعية الساحلية والمدفعية المضادة للطائرات ،، ووضعت الخطة لحماية الميناء من أخطار تسلل الضفادع البشرية وكذا الهابطين بالمظلات .. علاوة على مراقبة وتأمين المناطق التي كان يمكن أن تكون ميدانا لانزال القوات من البحر .. شرق وغرب الاسكندرية .

وبجانب كل هذه الخطط الوقائية والدفاعية وضعت خطة خاصة بأعمال وواجبات المهندسين العسكريين لنسف وتدمير المرافق التي تقرر عدم وقوعها في أيدى العدو بأية حال من الاحوال .

كما وضعت خطة خاصة بأعمال رجال البوليس من حيث أعمال الامن الداخلي المحلى .. من أجل سلامة الجبهة الداخلية ، وخصوصا ان الاسكندرية كانت مركزا تجاريا رئيسيا اتسعت رحابته لكثير من العاملين في الحقل الاقتصادى بما فيهم الاجانب سواء من رعايا بريطانيا أو فرنسا أو من رعايا بعض الدول الموالية لهما .. وكان ضروريا وضع خطة خاصة بواجبات البوليس حفظا للأمن والسيطرة على المدينة بما يكفل لها التجاوب الكامل مع مطالب الخطط الأخرى اذا وقع العدوان .. بأية صورة .

ومن أجل ذلك .. وضعت خطة خاصة بالمقاومة الشعبية .. ليشترك فيها الشعب عمليا في القيام بواجباته سواء في التعاون مع البوليس أو الحرس الوطني أو الدفاع المدني أو غير ذلك ..

وبدىء فعلا في حفر الخنادق غرب الاسكندرية على جانبي الطريق القادم من ليبيا الى القاهرة .. وبدأت عمليات الاستطلاع الارضي والجوى .. وهكذا كان يوم ٢٦ يوليه سنة ١٩٥٦ بدء المعركة عمليا في الاسكندرية بصفة خاصة .. وسرت موجة النشاط في غرف العمليات البحرية والجوية .. وضوعف الاهتمام بالتدريب في كل القطاعات .. وعلى الأخص بالسفن البحرية الجديدة والتي قدر لها الاشتراك الفعلى

فى القتال فى المعركة قبل أن يستكمل أفرادها تدريبهم ، وبالرغم من ذلك حققوا فوزا كبيرا سجله قائد السفن الأمريكية التى شهدت المعركة وهى فى انتظار نقل الرعايا الامريكيين .

ونظم الدفاع عن الاسكندرية على ضوء الامكانيات الموجودة بها .. وعلى اساس منع العدو من الاستيلاء عليها بأى ثمن .

ولذلك كان تنظيم القوات المدافعة عنهـا متصفا بالمرونة المطلقة قابلا لمواجهة كل الاحتمالات المفاجئة .. وقابلا لتحقيق التعاون الكامل بين كل القوى البحرية والجوية والبرية بما فى ذلك قوات البوليس وخفر السواحل والحرس الوطنى والفدائيين وقوات المقاومة الشعبية ..

وكانت احتمالات نشاط العدو اما أن تكون على صورة : —

(١) غارات جوية من حاملات الطائرات أو من قبرص .

أو (٢) غارات بحرية .

أو (٣) غارات تخريبية من الفدائيين والضفادع البشرية .

أو (٤) بالغزو بانزال قوات من البحر وبالهابطين ، كما كان محتملا أن يمارس العدو كل هذه الصور العدوانية أو بعضها ، وخاصة أنه كان يتفوق فى كثير من النواحى والاعتبارات الآتية :

السيطرة الجوية .

والسيطرة البحرية .

والتفوق فى القوات البرية .

كما كانت لديه ميزة الاستعداد المبكر والموارد الضخمة فى المعدات والعتاد والتمويه ووسائل النقل والاسعاف .

علاوة على مالديه من معلومات سـابقة عن قواعدنا ومطاراتنـا وموانينا واهدافنا الحيوية . ومظاهر النقص والضعف فى مرافقنا ومراكزنا الدفاعية اذ أن الجلاء البريطانى لم يتم عن مصر الا قبـل تأميم القناة بأربعين يوما فقط .

وفى الوقت نفسه كانت أمامنا مسئوليات ضخمة اذ كان علينا أن نواصل تدريبنا على الأسـلحة التى وصلت الينـا قبل التأميم بأسابيع قليلة .

.. وأن نمارس نشاطنا فى مختلف الميـــادين بالرغم من اعلان الطوارىء صبيحة يوم التأميم ، ومعلوم أن العمل فى اطار الطوارىء انما يؤثر كثيرا على طاقة وكفاية وصـــبر الافراد .. علاوة على تأثيره على صلاحية وكفاية المعدات والاسلحة .. وهذا كله كان يؤثر مباشرة على نتيجة المعركة .

وكان علينا أيضا مضاعفة يقظتنا لحراسة شـــواطئنا وأجوائنا وارضنا ومرافقنا ومصانعنا وأسرارنا .

وهكذا بدت معالم معركة الاسكندرية قبل أن تنطلق فيها رصاصة واحـــدة .

ولكن كانت الرصاصة الاولى التى سمعتها الاســـكندرية من أحد رجال الحرس الوطنى الذين أخذتهم الحماسة للقتال عندما سمع صفارات الانذار تنبىء بغارة جوية .. فأطلق رصاصة تنفيسا عما يختلج بنفسه رغبة فى الاشـــــتباك مع العـــدو حتى لو كان فى طائرة لا يراها ولن يصل اليها .

وعندما بدأ القتال فى ٢٩ أكتوبر فى ســـــيناء . دخلت معـــركة الاسكندرية **مرحلتها الثانية** .. اذا اعتبرنا أن المدة من ٢٦ يوليه الى تلك اللحظة كانت بمثابة المرحلة الأولى .

ولم يحدث أى اشتباك جدى خلال المرحلة الثانية بالاســـكندرية سوى بين المدفعية المضادة للطائرات وبعض الطائرات التى حامت فوق المدينة للاستطلاع .

ولكن كانت **المرحلة الثالثة** هى أخطر المراحل كلها وخصوصا بعد أن حملت الأنباء زيادة نشـــاط القوات البريطانية فى ليبيا وزيادة كثافة السفن الحربية التى كانت تتجمع على مسافات غير بعيدة من حافة مياهنا الاقليمية — وقد حملت تقادير الاستطلاع الجوى وجود حاملات الطائرات تشق طريقها الى الاسكندرية قبل تقديم الانذار البريطانى الفرنسي لمصر . والذى أوضح كثيرا من معـــالم المعركة القادمة بأنها ستكون مع دولتين كانتا فى يوم ما أكبر قوتين حربيتين فى العالم .

ولذلك صدرت الاوامر بعد اعلان الانذار .. بتعديل بعض الواجبات التى كانت معطاة للسفن الحربية .

فقد سبق أن صدرت الأوامر « سمت ٢٠٠ » ليلة ٣١/٣٠ اكتوبر للمدمرة طارق (التى كانت تعمل فى قاعدة بور سعيد) بأن تقوم بأعمال

الحراسة على طول امتداد الشاطىء بين بور سعيد والعريش منعـــا لانزال أية قوات اسرائيلية على الشاطىء وخاصة شرق البردويل وذلك بعد أن فشلت محاولات الجيش الاسرائيلى فى التقدم فى سـيناء وعلى الأخص فى منطقة أم قطف وعجيلة .. اذ كان يخشي أن تقوم اسرائيل بانزال قوات لها من البحر لقطع المواصلات بين العريش والاسماعيلية مما قد يحرج موقف قواتنا فى سيناء ومن ثم تخف مقاومتهـــا للقوات الاسرائيلية الغـــارقة فى رمال وادى القسيمة وأمام أســـلاك مواقع أبو عجيلة .

وكان المفروض أن تقوم الســفينة الحربية طارق بمهمة الحراسة للشاطىء ومعها بعض زوارق الطوربيد من بور سعيد .. وبدأت السفينة تستعد لمهمتها ، الا أن تعديل الخطة قد صدر اليها نتيجة لاذاعة الانذار الفرنسي البريطانى وأصبحت الخطة الجديدة كالآتى :

* تعود السفينة الحربية طارق الى اتجاه الاسكندرية .

* وتتجه زوارق الطوربيد الى الاتجاه نفسه .

وعادت السفينة طارق فى الاتجاه الجديد فى حين عادت زوارق الطوربيد الى بور ســـعيد « سعت ٤٠٠ » فجر يوم ١٠/٣١ للتموين بالوقود حتى لاتضطر الى اعادة ملء خزاناتها بالوقود فى نهـــار اليوم التالى .

وفى الســـاعة ١٧٫٣٠ يوم ١٠/٣١ وصـــلت الســـفينة طارق للاسكندرية فى حين ظلت زوارق الطوربيد فى بور سعيد حتى « سعت ٢٢٠٠ » وخرجت منها قاصدة الاسكندرية ووصلتهـــا « سعت ٦٣٠ » وكان مأواها فى الميناء الشرقى .

وفى اليوم نفسه كانت السفينتان الناصر والظافر تقومان بالتدريب خارج مياه الاسكندرية ، وكانتا فى طريقهما الى الميناء بعد أن أذيع نبأ الانذار البريطانى الفرنسي .. ورفض مصر له .

وتصادف أن شاهدت المدمرتان المصريتان بعض السفن الامريكية فى طريقها الى الميناء فى الوقت الذى كانت بعض طائرات الاســطول البريطانى الاستطلاعية تحوم حول الســفن على ارتفاعات عالية .. واتضح أن هذه السفن الامريكية قد وصلت من أجل ترحيل رعايا الولايات المتحدة من مصر .

ودخلت السفن الأمريكية ميناء الاسكندرية يوم ٣١ أكتوبر فى حين ظلت « الناصر » والظافر خارج الميناء كاحتياطى قريب مرن لمواجهة أى طارىء علاوة على واجبهما لأعمال الحراسة للميناء والشـــاطىء وحول اطراف الاسكندرية .

وفى باكورة يوم أول نوفمبر « سعت ٦٥٠ » بدأت الغارات الجوية على السفن المصرية وكانت « طارق » فى طريقهـــا الى خارج المينـــاء لاستئناف واجبها فى اتجاه رشيد على حين سارت « الناصر » والظافر وراء « طارق » فى خط متعرج لتفادى اصابات الطائرات لهما .

واستمرت أطقم المدفعية المضادة للطائرات بالسفينتين تواصـــل اطلاق قذائفها بسرعة فائقة وكانت هـــذه أول مرة لأطقم الســفينة « الناصر » فى اطلاق مدافعهم التى كانوا لا يزالون يواصـلون تدريبهم عليها حتى اليوم السابق لهذه العملية .. دون أن يطلقوا منهـــا قذيفة واحدة قبل ذلك .

وكانت الغارة الموجهة الىالسفن الثلاثمركزة وعنيفة جدا وبعيدة عن مدى الاشتباك بالمدفعية المضادة للطائرات الموجودة على الشاطىء مما أدى الى اتصال غرفة العمليات الجوية بغرفة العمليات البحرية لكى تطلب من السفينتين الأقتراب من الشاطىء لجذب الطائرات الى داخل مرامى الاسلحة المضـــادة للطائرات الموزعة على امتداد شـــــاطىء الاسكندرية ..

وتمت هذه العملية بدقة وهدوء ، وأصبحت الطائرات المغيرة فجأة فى منطقة الاصابة بنيران المدفعية الثقيلة المضادة للطائرات التى قذفت حممها على الطائرات مما أدى الى هروبهـــا فجأة ومرة واحـــدة من جو المعركة .

وظلت أشباح الطائرات المغيرة واضـــحة على لوحات الرادار بل كشفت تلك اللوحات عن موجات جديدة من طائرات اضافية انضـــمت الى الأسراب الأولى ، وواصلت جموعها غاراتها من جديد على السفن المصرية التى استمرت فى دفاعها ، وفجأة أطلقت سحابة كثيفة منالدخان من المولدات الجانبية والداخن فحجبت السفن عن الطائرات وعادت الى قواعدها تاركة ٤ طائرات تهوى محترقة فى البحر أمام رجال الســـفن من مختلف الجنسيات الذين كانوا يراقبون هذه المعركة من أبراج سفنهم بالميناء اذ كانت المعركة لا تبعد عن الشـــاطىء أكثر من ثلاثة أميال ..
فاستطاعت كل السفن الراسية فى الميناء مشـــاهدة وتتبع أطوار تلك

المعركة التي شهد لها قائد السفينة الامريكية التيكانت فيانتظار تحميلها بالرعايا الامريكيين بناء على نصيحة حكومتهم ، وقد ســجل هذا القائد الامريكي بخط يده شهادة تشرف رجال البحرية المصرية والمدفعية المضادة للطائرات وكانت مناسبة تسجيله لهذه الشـــهادة أنه أراد أن يعبر عن شعوره الشخصي بما شاهده وأن يكتب بخط يده معنى هذا الشعور الذي لن ينساه ..

واتجهت السفن الى قاعدتها داخل الميناء ، وبعد قليل أذاعت قيادة قبرص وتل أبيب نبأ غرق السفن المصرية في الوقت الــذي كانت هذه السفن تشق طريقها داخل الميناء بين تهليل بحارة السفن المختلفة ودوى صفاراتها للتحية والاعجاب .. وكانت هذه الفرصة وحدها دليــلا حيا كافيا على مدى المغـــالات والكذب في انبـــــاء الدول المعتدية ، وربمـــا ظن الطيارون أن سحب الدخان التي رأوها فوق السفن علامة لانفجار حدث فيها مما هيأ لهم احتمال غرقها .. فأذاعوا النبأ الخاطيء ...

وانتهت هذه المعركة « سمت ١٠٢٢ » .

وظلت الاسكندرية هدفا للغارات الجوية المركزة التي استمرت الى وقت ايقاف اطلاق النيران .

وحدث في يوم الثلاثاء ٦ نوفمبر أن زار القنصل العام الامريكي بالاسكندرية (وهو المستر دوش بيرن) محافظ المدينة ليطلب الســـماح بسفر ١٥٠ من رعايا الولايات المتحدة يوم الجمعة أو الســـبت التاليين عن طريق الصحراء الغربية الى ليبيا على أن يبحروا منها الى أمريكا .

وكان هؤلاء غير الذين سبق أن تقرر ابحارهم رأسا من مينـــــاء الاسكندرية .

وبعد انتهاء وقف اطلاق النيران اســـتمرت حالة الطواريء قائمة كمظهر احتياطي للسلامة وخاصة بعد أن ظهرت كل صـــور الغدر من جانب المعتدين الامر الذي أدى الى استكمال وتحسين الدفاعات وزيادة كفايتها .. مع المضي في برامج التدريب وفقا لما وضعته أجهزة التدريب على ضوء التجارب والدروس المستفادة من العمليات الأخيرة ، وكانت الروح المعنوية للقوات المسلحة والشعب في أوجها بعد أن كسبت مصر هذه الجولة الدامية وقهرت كل محاولات العدوان في تحقيـــق اهدافه بالاسكندرية وعلى الأخص بعـــــد أن تجاوبت كل القطاعات والقواعد والمناطق العسكرية بالأسلوب العنيف نفسه فيالاصرار علىالدفاع وعلى

المقاومة المسلحة ضد نشاط العدو الذى لم يتوقف فعلا حتى بعد انتهاء العمليات من الناحية الرسمية .. وبقيت الاسكندرية محتفظة بمعنوياتها وقدرتها ، وسارت فيها الحياة رتيبة منظمة دون أن يكون للعمليات الجوية والبحرية التى دارت فى محيطها أى أثر ســوى ماتركته هذه المدة من الشعور بالعزة والكرامة والفخر الكبير .. وكانت المشكلة التى بدأت تطل برأسها فى ذلك الوقت هى صدى الاشاعات الخاصةبشئون التموين وعلى الأخص بالمواد البترولية والســلع الاستهلاكية الغذائية كالشاى والبن .. وكان سبب ظهور هذه المشكلة أو تلك الاشاعة فى الاسكندرية بالذات هو أنه قد وصلت برقية خارجية الى احد التجـــار اليهود المتخصصين فىتجارة المواد التموينية وخاصة الشاى. .وتضمنت البرقية توجيه النصيحة أو التوصية للتاجر لكى يجمع كل المعروض من الشاى فى الأسواق لتخزينه .. ولسوء حظه أن ادارة التعبئة كانت قد أعدت كل الترتيبات الخاصـــة بحصر ومراقبة المواد التموينية وباقى المواد التى تدخل أو تؤثر فى المجهود الحربى وفى شئون المعيشة اليومية للأفراد .. وبذلك لم تطل فترة مفعول تلك الاشاعة .. وان كان من الواجب الاشارة اليها تسجيلا لصورة من صور المعركة التى لم يقتصر لونها على الطابع العسكرى المفهوم .. بل كانت شاملة تناولت كل جوانب الحيـــاة لكل فرد .. واشترك فيها الشعب بكل امكانياته وجهوده .. ورب ســائل يسأل عن مدى العلاقة بين تخزين سلعة كالشاى والمعركة الدامية التى تخوضها القوات المسلحة فان الشاى أو الدخان أو البن أو السكر أو الخبز او البترول .. كلها تعتبر سلعا استراتيجية ذات أثر مباشر على العمليات الحربية وعلى سلامة الجبهة الداخلية وعلى كفاية الجبهـــة المعنوية للقوات المسلحة والشعب على السواء .. فلم تعد المعـــركة مقصورة على الصدام المسلح .. **بل أصبحت عملية التموين والترفيه من أهم ما تتأثر به المعركة المسلحة** .. ولذلك لم تلجأ مصر الى اتباع أسلوب توزيع المواد البترولية بالبطاقات كما فعلت اسرائيل وبريطـــانيا وفرنسا قبل العدوان وفى أثنائه .. وكان هذا الاجراء لبقاء تداول المواد البترولية مفتوحا للجميع ذا أثر معنوى بالغ فى ثقة الشـــعب بحكومته وتقديره لمدى سعيها لتوفير مطالبه .. فازدادت حماسة الشعب فى قتاله واستعداده وتضحيته مما قضي على محاولات العـــدوان التى استهدفت ابعاد الشعب عن حكومته والاطاحة بها كما أعلن ذلك ايدن رسميا فى مجلس العموم عندما حدد غايته من ابعاد «جمال عبد الناصر» وكان مسلك الحكومة فى عملية التموين بالبترول ردا ايجابيا على الحملة النفسية التى مارستها دعايات المعتدين بأن مصر قد خسرت كل مواردها

البترولية فى سيناء وأنها لم تعد قادرة على الافادة من مواردها فى منطقة البحر الأحمر بالغردقة ورأس غارب وذلك بسبب بقاء السفن الحربية البريطانية فى مياه البحر الأحمر لفرض الحصار على مصر .

وكان رصيد مصر من المواد البترولية كافيا لمواجهة مطالب الشعب فى هذه الظروف الدقيقة وذلك بالنسبة للاجراءات التى سبق اتخاذها منذ اعلان التأميم فى يوليه .

وبهذا فشلت حملات الدعاية وحرب الاعصاب التى لجأ اليها العدو بعد فشل محاولاته المسلحة فى القضاء على معنوية ومقاومة الشعب .

وعاشت الاسكندرية بالرغم من الحصار البحرى الذى فرضته القوات المعتدية عليها حتى بعد انتهاء اطلاق النيران .. عاشت المدينة فى رخائها المعروف .. وكانت دعايات العدو ذات أثر عكسي مباشر اذ استطاعت المدينة أن تدرك غايات العدو وتكشف عجز وضعف أسلوبه فى الدعاية التى أراد من ورائها اثارة أهالى الاسكندرية فيما بينهم باعتبار أن فيهم نسبة كبيرة من الاجانب من ذوى الجنسيات المختلفة .. وكان العدو يثير هذه النعرة على أمل « توريط » مصر اذا اصطدم الشعب مع الاجانب مما يثير مزيدا من المتاعب السياسية عليها فى الوقت الذى لاتزال فيه أزمة العدوان معروضة على المنظمات الدولية .

وانتهت كل هذه الجهود بالفشل .. وأضافت الاسكندرية صفحة جديدة لامجادها الكثيرة في سجل التاريخ والجهاد .

الفصل السادس

معركة القاهرة

ظلت القاهرة رمزا قائما لتخطيط الدعوة التحررية ومركزا دائما ينبض بالحركة القومية .. فكانت بذلك هدفا رئيسيا لجميع الحركات والمناورات والمؤامرات المضادة التى كان يديرها أعداء التحرر الذين كانوا يتربصون بمصر الدوائر للقضاء عليها ، فقد كانت هى القوة الكبرى التى اعترضت مؤامراتهم وقضت عليها فى الميادين .

فقد كانت القاهرة ذات معان كثيرة فى نظر أعدائها .. فالقاهرة تعنى جمال عبد الناصر ونظام الحكم الذى اقامه بثورته التحررية .

وهى معقد الآمال العربية بل وآمال الكتلة الآسيوية الافريقية .

ومركز نشاط الأحرار من كل أرجاء الارض الذين لم يستطيعوا ممارسة حرية كفاحهم ضد قوى البغى والاستعمار فى بلادهم .

ومبعث الدعاية السياسية الضخمة التى يشنها صوت العرب .

ومصدر اشعاع القوى المعنوية والثقافية والدينية للعالم الاسلامى .

ورمز للكفاح المثالى الذى حقق انتصاراته النظيفة بعزم وقدرة قادته .

كانت القاهرة تعنى شيئا كبيرا فى تقدير المعتدين .. ولذلك كانت الحملة العدوانية تهدف فى الاصل الى القضاء على القاهرة والاطاحة بحكومة الثورة التى حققت المعجزات فى أربع سنوات وأرغمت بريطانيا على الجلاء عن مصر والسودان .. وأممت شركة القنال .. وخلقت جيشا وطنيا قويا فى تسليحه وتنظيمه وتدريبه وأصبحت القاهرة صوتا

قويا تسمعه أطراف الارض فى كل وقت .. وكانت القاهرة تحتضن فى رحابها كل حركات التحرر فى الوطن العربى بصفة خاصة وفى الكتلة الآسيوية والافريقية بصفة عامة .. وكانت القاهرة الداعية الى فلسفة جديدة فى دستور السياسية الدولية .. كانت الداعية الى الحياد الايجابى ولاقت دعوتها ترحيبا وتأييدا أزعج الاستعمار فى الشرق والغرب .. كانت القاهرة أملا للأحرار .. ورمزا للسلام الصحيح النظيف .. ومطرقة جبارة تهدد رءوس الأفاعى الاستعمارية والاستغلالية .. فكان القضاء عليها وتحطيمها هو الأمل المشترك الذى اجتمع عليه المعتدون **ليثأروا مما أضاعته منهم القاهرة .**

فأعدوا لها حملتهم العسكرية فى البر والبحر والجو ومن الشرق والشمال والغرب .

وأعدوا حملتهم الارهابية فى الحرب النفسية التى وجهوها من كل محطاتهم الاذاعية العلنية والسرية .

وأعدوا خطتهم للقضاء عليها وخنقها اقتصاديا بحصارها بحرا وبرا وجوا .

وحشدوا لها كل ما استطاعوا .. وظنوا انهم بذلك قادرون عليها.

ولهذا كان نصيب القاهرة الذى لاقته فى العدوان .. مضاعفا من تركيز كل الوان الهجوم .. فقد اغارت عليها قاذفات القنابل النفاثة طول مدة العدوان .. والقيت عليها القنابل والصواريخ والنابالم والقذائف الحارقة ودمرت محطة الاذاعة وتعرضت المطارات والثكنات العسكرية والمساجد والكنائس والمدارس والمنازل ومقابر الموتى وحدائق الأطفال والعوامات والزوارق النهرية للضرب المتواصل .

وكان نصيب القاهرة الذى خططه العدو لها أن تكون نقطة اللقاء بين القوات الهابطة عليها من الشمال بعد تطويق الاسكندرية مع القوات الزاحفة اليها من الشرق بعد احتلال السويس .

وكان من نصيب القاهرة .. حملات الاذاعة والاثارة وحرب الشائعات لاضعاف روح المقاومة فى عاصمة الجهاد وفى مركز قيادة الحركة القومية العربية وقيادة الحركة التحررية الآسيوية الافريقية .

فكانت القاهرة ميدانا أماميا للمعركة الشاملة وميدانا خلفيا لمعركة القنال ومعركة سيناء ومعركة الاسكندرية .. ومعركة شرم الشيخ .

ولهذا كان الدفاع فى القاهرة مخططا ليواجه كل هذه القوى الهجومية علاوة على المسئولية الضخمة التى تحملتها القاهرة لتلبية مطالب المعركة فى جميع جبهاتها .. وكانت مسئولية تموين الشعب والترفيه عنه وحشد قواه وتنسيق الانتاج .. وترقية مرافق الخدمات العامة ودعم الروح المعنوية لا فى مصر وحدها .. بل فى كل ارجاء العالم العربى الذى شاركنا الشعور وتعاون معنا بقدر طاقته .. وضرب مثلا عمليا رائعا لمعنى المشاركة الوجدانية فى اطار قوميتنا التى اتضحت معالمها فى صدر السياسة الدولية منذ بدء العدوان على القاهرة .. اى على سيناء ومنطقة القنال .. اى على مصر كلها وعلى العالم العربى كله .

كانت القاهرة مسئولة عن توفير الغذاء والكساء والسلاح والذخيرة كما كانت مسئولة عن تأمين الملاحة فى قناة السويس وتوفير المرشدين والاداريين والفنيين لادارة مرفق القناة بكفاية أكثر وضوحا وتجسيما عما كانت عليه حالة المرفق فى عهد الشركة المنحلة .

وامتدت مسئولية القاهرة الى حصر القوى العاملة وقياس الامكانيات الشاملة المادية والمعنوية واستغلال كل هذه الامكانيات فى أحسن صورة وأقصي طاقة .

وتناولت هذه المعانى .. **تنفيذ قانون التعبئة دون اعلانه** .. وتدبير الحلول التبادلية لمواجهة احتمالات ومضاعفات المشاكل المتوقعة بسبب خطر الحرب .. التى كان على كل شعب مصر أن يخوضها بالرغم عنه لحساب مصلحته الخاصة وكرامته القومية .

وكان معنى ذلك كله القيام **بتحقيق مايأتى :**

* امداد القوات فى شرم الشيخ والاسكندرية وأم قطف .

* وتنسيق خطط حراسة شواطىء مصر الشمالية والشرقية وتنظيم الوقاية الجوية لأجواء المعارك المتشعبة التى قدر لقواتنا أن تخوضها .

* واخلاء المواد المكدسة على أرصفة جمارك الاسكندرية والسويس وبور سعيد ونقلها الى داخل البلاد وخصوصا المواد الاستراتيجية وبالذات تلك التى كانت معرضة للاشتعال أو الانفجار اذا تعرضت للغارات الجوية أو لأعمال التخريب (كالمواد الكيماوية والوقود والخشب ..) .

* وكذلك تنظيم مرافق المواصلات الحديدية والنهرية والبرية لتكون

كل منها وسيلة تبادلية للأخرى حتى تظل الصلة والعلاقة المادية بين أطراف الجمهورية قائمة فى أمن وسلام .

والاحتفاظ برصيد كاف من مواد التموين وتنظيم صرفه وبيعه والقضاء على أسباب قيام السوق السوداء .. لكى لا ينشغل الشـــعب فى تدبير أسباب عيشه حتى يتفرغ بكل طاقته وروحه للمعركة ومطالبها ، وتأمين النزلاء الأجانب والمحافظة على سلامة كل من يعيش على أرض مصر .

هذا كله بعض المعانى التى كانت تواجه القاهرة لكى تضـــع لها تخطيطا وتفسيرا وحلولا للتنفيذ .

أما من الناحية العسكرية البحتة فقد قسمت القاهرة نطاقات أو قطاعات دفاعية لتواجه كل الاحتمالات التى كان العدو يفكر فى تنفيذها سواء بانزال قواته فى السويس أو بور سعيد أو الاسكندرية أو من الجو بالهابطين بالمظلات .

ووزعت وحدات المدفعية المضادة للطائرات الثقيلة والخفيفة على المرافق العامة والمطارات ومداخل المدينة .

وتولت وحدات الحرس الوطنى أعمالا كثيرة فى حراسة المنشآت وفى اعداد المراكز الدفاعية .. وقامت كل الهيئات الحكومية والاهلية بتدريب أفرادها فى الحدائق والأندية والشوارع والميادين تحت اشراف مدربين من رجال الجيش .

ووزعت الاسلحة بسخاء غير مألوف على كل من طلب حمل السلاح وكنت ترى الثقة بالنفس وبالحكومة تشع من عيون كل المواطنين **وذابت المخاوف من وقوع أى حوادث وتلاشت أمام وطنية الأفراد الذين جمعتهم رغبة واحدة ومعنى واحد للعمل فى صعيد واحد لهدف واحد ضد عدو واحد** .. فلم يكن هناك أى متسع لقيام احتمالات أو معان أخرى .. فكان كل فرد هو الحارس على نفســـه وعلى عائلته وجيرانه وشارعه .. وبلده .

وفى الحقيقة .. لم يكن كل من حمل السلاح قادرا على استخدامه على الوجه الاكمل .. وكان هذا هو سبب القلق الذى ران لفترة على النفوس ، ولكن سرعان ما اتجهت هذه الجموع الى ســـاحات التدريب الشـــعبية التى كانت تعمل ليلا ونهـــارا فى كل الأحياء والمناطق كما أوضحنا .

وكانت أسراب المتطوعين والمتطوعات تتجه الى مراكز نقل الدم وتنشط فى تقديم الخدمات العامة فى أثناء المعركة سواء بالمساهمة فى تنظيم توزيع مواد التموين أو فى أعمال المرور أو الارشــــاد الى المخابىء العامة أو مراقبة تنفيذ تعليمات الدفاع المدنى واطفاء الحرائق .

كانت القاهرة تمثل جهاد القوات المسلحة وجهاد الشعب ممثلا فى رجاله ونسائه واطفاله .

كانت كل المعارك التى دارت فى سيناء ومنطقة القنال ومياه البحر الأبيض ومياه البحر الأحمر تنعكس فى حينها على القاهرة .

ووسط هذه المعارك . وفى تلك الظروف كان الرئيس جمال عبد الناصر يرى مايدور حولنا فى اسرائيل وقبرص وفرنســــا وبريطانيا .. كان يرى .. على وهج المصابيح المشتعلة التى كانت الطائرات المغيرة تلقيها على مطار القاهرة الدولى .. كان يرى كل المؤامرة ، وكان الوهج يكشف فى أفكاره كل منطقة الشرق الأوسط .

ودعا الرئيس مجلس الوزراء فى أول نوفمبر ، ثم صدر قرار جمهورى باعلان حالة الطوارىء بعد أن رفضت مصر الانذار الفرنسي البريطانى وتولى الرئيس بمقتضي هذا القرار جميع السلطات الاستثنائية المنصوصة عليها فى القانون ٥٣٣ لسنة ١٩٥٤ بمقتضي الأحكام العرفية .

وفى يوم الجمعة ٢ نوفمبر كانت المعركة فى سيناء فى مرحلتها الدقيقة اذ كانت قواتنا قد بدأت انسحابها العام .. وكانت الطائرات البريطانية والفرنسية وأساطيل الدولتين تواصل غاراتها بعنف وشدة متزايدتين .

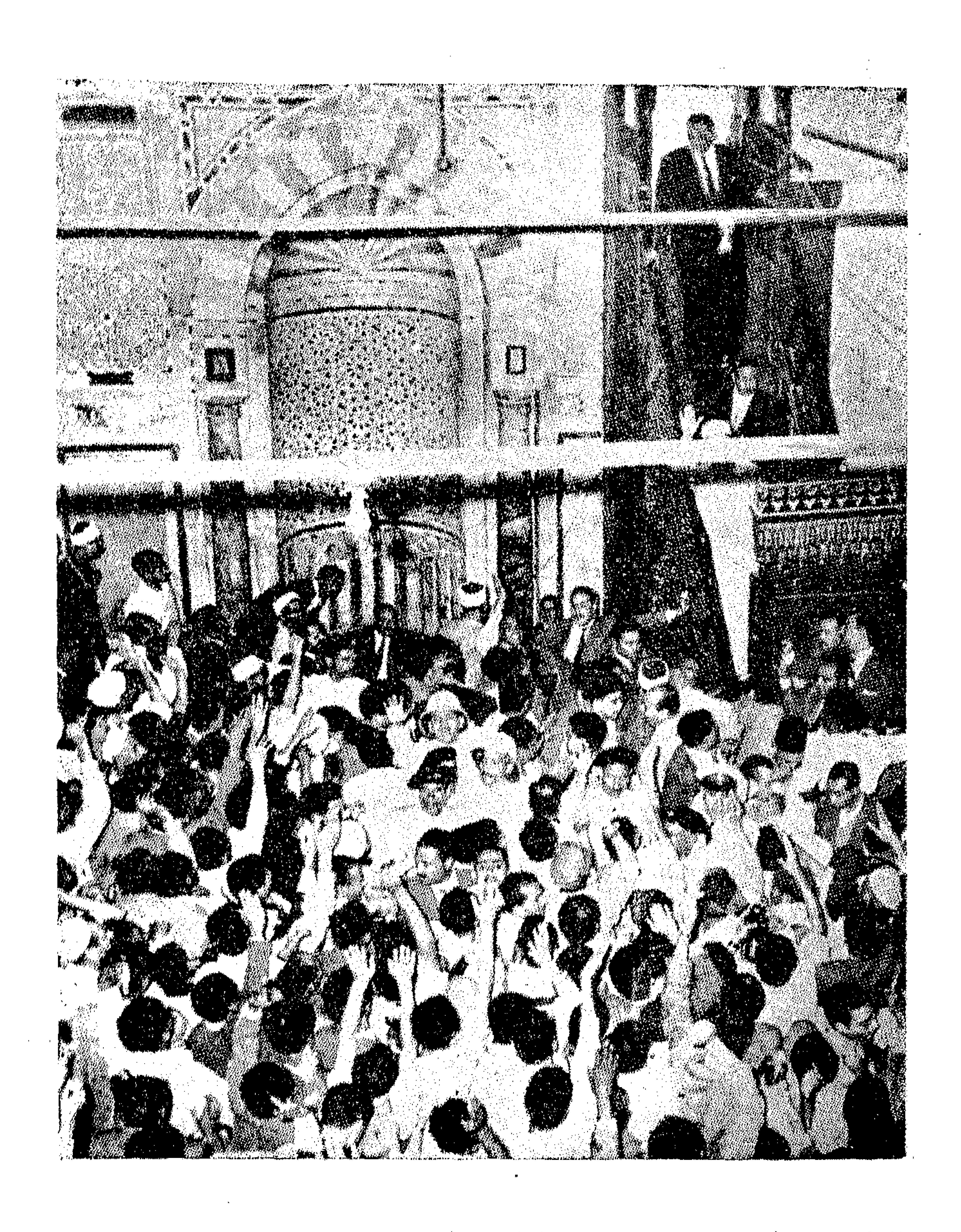
وكانت حملة الدعاية والحرب النفسية قد بلغت ذروتها ، وكان لابد أن يعرف الشعب كله حقيقة الموقف عن المسئول الأول .. من رئيس الدولة وقائدها جمال عبد الناصر الذى أوضح الموقف وحدد الطـريق الذى تقرر علينا أن نسلكه فى خطابه التالى ..

خطبة الرئيس
يوم الجمعة ٢ نوفمبر ١٩٥٦ في الجامع الأزهر

« فى هذه الأيام التى نكافح فيها من أجل حريتنا ، حرية شعب مصر ومن أجل شرف الوطن أحب أن اقول لكم ان مصر دائما كانت مقبرة للغزاة وان جميع الأمبراطوريات التى قامت على مر الزمن انتهت وتلاشت حينما اعتدت على مصر ، ولكن مصر باقية متماسكة متحدة متكاتفة وانتهى الغزاة وانتهت الأمبراطوريات وبقيت مصر وبقى شعب مصر واليوم أيها الاخوة ونحن نقابل عدوان الظلم والاستعمار الذى يريد أن ينتهك حريتنا وانسانيتنا وكرامتنا ونحن نقاوم هذا العدوان ، أطلب من الله أن يلهمنا الصبر والثقة والعزم والتصميم على القتال ويقوى قلوبنا جميعا ونفوسنا حتى ندافع عن وطننا .

ولقد أعلنت باسمكم بالأمس أننا سنقاتل ولن نسلم ولن نعيش عيشة ذليلة مهما أخذوا فى غيهم ومهما استمروا فى خطتهم العدوانية وان الموقف اليوم أحسن مما كان منذ يومين .

لقد كانت المؤامرة أن تستدرج جيش مصر الى شبه جزيرة سيناء وتترك مصر دون جيشها حتى يستطيعوا أن يفعلوا ما يريدون ، وفى يوم الاثنين ٢٩ أكتوبر هجمت اسرائيل وأعلنت أنها تغزو الاراضي المصرية وأعلنت بريطانيا « الشريفة » التى تتبع أساليب الشرف أنها لن تستغل الاشتباك بين مصر واسرائيل لمصالحها أو لتنفيذ نواياها ، واتجهت قواتنا المسلحة الى سيناء لترد جيش اسرائيل وتكيل له الصاع صاعين ، وفى خلال ٢٤ ساعة كانت قواتكم المسلحة تنزل الخسائر الفادحة بجيش اسرائيل ولم تستطع اسرائيل أن تطنطن فى هذين اليومين كما كانت تطنطن فى الايام السابقة ، ولقد قاتل كل فرد من أفراد قواتكم المسلحة فى سيناء قتالا مريرا بعزم وتصميم .



الرئيس جمال عبد الناصر فى خطبة الجمعة بالازهر يوم ٢ نوفمبر سنة١٩٥٦

هذا وكان الموقف يوم الثلاثاء فى أن قواتنا المسلحة كلها تواجه اسرائيل ، وفى ذلك اليوم قــــدمت بريطانيا انذارا لمصر بأن تقبل احتلال بريطانيا وفرنسا للأراضي المصرية وأنهما ستنفذان ذلك بالقوة اذا لم تقبل مصر هذا الانذار خلال ١٢ ساعة ، وهذا أمر لا تقبله العزة والشــرف والكرامة .. فأهون علينا أن نموت دون أن نقبل طوعا احتلال فرنســا وبريطانيا جزءا من أراضينا ، فشرف الوطن كتلة واحدة وكل لا يتجزأ ولهذا رفضنا الانذار رفضا باتا وحاسما ، وتنبهنا الى المؤامرة التى دبرتهــا بريطانيا وفرنسا واسرائيل على أن تقوم اسرائيل بالهجوم فى ســـيناء فتتصــــدى لها قواتنا المسلحة فيخلو الجو لبريطانيا وفرنســا فينفردوا بالمواطنين داخل البلاد .

وفى يوم ٣٠ و ٣١ أكتوبر قامت قواتنا الجوية بالسيطرة على أرض المعركة فى سيناء ومنطقة القنال وأسقطنا ١٨ طائرة اسرائيلية ، أى مايعادل ثلث السلاح الجوى الاسرائيلى ، وكان أفراد القوات الجوية المصرية يعملون ليلا ونهارا وباستمرار ولم نخسر فى هذه المعارك سوى طائرتين واستشهد طياران فى هذا القتال ، ولكن الله وفقنا والحمد لله .

وبعد الغارة الاولى البريطانية الفرنسية وجدنا أنفسنا نحارب فى جبهتين جبهة اليهود على الحدود وجبهة الاستعمار الفرنسي الانجليزى فى القنال فكان لابد من اتخاذ القرار الخطير وهو توحيد جبهتنا ، فأصــدرت الاوامر الى القائد العام للقوات المسلحة لسحب جميع القوات المســلحة المصرية من سيناء الى غرب قناة السويس **حتى تكون الى جانب الشعب** لملاقاة قوات الاستعمار وقد تم انسحاب قواتنا المسلحة من منطقة سيناء وتركت قوات انتحارية ، ورجعت جميع قواتنا الى القنال والدلتا ونحن فى انتظار الانجليز والفرنسيين فى الدلتا .

ويجب أن تعلموا جميعا أن قواتنا ليست معزولة ، وبذلك أحبطنا المؤامرة الماكرة التى قامت بها بريطانيا وفرنسا بالاتفاق مع اسرائيل لعزل القوات المسلحة المصرية عن الشعب ، وكانت الخطة هى ضرب المدن المصرية بالطائرات وتدمير الجيش فى سيناء ، ولكننا كشــــفنا الخطة وحشدنا قواتنا المسلحة لصدها ، وقد وصلت قواتنا الرئيسية الى القنال تاركة القوات الانتحارية فى شبه جزيرة سيناء ، وأحب أن أقول لكم ان الجيش سليم وسينضم الشعب والجيش الآن غرب القنال ، وقــد وحدنا جبهاتنا كلها فى جبهة واحدة فى قنال السويس .

ولقد سررت حينما رأيت امس واليوم كتائب التحرير والحــرس

الوطنى والمتطوعين يتدفقون الى مكاتب الحرس الوطنى وستحارب كتائب التحرير والحرس الوطني جنبا الى جنب مع الجيش ومن قرية الى قرية ومن منزل الى منزل .

وقد كافحت الشعوب فى الحرب العظمى وانتصرت فنحن اليوم نقرر مستقبل وطننا والموقف اليوم والحمد لله أحسن مما كان ، فسنقاتل فى كل مكان ولن نسلم وسيكون شعار كل فرد منا فى القوات المسلحة والشعب ((**سنقاتل ولن نسلم أبدا**)) .

نحن اليوم مستعدون للقتال ، وأنا فى حرب فلسطين كمثل من الامثلة كنت موجودا فى الفالوجا لمدة خمسة شهور وكانت الغارات متوالية وكان الهجوم مستمرا ولم أكن فى الخنادق وانما كنت فى الخلاء ، ومع ذلك لم أمت لأن العمر واحد ، ولا يستطيع أحد أن يعرفه سوى الله سبحانه وتعالى .

وأنا فى القاهرة سأقاتل معكم ضد أى غزو ، وسنقاتل الى آخر نقطة دم **لن نسلم أبدا وسنبنى بلدا وتاريخا ومستقبلا** ، هذا شعار كل مصرى ،

واذا كانت بريطانيا تعتبر نفسها دولة عظمي وتعتبر فرنسا نفسها دولة عظمى فسنعتمد على الله وعلى انفسنا وسنجاهد ونكافح ونقاتل وننتصر باذن الله .

وفقكم الله والسلام عليكم .

ويكفى لكى نعرف سر قوتنا المعنوية أن ندرس مضمون هذا الخطاب ونحلل كلماته التى احتوت أصدق الايمان والثقة والعزة بالنفس والعزم على الجهاد كما أمر الله ضد العدوان والظلم والغدر والخديعة .

وفى هذا الخطاب الذى ألقى فى أقدم مركز من مراكز الاشعاع الاسلامى العلمى رأينا بين هذه الكلمات معانى تبادل الثقة بين الحاكم والمحكوم وأن الجميع سواء فى المعركة .

كان هذا هو دستورمعركة القاهرة التى كانتبحق معركة الوطن .. والتى انتهت بانتصارنا والافادة من العدوان في كثير من الميادين بكثير من المعاني والدروس والنتائج .



تخريب قوات اسرائيل لخطوط السكة الحديد فى سيناء قبل انسحابهم منها

الفصل السابع

الخاتمة

وبعد تقديم هذه الصورة المشرقة عن بطولة مصر بجيشها وشعبها فى معركة سيناء والقناة نجمل آثار هذه المعركة ونكشف نتائجها فى الفصل التالى : —

أهداف العدوان :

لقد استهدف العدوان .. كما ورد فى بيانات رؤساء وزراء الدول الثلاث : القضاء على حكومة الثورة ، والتخلص من الرئيس جمال عبد الناصر ، وتأمين الملاحة فى القناة ، وذلك بالاشراف الدولى عليها ، وعدم تمكين مصر من الاشراف وحدها على قناة السويس .

وبذلك تتاح الفرصة لمرور سفن اسرائيل بالقناة ، فيزول عنها الحصار الاقتصادى الذى أوشك أن يقضي عليها ، وكان سببا فى بقاء اسرائيل عالة على الغرب ، الامر الذى لا يبدو طبيعيا لتقوم عليه مثل هذه الدولة .. وأن تحريرها من الحصار العربى انما يخدم بصفة خاصة دافعى الضرائب الأمريكية الذين لايزالون يرسلون تبرعاتهم لمعادلة ميزان اسرائيل الاقتصادى .

كما استهدف العدوان أيضا « اذلال مصر » بالقضاء على قوميتها وثورتها القومية التى امتدت الى كل بقاع الوطن العربى ، وكل أنحاء العالم المناهض للاستعمار فى أفريقية وآسيا . ولو نجح العدوان على مصر لأدى الى تفكك عرى التعاون العربى وتمزق الأمة العربية ورجوعها القهقرى الى أسوأ مما كان عليه حالها . فيسهل على الاستعمار والصهيونية

التوسع والتوغل فى الشرق الاوسط دون اية مقاومة أو صعوبة . اذ كانت هذه القوى الباغية ترى ان قوة مصر هى الدرع الواقى للقومية العربية ولكل الحركات التحريرية الممتدة من اندونيسيا وكينيا الى الجزائر والمغرب الأقصى .

وبمعنى آخر كان هدف العدوان الثلاثى على مصر .. اعادة استعمار الشرق الأوسط كله بطريقة جديدة تشترك فيها الصهيونية العالمية التى تحلم بقيام امبراطوريتها من النيل الى الفرات .

وتحقيق الأهداف الآتية لكل من الدول المعتدية الثلاث :

اولا ــ **بالنسبة لبريطانيا :**

١ ــ تحطيم مصر سياسيا والتخلص من حكومة الثورة .

٢ ــ اعادة احتلال القاعدة فى منطقة القناة .

٣ ــ استرداد المركز التقليدى فى الشرق الأوسط بعد ان تعرضت لحركات تحريرية أخرى فى كل المنطقة بعد جلائها عن مصر .

٤ ــ قطع الصلة بين مصر وكل من ليبيا والسودان والأردن . حيث كانت تأمل بريطانيا الانفراد بالعمل فى هذه الدول لحسابها الخاص .

٥ ــ القضاء على فكرة التعاون الاقتصادى بين مصر وروسيا .

٦ ــ استرجاع مصالحها فى استغلال قناة السويس بالغاء فكرة التأميم « القومية » .

٧ ــ القضاء على « صوت العرب » .

ثانيا ــ **وبالنسبة لفرنسا :**

١ ــ استرجاع مصالحها فى استغلال شركة القناة والغاء قرار التأميم .

٢ ــ القضاء على صوت العرب .. مركز الدعاية السياسية لاثارة حركة التحرير فى الجزائر .

٣ ــ التخلص من حكومة الثورة كمثل تضربه لحكومات شمالى افريقية .

٤ ــ ازالة مركز قيادة الجزائريين الأحرار فى مصر مما يضعف مقاومة الجزائريين فى بلادهم ضد قوات فرنسا .

٥ ــ شد ازر اسرائيل عن كثب .

٦ ــ البقاء بالقرب من المناطق التى كان لها فيها صلات ودية وعلاقات روحية (لبنان) .

ثالثا ــ وبالنسبة لاسرائيل :

١ ــ ارغام مصر على الصلح معها .. ومن ثم الصلح مع باقى الدول العربية .

٢ ــ تحقيق حرية الملاحة فى خليج العقبة .

٣ ــ تحقيق حرية المرور فى قناة السويس لفك الحصار الاقتصادى عليها .

٤ ــ التخلص من اللاجئين فى قطاع غزة وضم هذا القطاع اليها .

٥ ــ تحطيم مواصلات سيناء وكل المرافق التى بها ، ضمانا لتعجيز مصر عن محاولة حشد قوات اخرى على حدود اسرائيل تهددها مستقبلا .

٦ ــ تحطيم القوة العسكرية المصرية للتفرغ لتسوية باقى اطماعها على حساب الدول العربية الأخرى .

نتائج العدوان

كان هذا العدوان فى الواقع بمثابة نقطة تحول كبرى فى تاريخ العالم كله وليس فى تاريخ مصر وحدها نظرا للنتائج والتطورات المختلفة السريعة التى تمت ونمت وظهرت **آثارها : ــ**

(١) المكانية :

فى مصر

وفى الشرق الأوسط

وفى العالم كله

(ب) والموضوعية :

فى المضمار الاقتصادى

وفى المضمار السياسي

وفى المضمار العسكرى

وفى المضمار المعنوى

ويمكن ايجاز الحقائق التى تمخض عنها العدوان فيما يلى ، اذ كانت هذه النتائج عكسية تماما بالنسبة لما استهدفته الدول المعتدية الثلاث فمثلا :

تخلص العالم من ايدن وجى موليه .. وبقى جمال عبد الناصر ، وتعرضت بريطانيا وفرنسا للدمار الاقتصادى ، وانعكست نتائج العدوان عليهما وعلى كل أوربا ، وبقيت مصر صامدة بل ازدادت صلابة وثقة بنفسها .. وفرضت ارادتها وكلمتها على العالم .. وانسحبت القوات المعتدية وتطهرت القناة ، وتولت الادارة المصرية وحدها الاشراف عليها . وتسلمت مصر الرسوم الكاملة للمرور فى القناة ، وتبلور الوعى العربى الذى تجاوب بصورة ايجابية مع مصر فنسفت أنابيب البترول فى سورية والأردن وليبيا .. كما نسفت آبار البترول فى الكويت ، واشتدت مقاومة الاحرار فى الجزائر ضد فرنسا .. واشتد ساعد الكتلة الآسيوية والافريقية فلم تعد مقصورة على الرءوس السياسية للدول الأعضاء ، بل اصبحت صورة مجسمة كاملة الأعضاء .. واعيد تخطيط الاقتصاد المصرى على ضوء المعركة وما كشفته من الحقائق التى لم يكن ممكنا اكتشافها على هذه الصورة الواضحة بدون اجتياز مثل تلك المحنة .. وتم تمصير المؤسسات الاقتصادية الكبرى .. وتخلصت البلاد من العناصر الاجنبية غير المرغوب فيها . وبذلك تطهرت الجبهة الداخلية من عناصر الخطر عليها .

كذلك حققت المعركة خلق الوعى القومى وتنميته ، لأن البلاد مارست الدفاع الشامل عن كرامتها واستقلالها لحسابها الخاص لأول مرة فى تاريخها منذ عهد الفراعنة .. فحقق الشعب نصرا كبيرا لم يكن من السهل تحقيقه لولا قيام هذه المعركة الشاملة .

وكان من نتائج هذا العدوان ايضا أن تزعزعت ثقة الرأى العام فى كل بلاد الشرق الأوسط وفى دول الكتلة الآسيوية الافريقية بالدول

الغربية .. حتى بأمريكا التى وقفت فى بدء المعركة وقفة كريمة ضـد حلفائها .. ولعلها أرادت بذلك أن تكسب العرب فى تلك الفرصة الى جانبها خشية أن يفلت منها الزمام بعد اعلان روسيا والصين الشعبية عن استعدادهما لارسال متطوعين ، علاوة على تقديمهما جهودا مادية ايجابية وتأييدا سياسيا وأدبيا كاملا لمصر وللعرب أجمعين ، بصرف النظر عن حقيقة النوايا المتوردة .

وكان من أثر هذا ايضا أن حاولت الولايات المتحدة أن ترث بريطانيا فى تلك المنطقة .. فأوجدت مشروع ايزنهاور لمساعدة دول منطقة الشرق الأوسط التى تطلب معونة أمريكا ضد العدوان الشـيوعى .. وبالطبع قوبل هذا المشروع على هذه الصورة بالرفض من مصر وسورية واليمن ، ولم ترحب به السودان ، ولم تعلن المملكة السعودية والأردن رسـميا قبوله .

فانشطرت منطقة الشرق الأوسط .. من جراء هذا المشروع الذى وضعه ايزنهاور ليجمع بين دفتيه كل الشرق الأوسط .. وأفادت الكتلة الشرقية من جمود وعناد السياسة الغربية ، وبذلك ازداد التوتر من جديد بسبب هذا التطور الذى نجم عن مولد مشروع ايزنهاور .. وكان الأردن أول ميدان للصراع السياسي بين فكرة فرض هذا المشروع وبين النزعة التحررية ، وذلك بعد أن أعلنت حكومة النابلسي عزمها على تبادل التمثيل السياسي بدرجة سفارة مع الاتحاد السوفياتى ، وبعد أن اعلنت رفضها لأية اعانة مشروطة من أمريكا ، وما تلا ذلك من أحداث بالأردن .

وكان اشتراك الولايات المتحدة فى حلف بغداد نتيجة مباشرة للعدوان على مصر ، وبمعنى آخر نتيجة ملازمة لتطبيق مشروع ايزنهاور .. اذ أن اشتراك أمريكا فى اللجنة العسكرية للحلف كان السبيل المادى الصريح لتقديم المعونة العسكرية للدول الأمريكية للدول التى قبلت مشـــروع ايزنهاور ، وهى دول حلف بغداد (علاوة على ما قد ينضم اليها مستقبلا من الدول الأخرى كلبنان والأردن ، ولو بصورة عملية وأن تكن غـير رسمية) .

وكان من نتائج فشل العدوان على مصر .. أن اتجهت السياســة البترولية الدولية العليا الى وضع خطة بناء ناقلات ضخمة من حمولة ٨٠٫٠٠٠ ، ١٠٠٫٠٠٠ طن لتكون وسيلة تبادلية فى المستقبل لنقل البترول الخام من منطقة الخليج العربى عن طريق رأس الرجاء الصالح الى أوربا ، بدلا من مرور البترول بالناقلات العادية عبر قناة السويس .. ومعنى ذلك

ايضا اعادة تخطيط مصانع انتاج السفن . وكذلك اعادة بناء المــوانى الاوربية كلها لتستقبل هــذه الناقلات الضخمة التى خطط لهــــا البدء فى عملها عام ١٩٥٩ .. اذ أن الموانى الموجودة لا تصلح لتموين وتفريغ تلك الناقلات الضخمة التى يزيد غاطسها تحت الماء على أعماق الموانى الحالية .

« كما اتجهت النية أيضا الى انشاء خطوط انابيب بترول جديدة تمتد من حقول الخليج العربى الى البحر الأبيض عن طريق كركوك فى العراق الى الاسكندرونة عن طريق تركيا ، وأن هذا الخط سيتكلف ٥٠٠ مليون دولار .. ولكنه يتفادى المرور فى سورية وخاصة بعد اتحادها مع مصر .. اذ سيقع بأكمله فى أراضي العراق وتركيا ، وهما وقتئذ حليفتان فى منظمة حلف بغداد .

« وأن يمتد هذا الخط من كركوك الى مناطق البترول على الخليج العربى ، وسيتكلف ٥٠٠ مليون دولار أخرى . وبذلك يمكن نقل بترول كل منطقة الخليج وبترول العراق بأكمله الى البحر الأبيض دون حاجة الى المرور عبر أراضي الأردن وسورية ولبنان . ولا شك أن هذا التخطيط الجديد سيؤثر مباشرة ــ لو تم تنفيذه ــ على اقتصاد ســورية والاردن ولبنان ، كما سيؤثر على استراتيجية الشرق الأوسط بأكمله . أو ربما يكون من نتائجه ــ كما كانت تؤمل السياسة الغربية ــ الضغط على الدول العربية الثلاث للانطواء تحت لواء الغرب .

« كما كان من نتائج العدوان ايضا أن تولت فرنسا مساعدة اسرائيل فى كثير من أمورها . ولعل من أهم هذه الأمور انشاء خط الانابيب من ايلات على رأس خليج العقبة الى بئر السبع ، ومنها الى مصب وادى سكرير جنوب حيفا والبدء فى انشاء فرع جديد من بئر السبع الى معامل التكرير فى حيفا رأسا .. وذلك بقصد نقل البترول الخام الوارد من حقول الخليج العربى الذي تستغله الشركات الغربية الى اسرائيل لحرمان قناة السويس من الانتفاع برسوم مرور الناقلات فيها من جهة ، ولتشـــجيع صناعة البترول فى اسرائيل (من حيث نقله وتكريره وشحنه) من جهة أخرى ، وبذلك تصبح اسرائيل دولة مصدرة للبترول بعد أن كانت دولة مستوردة له .. فتزداد حصيلتها من العملات الصعبة مما يســـاعد اقتصادها ومن ثم يخفف الاعباء عن الدول الغربية التى لا تزال ترســل اعاناتها لاسرائيل كما أوضحنا .

ولم يقتصر تطرف فرنسا فى مساعدة اسرائيل على هذا المضـــمار

فحسب بل أمتد أيضا الى جنوب البحر الاحمر .. اذ انشأت فرنسا منطقة حرة فى ميناء جيبوتى بالصومال الفرنسي لحساب اسرائيل ، لتكون قاعدة رئيسية للتجارة الخارجية بين اسرائيل وبعض أسواق الشرق الأقصى والحبشة والصومال وجنوب افريقية . وبذلك يخف الحصار العربى على اسرائيل .. علاوة على ما أقامته فرنسا فى جيبوتى من مصانع لتجميع بعض المعدات ولصناعة الذخائر الصغيرة لحساب اسرائيل ولتسويق الأسمنت الوارد من ميناء ايلات .

ومن هنا كانت الضجة الكبرى حول حرية المرور فى خليج العقبة اذ رأت فيها اسرائيل السبيل الوحيد للتنفس الاقتصادى مع الخارج بعد أن فقدت أملها فى المرور فى قناة السويس .

واتجهت دول غرب أوربا الى انشاء كتلة اقتصادية موحدة والتوسع فى خليج العقبة ، اذ كان ذلك غاية قصوى سعت اليها اسرائيل ابقاء على كيانها ، وسعت اليها فرنسا للضغط على مصر التى اذلتها بتأميم شركة القناة ، وباستمرار معاونتها لاحرار الجزائر ، وباستمرار تقوية برامج الاذاعة الموجهة من صوت العرب لكل بلاد المغرب .

وليس من شك فى أن التطور العالمى الاخير فى التسليح بالقذائف الموجهة **واعادة توزيع الاسلحة الذرية التكتيكية** على الوحدات الموجهة لكل من الكتلتين .. مقابل تخفيف الأعداد البشرية بهذه الوحدات انما هو من نتائج التحول فى تجهيز واستخدام القذائف الصاروخية الموجهة التى ظهرت من جانب الاتحاد السوفياتى بانذاره لفرنسا وبريطانيا فى أثناء معركة مصر .

ومن ثم اتجهت الولايات المتحدة الى تسليح أسطولها السادس فى شرق البحر الابيض المتوسط بهذه الاسلحة . وكذلك قواتها فى غرب المانيا وفى دول حلف شمال الأطلنطى .. كما بدأت فى قواعد جديدة لهذه الاسلحة فى بريطانيا ذاتها بعد أن رفضت الاخيرة انشاء مثل هذه القواعد قبل ذلك ، وقد أدى ذلك الرفض الى « مخاصمة » ايزنهاور لايدن ورفض مقابلته مما أدى الى سقوطه واعيائه ، حتى اذا خلفه ماكميلان رحب ببناء هذه القواعد لخدمة الاستراتيجية الامريكية .. فكان ثمن ذلك هو اللقاء مع ايزنهاور فى برمودا .

كما اتجهت دول غرب أوربا الى انشاء كتلة اقتصادية موحدة ، والتوسع فى الابحاث الذرية لتوليد القوى المحركة منها بأسرع ما يمكن ليخفف ضغط الحاجة الى البترول كمصدر رئيسي لهذه القوى .

كما أن خطة بريطانيا لتخفيف قواتها فيما وراء البحار .. ولو بحجة تخفيف الاعباء المالية على خزينتها .. كانت من النتائج المباشرة لفشل عدوانها على مصر .. وذلك لتخفيف مصروفاتها من جهة ، ولتعديل نظم التسليح من جهة أخرى ، لتعتمد على قوة النيران الذرية بدلا من القوات العددية .

وكان قرار بريطانيا بالجلاء عن الأردن من نتائج هذه المعركة أيضا وكذلك كانت سياسة التضامن العربى بين كل من مصر وسورية والمملكة السعودية لمعاونة الأردن بعد أن تقرر الجلاء الانجليزى عنه ، نتيجة مباشرة لتطور الموقف فى الشرق الأوسط بعد فشل حملة العدوان ، وكان من ثمرة هذا المشروع التضامنى الذى تقررت فيه اعانة الاردن بمبلغ ١٢ر٥ مليون جنيه من الدول العربية الثلاث بدلا من بريطانيا أن تبلورت فكرة الوحدة بين مصر وسورية والأردن ، وكان من آثار قيام هذه الفكرة محاولة السياسة الاستعمارية الغربية عزل الأردن عن سورية واثارة الاضطرابات المحلية فى الاردن لكى تمهد لدخول القوات العراقية . ويتم الضغط التطويقى على سورية فتعزل بدورها عن مصر (ولكن نتجت صورة عكسية لذلك ، اذ اتحدت مع مصر) .

وقد اشتدت حركة الارهاب البريطانى فى جنوب الجزيرة العربية ضد اليمن لتغطية فشل الحملة البريطانية على مصر ، وحدث هذا فى الوقت الذى زار فيه نيكسون نائب الرئيس الامريكى دول الشرق الاوسط وخاصة ليبيا والسودان والحبشة وشمال افريقية . وذلك على أمل ضم هذه الدول للانتفاع بمشروع أيزنهاور لتطويق مصر من كل الجهات .

ولقد قام مبعوث أيزنهاور — رتشاردز — فى الوقت نفسه بزيارات خاصة لهذه الدول ذاتها ولغيرها من دول الشرق الاوسط للدعاية للمشروع ، بحجة ملء الفراغ الذى انشق عنه الوضع الاستراتيجى فى الشرق الاوسط نتيجة لانحسار النفوذ البريطانى بعد فشل العدوان على مصر وما ترتب عليه من قطع معظم دول المنطقة علاقتها السياسية أو الاقتصادية مع بريطانيا الامر الذى أدركته ووزنته تماما حكومة ماكميلان .

كما أن نشاط الدول الكبرى فى مساعيها لنجاح مباحثات نزع السلاح لم يكن الا امتدادا لنتائج العدوان على مصر بعد أن نشطت موجة التسابق فى التسليح الصاروخى والذرى بعد تهديد روسيا لبريطانيا وفرنسا فى اثناء العدوان .

مع العلم بأن مباحثات نزع السلاح قد بدأت من عام ١٩٤٦ دون تحقيق أى تقدم أو نجاح .. بخلاف ما حققته المدة القصيرة التى أعقبت العدوان من ازدياد الامل فى الوصول الى نتائج حاسمة .

كما أن الاستقلال الذى أحرزته سنغافورة ، وكذلك ما حققته قبرص بالافراج عن الأسقف مكاريوس ، ثم تطور قضيتها الى أن ظفرت بالاستقلال الذاتى ، انما يرجع فى حقيقته الى موقف بريطانيا الدقيق الذى تورطت فيه بعدوانها على مصر ، واضطرارها الى تصحيح الأوضاع القائمة التى كانت تتجاهلها حكومة ايدن ، والتى واجهتها حكومة ماكميلان بجرأة .. شأنها فى ذلك كشأنها فى اتخاذ قراراتها لتخفيف قيود التجارة مع الصين الشعبية بالرغم من أسف أمريكا .. الا أن ذلك كله كان نتيجة للضائقة الاقتصادية التى أسفر عنها عدوانها على مصر .

وقد أثبتت الامم المتحدة ـ لأول مرة ـ قوتها فى فرض قراراتها على المعتدين .. وكان من أثر ذلك استخدام البوليس الدولى ـ لأول مرة ـ كأداة تنفيذية ترعى قرارات الامم المتحدة .

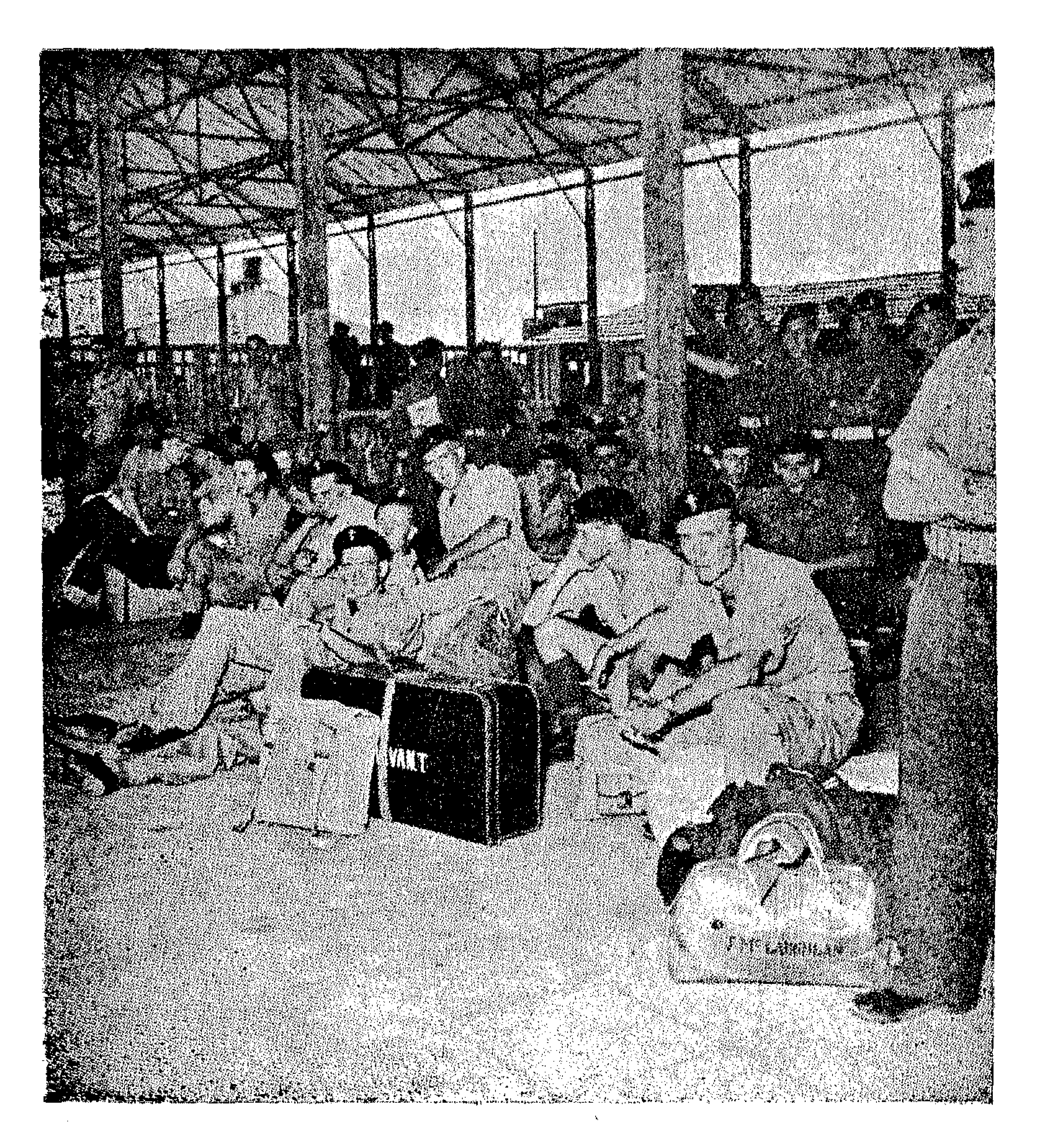
كما حققت مصر تخلصها نهائيا من التزامات اتفاقية الجلاء التى وقعتها مع بريطانيا عام ١٩٥٤ ، وذلك بالغائها من جانبها هذه الاتفاقية ، وتحررت تماما من كل احتمال لعودة بريطانيا للانتفاع «بالقاعدة» فى المدة التى تضمنتها الاتفاقية (٧ سنوات من توقيعها ، بشروط معينة) .

واعترفت بريطانيا ـ مضطرة ـ بذلك عندما أعلن رئيس حكومتها هذه الحقيقة فى مجلس العموم .

وكذلك قررت بريطانيا نقل قواتها فى الشرق الأوسط من قبرص الى كينيا ، ومعنى ذلك اهتمام الاستراتيجية البريطانية الجديدة بمستقبل القارة الافريقية .. كما أثبت العدوان على مصر ضرورة تضامن العرب ، ومهد للاتحاد بين مصر وسورية .. وكانت مصر قد أرسلت قواتها الى سورية فى ١٣ من أكتوبر ١٩٥٧ عندما تعرضت الأخيرة لتهديدات الحشود التركية بعد فشل المؤامرات التى دبرها الغرب وأعوانه من دول حلف بغداد وبعض القوميين السوريين ضد سورية . وكان دور مصر فى هذا الشأن استجابة لواجب العروبة الذى سبق أن قامت به سورية من قبل أيام العدوان الثلاثى على مصر . وبذلك قويت الرغبة فى الدولتين لاتمام الوحدة الشاملة .. وقامت بذلك الجمهورية العربية المتحدة فى فبراير ١٩٥٨ وأعقبها بأيام اتحاد اليمن معها لتشكيل « اتحاد الدول العربية » .

هذه بعض نتائج العدوان الثلاثى على مصر أشرنا اليهـا لارتباطها وتأثيرها على مستقبل الشرق الاوسـط بصفة عامة ، وعلى مصر بصفة خاصة ، ولا شك أن لكل هذه النتائج مضـاعفات أخرى ظاهرة وباطنة وستكون هذه المضاعفات هى مجال الصراع القادم بالمنطقة .

ورضخت بريطانيا للأمر الواقع ، واضطرت الى الاعتراف بالحقيقة الواقعة ، وهى أن مصر وحدها هى المالكة لقناة السـويس ، وهى فى الوقت نفسه قادرة على ادارتهـا ، ووافقت فى ١٣ مايو سـنة ١٩٥٧ رسميا على استخدامها للقناة وفقا لشروط مصر .. كما أبدت استعدادها للتفاوض مع مصر من أجل تسوية الأمور التى كانت قد تعقدت بينهما ، واقترح ماكميلان أن يكون التفاوض فى بلد محايد ، واستقر الرأى على أن يكون فى روما ، تكررت الصورة بالنسبة لفرنسا أيضا . وتم نهـائيا تسوية وتصفية المشاكل المالية بين الجمهـورية العربية المتحدة وبين الدولتين الغربيتين المعتديتين .. وكسبت مصر نهائيا معركة القناة .



جنود بريطانيا يستعدون للانسحاب من بور سعيد

نتائج العدوان الثلاثى على مصر

اولا ـ من الناحية الاقتصادية

فى مصر :

ـ تحرير اقتصادها القومى بتمصير المؤسسات الأجنبية .

ـ تأمين جبهة الانتاج ، وتنسيق خطة الاستهلاك والتخزين .

ـ القضاء الفعلى على اسباب قيام السوق السوداء .

ـ تثبيت تأميم القناة .

ـ فتح اسواق تجارية مع آسيا ومع الكتلة الشرقية .

ـ التحرر الفعلى من سيطرة راس المال الاجنبى .

ـ تنسيق استخراج ، ونقل ، وتكرير البترول .

ـ ازدياد رصيد مصر من العملات الصعبة بتحصيل رسوم المرور بالقناة .

ـ الاتجاه الى التصنيع الشامل .

ـ مضاعفة العناية بالمواصلات ، وخصوصا فى وسائل المواصلات البحرية وذلك بالتوسع فى انشاء الاسطول التجارى علاوة على التصنيع من أجل انتاج السيارات .

ـ الاهتمام بالمرافق العامة والبدء فى بناء السد العالى .

فى الشرق الأوسط :

ـ تدخل أمـريكا باعانة بعض الدول بالمنطقـة وتقلص النفـوذ الانجليزى .

ـ عرض روسيا المضاد لبرامج العون الأمريكية .

ـ هبوط انتاج البترول ، وتوقف نقله فى أثناء العدوان وبعده .. حتى شهر ابريل سنة ١٩٥٧ .

ـ اتجاه دول الجامعة العربية الى وضع خطة بترولية موحدة لأول مرة ، والاتجاه الى تنمية وسائل المواصلات العربية بما فى ذلك انشاء أساطيل تجارية ضخمة .

ـ انشاء اسرائيل لخط انابيب من ايلات الى جنوب حيفا .

ـ نشاط اسرائيل مع تركيا ، ومع الصومال الفرنسي ، واهتمامها بالملاحة .

فى خليج العقبة :

ـ نسف انابيب البترول فى ليبيا ، والأردن ، وسورية ، وقطع البترول من الظهران عن معامل التكرير فى البحرين .

ـ مضاعفة الاهتمام بالحصار الاقتصادى على اسرائيل وخصوصا بعد اتجاهها لجلب مهاجرين جدد من يهود الكتلة الشرقية .

ـ الاتجاه الى انشاء « بنك التنمية » للاقتصاد العربى .

فى الميدان العالمى :

ـ خسارة المعتدين اقتصاديا .

ـ تصدع الانتاج العام فى أوربا للافتقار الى البترول .

ـ الاتجاه الى انشاء خطوط أنابيب جديدة بين الخليج العربى والبحر الأبيض عن طريق أراضي حلف بغداد .

ـ اتجاه بريطانيا لتخفيض مصروفاتها ، والتوسع فى تجارتها مع الصين الشعبية مما ضاعف من حرج الولايات المتحدة وقلقها .

ـ انشاء السوق الأوربية الموحدة لدول غرب أوربا .

ـ تنشيط استغلال الطاقة الذرية فى غرب أوربا لتوليد القوى المحركة بأسرع ما يمكن كمصدر تبادلى للبترول .

ـ الاتجاه العالمى الى انشاء ناقلات ضخمة للبترول بدلا من الاعتماد

على الناقـــلات العادية حتى لا يتعذر نقـــل البترول عبر قناة السويس مستقبلا اذا قامت أية أزمة مماثلة .

ولا شك أن هذا الاتجاه سيرهق الشركات والحكومات كثيرا بتكاليف انشاء هذه السفن الضخمة فى حين أن أساطيل الناقلات الموجودة حاليا فى بحار العالم يكفى بل يزيد فعلا عن حاجة النقل .

ومعنى ذلك أن جانبـــا كبيرا من اقتصـــــاديات الدول والشركات سيستهلك فى بناء الاساطيل الكبيرة بدون أى داع .

ولقد ردت الجمهورية العربية المتحدة على ذلك باتجاههـــا لتعميق وتطهير القناة لتكون صالحة لمرور السفن الكبرى .

ـــ اتحاد مصر وسورية بعد أن كشف العدوان على واقعية هـــذا الاتحاد فى الشعور والعمل والاهداف والآمال والآلام .

ـــ اعلان مشروع ايزنهاور لاعانة دول الشرق الاوســـط التى تقبل العون وذلك لملء ماسماه بالفراغ الاستراتيجى بالمنطقة وفشل المشروع .

فى الميدان العالمى :

ـــ ضياع الثقة بحكومة ايدن ، وجى موليه وسقوطهما .

ـــ ثبوت زعامة الرئيس جمال عبد الناصر للأحرار المجاهدين فى العالم ، واعتباره رمزا للقومية العربية .

ـــ تكون قوة البوليس الدولى لأول مرة فى تاريخ الامم المتحـــدة ، واستخدام هذه القوة فى سيناء ، وبور سعيد ، وغزة .

ـــ نجاح الامم المتحدة فى فرض قراراتها على المعتدين .

ـــ عقد مؤتمر برمودا بين أمريكا وبريطانيا .

ـــ بدء انشاء كتلة أوروبية غربية تكون نواة لاتحاد أوروبا .

ـــ محاولة أمريكا لانشاء اتحادات سياسية ، أو اتفاقيات بين الدول الآسيوية والافريقية لعزل مصر .

ـــ فشل سياسة الولايات المتحدة الداخلية وخاصـــــة فى الحقل الاقتصادى والعمالى نتيجة لفشلها فى سياستها الخارجية مما أسقطها فى الانتخابات التى أجريت فى أواخر عام ١٩٥٨ .

ثانيا — من الناحية السياسية

فى مصر :

— الثقة الكاملة بحكومة الثورة والتفاف الشعب بأكمله حول الرئيس جمال عبد الناصر ووحدة الجبهة الداخلية .

— انهاء مصر لالتزامات اتفاقية الجلاء مع بريطانيا وتحررها الكامل من شروط احتمال عودة بريطانيا الى قاعدة قنال السويس خلال السنوات السبع التالية لتوقيع الاتفاقية ، فى ظروف خاصة وردت فى الاتفاقية .

— ثقة الشعب بنفسه فى معالجة المناورات السياسية التى تدور حوله .

— كسب مصر لدعاية سياسية لها فى الداخل ، وفى الكتلة الآسيوية الافريقية وفى العالم .

فى الشرق الأوسط :

— ظهور القومية العربية بقوة ضخمة أزعجت الغرب والمعتدين والقضاء على أعوان الاستعمار الذين كشفتهم الحوادث التى أسفر عنها العدوان .

— تغيير السياسة الغربية تجاه الشرق الأوسط لمحاولة تمزيق الوحدة العربية .

— اشتداد مقاومة الجزائر ضد فرنسا .

— ضياع مركز بريطانيا نهائيا واتجاه أمريكا لتحل محل حليفتها .

— بدء اتجاه بريطانيا لتصفية مشكلة قبرص بالافراج عن مكاريوس والموافقة على منح الجزيرة استقلالها الذاتى .

— اتجاه حكومة عدن لتسوية مشكلة المحميات على أساس قيام دولة إتحادية من تلك المحميات جنوب اليمن .

— انهاء الأردن لمعاهدته مع بريطانيا ، وجلاء الاخيرة عنه .

— اتجاه الغرب لحل مشكلة فلسطين بأية صورة .

— قيام ثورة العراق بعد أن نضجت كل أسباب الثورة كنتيجة

مباشرة لموقف ساسة العراق بالنسبة لأزمة العدوان على مصر .

— التمهيد لتطور الوعى فى صفوف الجيش السودانى ووراءه الشعب بأكمله ، بعد أن كشفت انجلترا بالذات عن نواياها العدوانية بالنسبة لوسط افريقية وغدرها بالمواثيق مما ترتب عليه وقوع انقلاب السودان السلمى بعد العدوان بسنتين .

— فشل الغرب فى قطع لبنان عن الكيان العربى العام .

— اشتداد الوعى القومى بين امارات الخليج العربى والمحميات عموما واتجاهها الى حظيرة القومية العربية والمطالبة الصريحة بالاشتراك الايجابى فى الجامعة العربية لتساهم تلك الامارات فى تكييف مستقبل القومية الشاملة .

ثالثا — من الناحية العسكرية

فى مصر :

— ظهور حقيقة قدرة مصر على القتال مع اسرائيل بصفة خاصة وعلى الدفاع ضد العدوان الثلاثى فى البر والبحر والجو .

— ممارسة التجربة الأولى فى المعركة التى خاضتها البلاد لحسابها الخاص من أجل حريتها .

— تعاون الجيش والشعب بصورة رائعة .

— خلق جيش التحرير الوطنى وتأمين الجبهة الداخلية بسرعة ظاهرة .

— استمرار مصر فى استكمال تسليحها ووصول الغواصات بعيدة المدى .

— التجديد فى أساليب التدريب والتنظيم والتسلح للقوات المسلحة .

— ادماج الجيش المصرى والجيش السورى فى اطار واحد تحت قيادة واحدة .

— التوسع فى تعميم التدريب العسكرى وجعله مادة اجبارية فى كل المعاهد مما ضاعف قوة المقاومة الشعبية بالبلاد سواء فى مصر أو فى سورية .

فى الشرق الأوسط .

- فشل الخطة الثلاثية لغزو مصر .
- فشل محاولة عزل سورية عن مصر وتدبير انقلابات فىسورية .
- جلاء بريطانيا عنالأردن وتخفيض قواتها فىقبرص وليبيا لمقاومة أهالى قبرص والرضوخ فى النهاية لمطالب الثوار فيها .
- تدبير هجوم من المحميات على جنوب اليمن لتغطية فشل الهجوم على مصر .
- دخول أمريكا اللجنة العسكرية فى حلف بغداد .
- تحديد استئجار قاعدة الظهران لأمريكا .
- انشاء قاعدة أمريكية فى الحبشة .
- تسليح الأسطول الامريكى بالقذائف الموجهة .
- ظهور أهمية خليج العقبة .

فى الميدان العالمى :

- التسابق فى التسلح الذرى بعد انذار بولجانين لبريطانيا وفرنسا .
- الاتجاه الى تخفيض القوات البريطانية فىكل قواعدها الخارجية لتخفيف أعبائها المالية .
- انشاء قواعد أمريكية فىبريطانيا وغرب أوربا للقذائف الموجهة .
- الاتجاه الى فكرة نزع السلاح بعد الاستمرار فى التسليح الذرى .
- تخفيف قوات بريطانيا فى سنغافورة توطئة لمنحها الاستقلال الذاتى .
- عجز قيادة حلف الاطلنطى عن مباشرة تدريبها لنقص الوقود طول شهور نوفمبر وديسمبر ويناير التالية للعدوان وكشف هذا العجز لروسيا .
- تسليح قوات حلف الأطلنطى بالأسلحة الذرية التكتيكية .

رابعا ــ من الناحية المعنوية

فى مصر :

ــ تكامل الشخصية المصرية وازدياد الثقة فى الفرد وفى الحكومة وفى الشعب ، وتطور تلك الشخصية الى شخصية عربية قومية .

ــ قوة الجبهة الداخلية بعد أن تحقق النجاح فى صد العدوان واطراد الثقة فى أهداف وفلسفة الثورة .

ــ زوال رواسب الشكوك القديمة فى امكانيات الشعب التى أورثها اياه الاستعمار واطراد توفر الثقة فى نفوس كل الطبقات التى خاضت المعركة دون أى ارتباط مع أية قوة أخرى .

فى الشرق الأوسط :

ــ ظهور حقيقة الوعى بين الأمة العربية .

ــ التجاوب السريع القوى بين الشعب فى مصر وليبيا وسورية والكويت والأردن والسودان وفى كل المنطقة .

ــ كشف السياسة الغربية التى حاولت عزل سورية عن مصر .

ــ فشل ((**الفقاقيع**)) السياسية التى حاول الاستعمار دفعها للكيد للقومية العربية سواء فى الاردن أو تونس أو العراق أو لبنان .

ــ وحدة الشعور بالامل فى كل أرجاء المنطقة .

فى الميدان العالمى :

ــ نجاح محاولات الكتلة الآسيوية الافريقية فى الحقل الدولى لاثارة الرأى العام الى جانب مصر .

ــ اعتراف الغرب بقوة مصر فى شخص رئيسها جمال عبد الناصر

ــ نجاح الدعوة للقومية العربية كعقيدة وقوة كبرى وفرض وجودها على العالم كله .

ــ احترام القوى الكبرى لفلسفة الثورة المصرية .

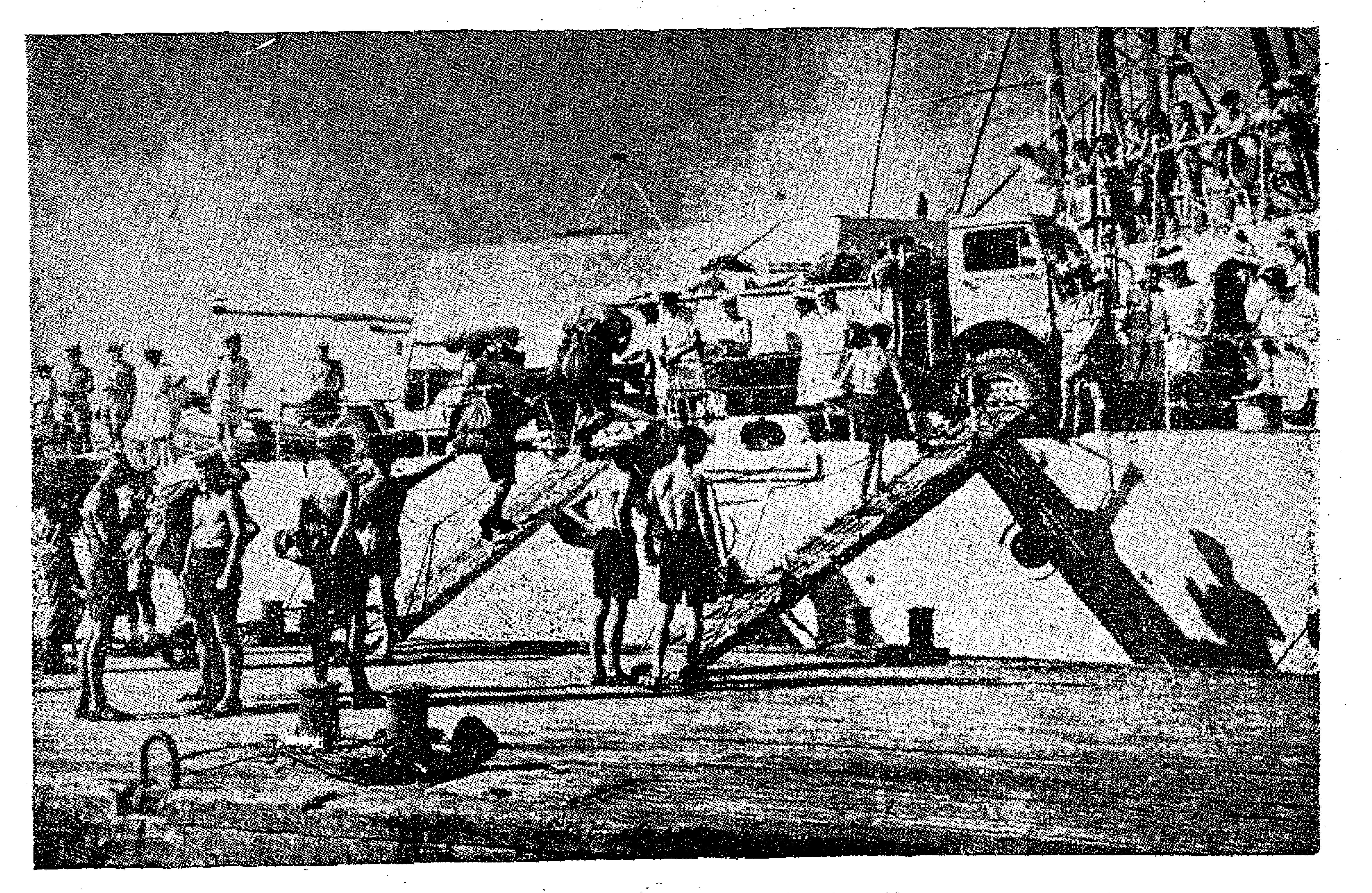
- نشر فضائح حملة « السويس » فى بريطانيا وفرنسا مما أضعف كيان الحكومات والأحزاب التى اشتركت فى ترتيب الحملة العدوانية .

- فشل كل محاولات الدس والمؤمرات التى خططها الاستعمار حتى بعد العدوان .. ضد الجمهورية العربية المتحدة .. بل وضد « جمال عبد الناصر » شخصيا مما أثبت قوته وايمانه بعقيدته للقومية وتأييد الشعب له ، والتفافه حوله .

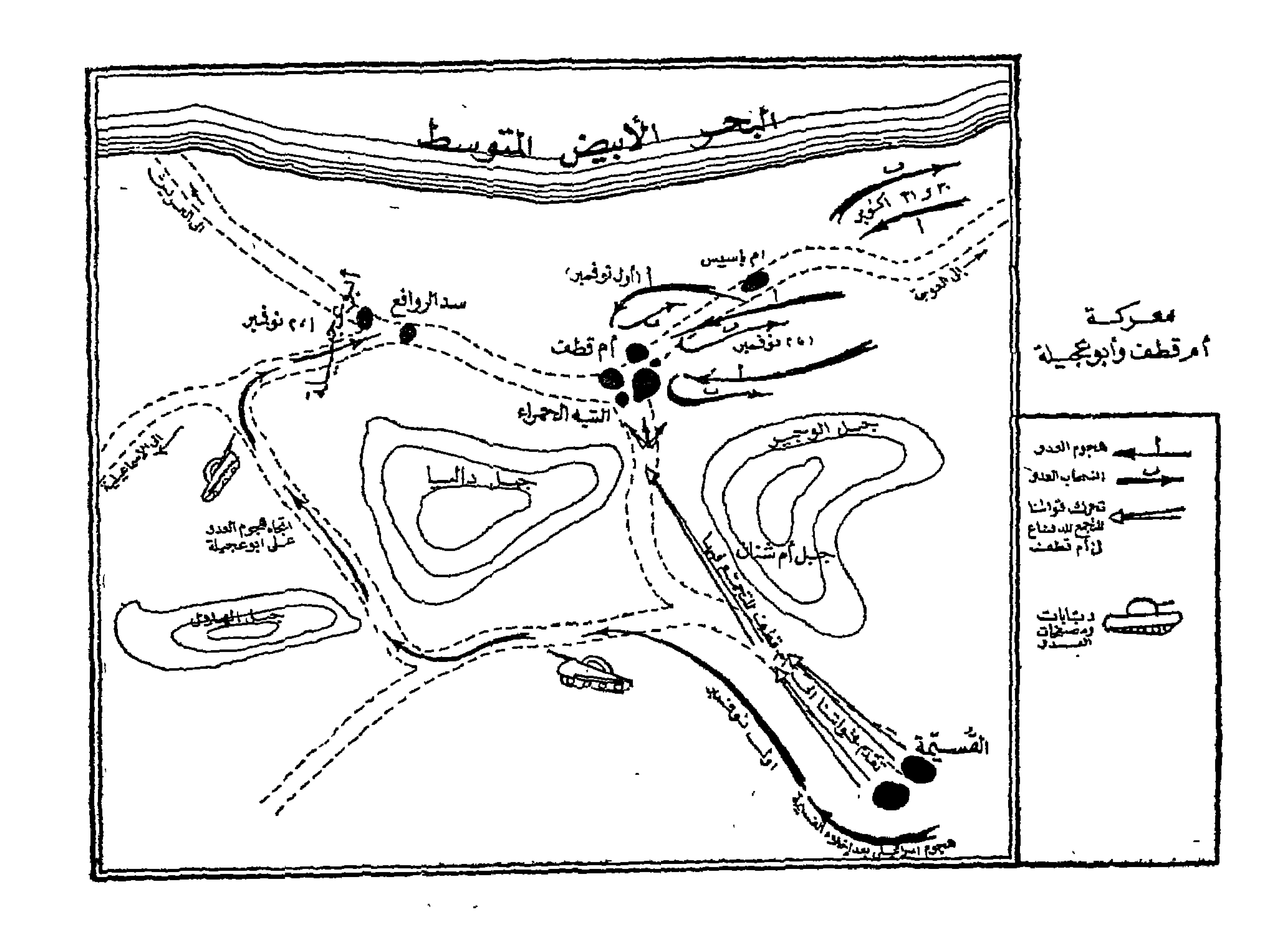
وأخيرا :

وبعد أن انتهينا من هذا السرد العادل ، وضح لنا كيف انتصرت مصر لنفسها وللقومية العربية على يد شعبها وجيشها وقائدها جمال عبد الناصر ... (ويستنبئونك أحق هو ، قل : اى وربى) .

صدق الله العظيم ..

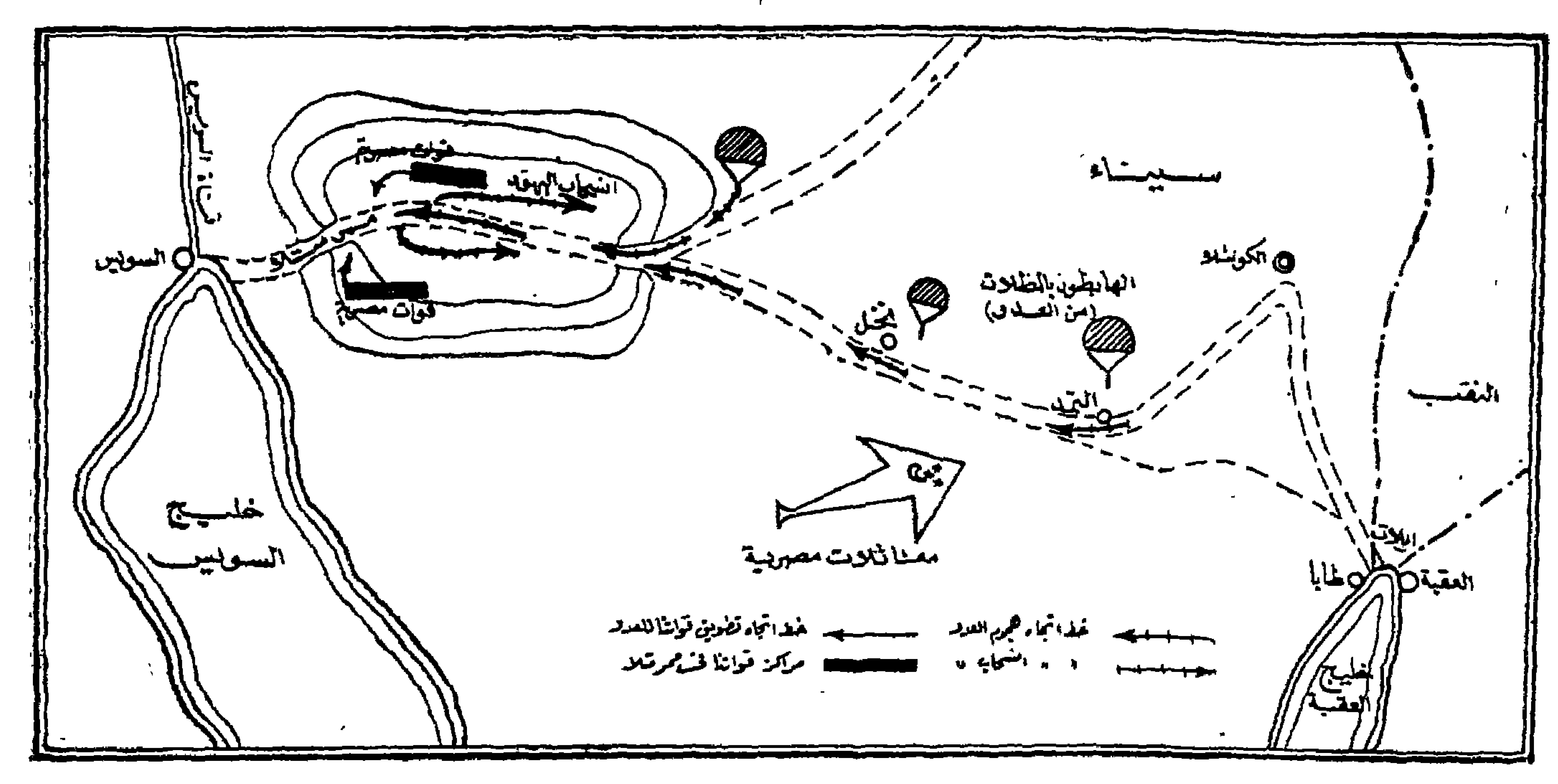


انسحاب القوات البريطانية من بور سعيد

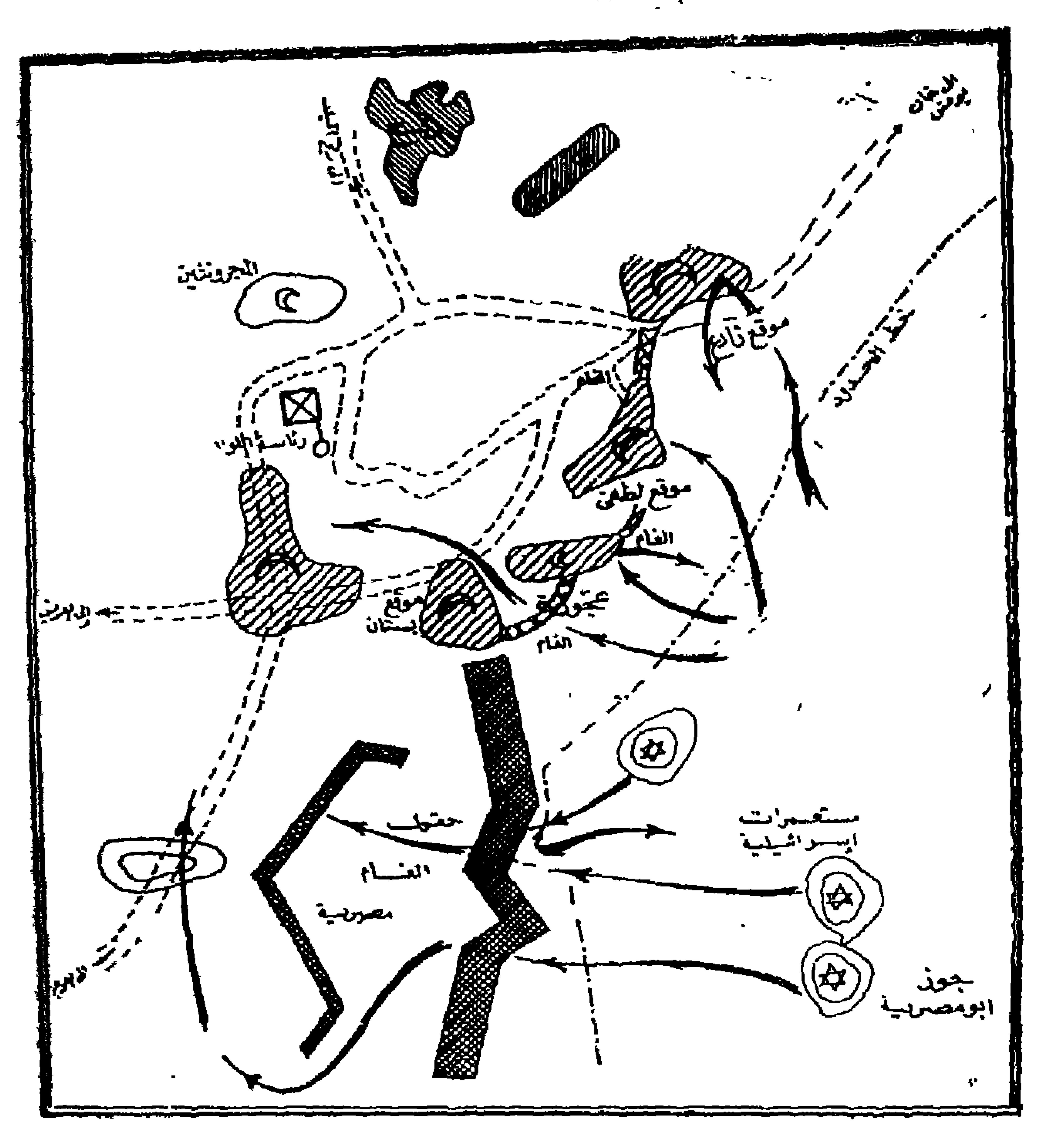


معركة
أم قطف وأبو عجيلة

معركة ممر متلا شرق قناة السويس



معركة رفح (٣٠، ٣١ أكتوبر و ١ نوفمبر)



حقول ألغام مصرية

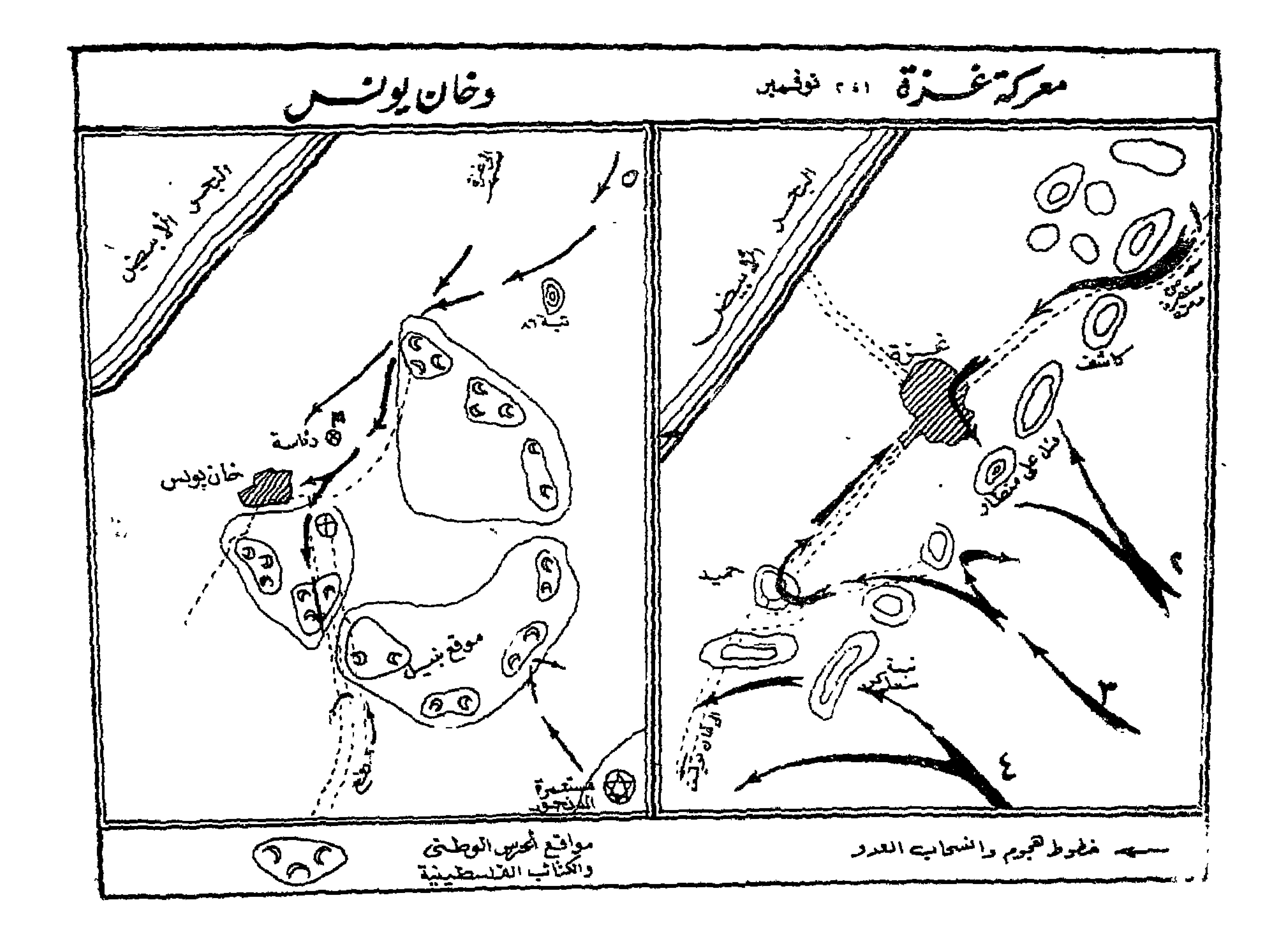
خطوط هجوم العدو

خطوط انسحاب العدو

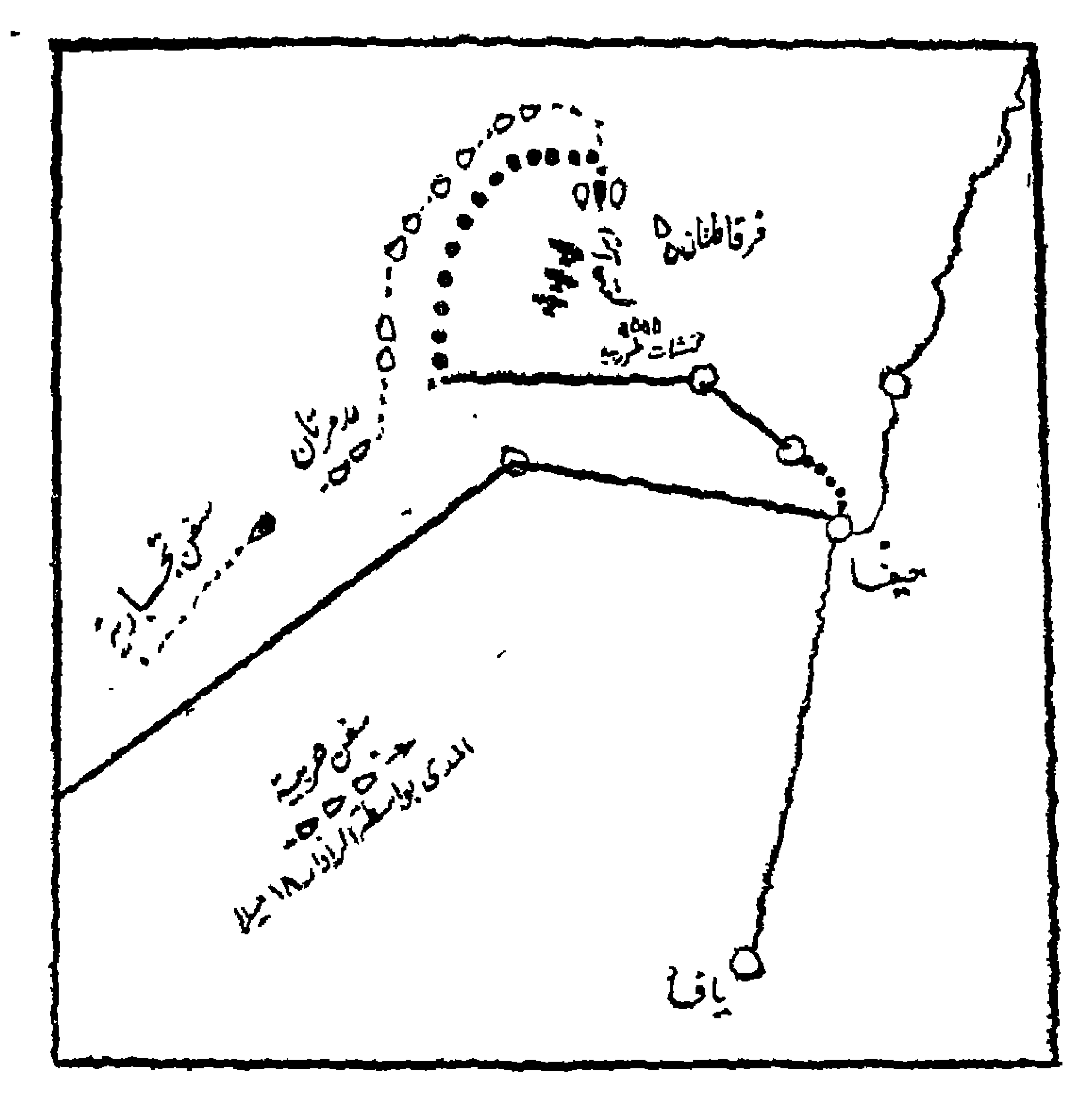
مواقع مصرية



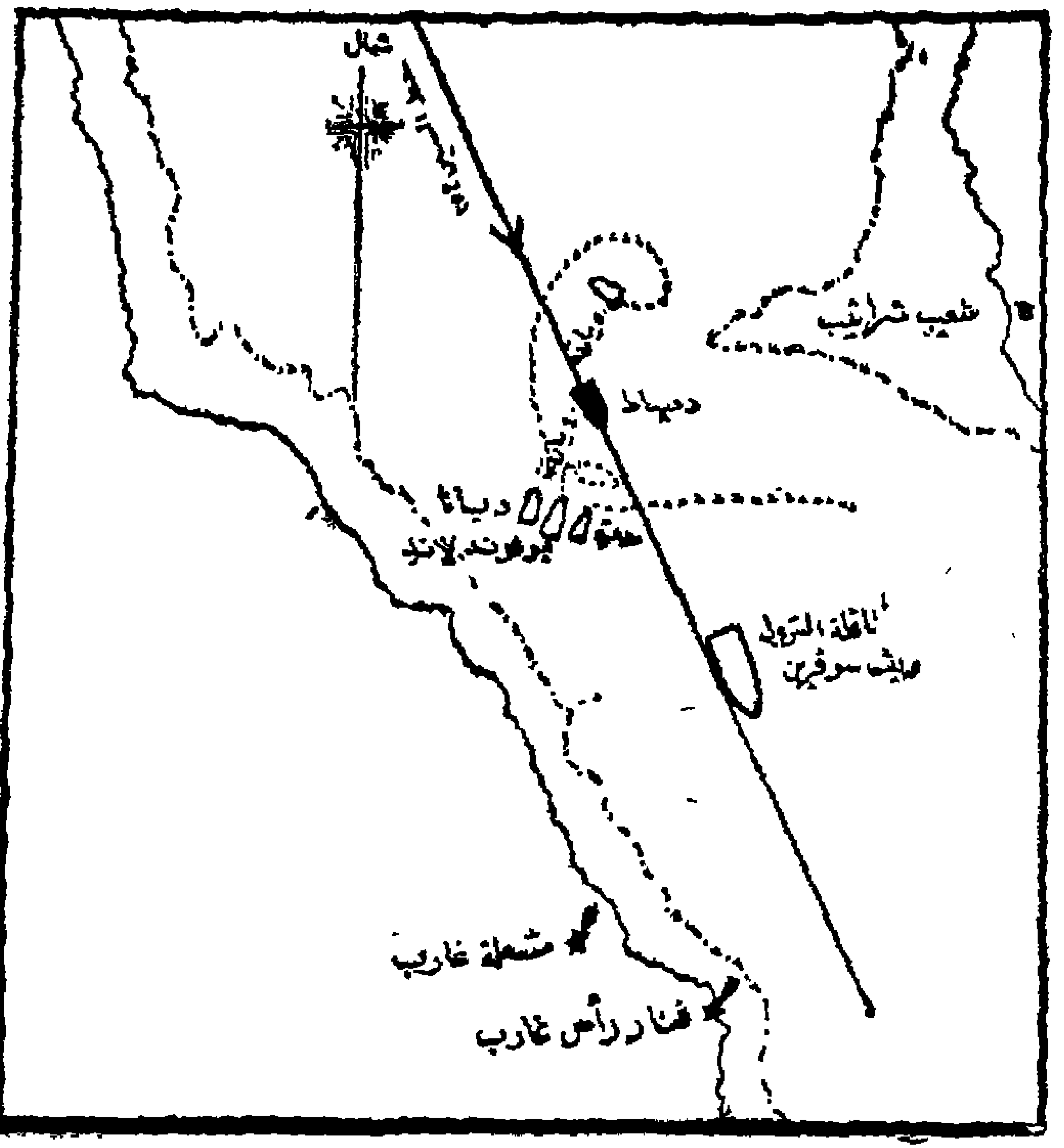
مناطق تجمع العدو في مستعمراته



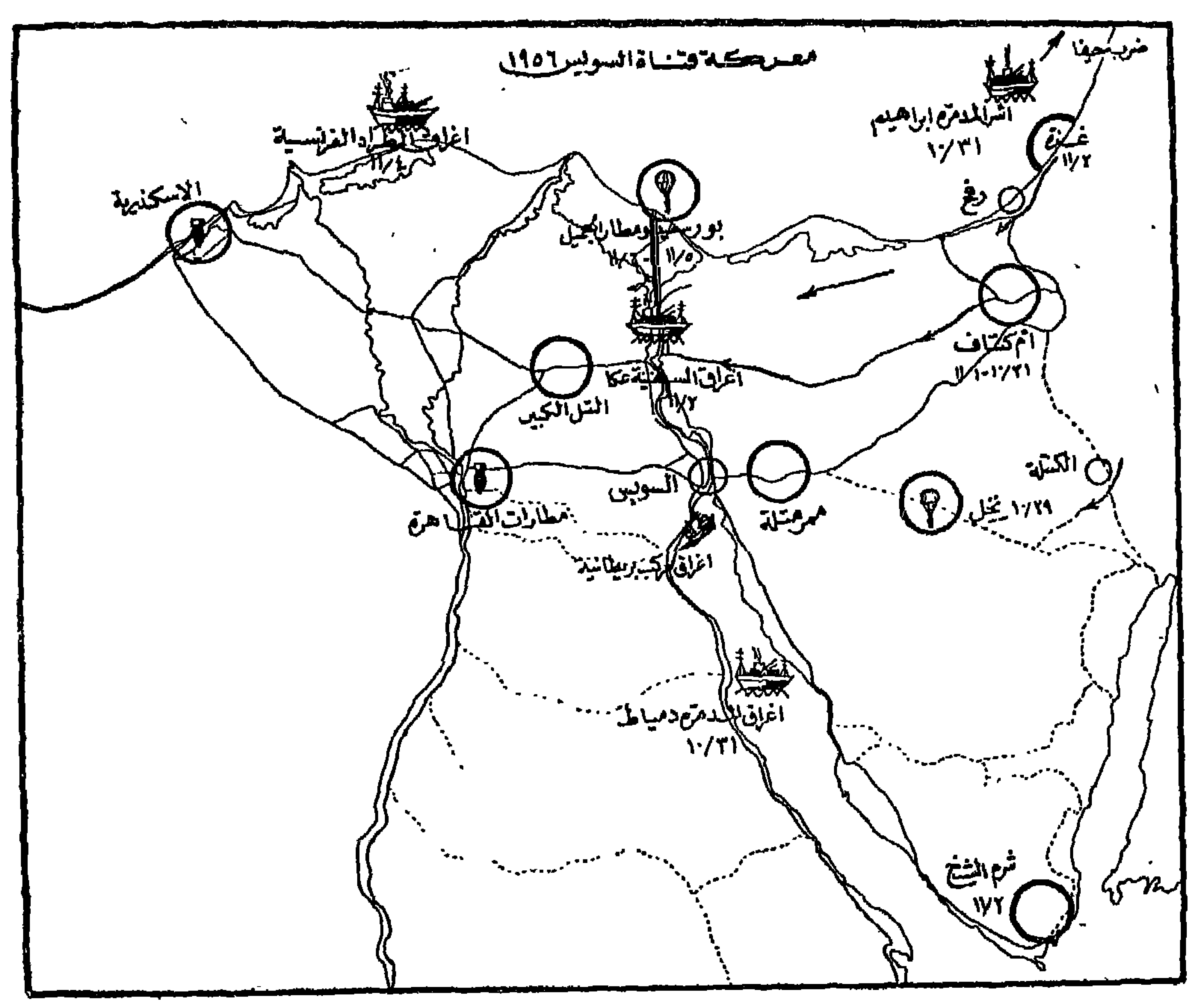
معركة غزة
نوفمبر
وخان يونس
البحر الأبيض
البحر الأبيض
غزة
كاشف
حميد
تبة ٨٦
خان يونس
موقع بنيلة
خطوط الهجوم وانسحاب العدو
مواقع الحرس الوطني
والكتائب الفلسطينية



حيفا
يافا



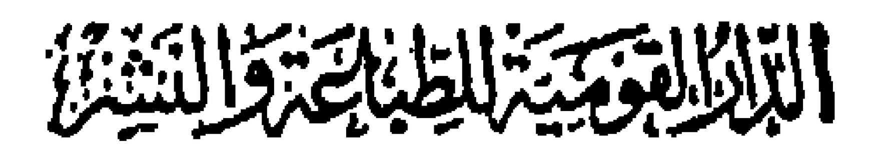
شمال
دمياط
شعلة غارب
فنار رأس غارب



خريطة عامة لمناطق القتال فى سيناء وقناة السويس

الفهرس

الموضوع	الصفحة


الدار القومية للطباعة والنشر

الدار القومية للطباعة والنشر



العدد ٢٩١

الثمن ٣٥
١٩٦٤/١٠/٢٣